

الاستاذ وليم مكرم عبيد



سينوت بك حنا



واصف بطرس غالى بك







صادق حنين بك



ويصا واصف بك





عاطف بركات بك



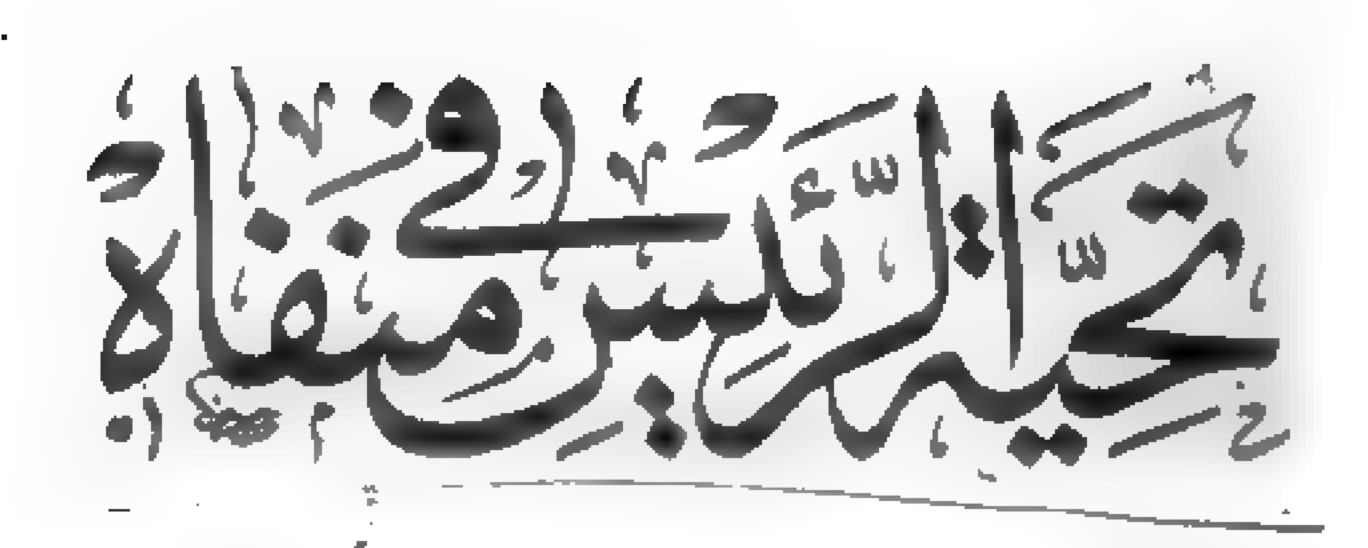
مصطفى نحاس بك





في معسكر السويس : سعد باشا وعلى يمينه فتح الله باشا وعلى يساره ضابط انجليزي
والواقفون سينوت بك والنحاس بك وعاطف بك ومكرم عبيد « مجلة سفنكس»





وهي خطب معالي سعد باشا زغلول

منذ عودته لمصر الى نفيه منها

مع كلمة تمهيدية بقلم حضرة الكاتب المشهور

احمد حافظ بك عوض

« الطبعة الاولى — سنة ١٩٢٢ »



مطبعة سعودي بشارع عماد الدين نمرة ٦١ بعابدين بمصر



احمد حافظ بك عوض

تحية الى الرئيس

في منفاه

خير ما يقدم من التحية الى الرئيس الجليل في منفاه أن تجدد على الدوام ذكراه ، ولا ننساه . وأفضل ما تحفظ به الذكرى ، ويتجدد به العهد والميثاق وتذكر فيه مواقفه الوطنية ، ومبادئه السامية — هو نشر آرائه وإيصال كلماته الى أعماق القلوب ، حتى لا يتسرب الوهن الى النفوس ، وحتى لا تخدع الامة بما يبرقشونه لها من استقلال مكذوب .

وليس أفضل من طبع خطب الرئيس وتصريحاته منذ قدومه الى هذه الديار الى نفيه منها ، لانه في هذه الفترة قد وضع بيديه الامينتين الحجر الاساسي في بناء الاستقلال التام — ذلك الاستقلال الصحيح الذي لا بد لنا من ادراكه ، طال بنا الزمن أو قصر .

وأفضل ما أردده تنبيهاً للامة في هذا الموقف الرهيب أن أعيد لهم كلمة قالها معاليه في احدى خطبه ، لانه ذكر لنا في تلك الكلمة كل ما حصل اليوم ، فكأنما كانت تلك الكلمة نبوة ووحياً من الله سبحانه وتعالى . في هذه الكلمة التي أبصر بها الرئيس ما وراء سحب الغيب يقول :

« هم لا يريدون الاتيان بالاستقلال بل بشيء آخر يفهموننا انه الاستقلال أو يقهروننا على قبوله بواسطة تلك الاحكام العرفية »

ثم أراد معاليه بعد ذلك ان يبعث في الامة روح الثقة بنفسها ، واليقين

بمبادئها ، وليبعث فينا الطمأنينة والامل الثابت باننا سننال حقنا كاملا غير ناقص فقال :

« ولكن فاتهم ان الروح التي أودعها الله في الامة لا تقوى على مغالبتها لا أحكام عرفية ولا استبداد مستبد . ولا قوة أية مملكة ولو كانت أقوى مملكة في العالم »

ثم قال : « ان الروح المنبثة في البلاد روح قوية صادقة لا يغلبها غالب ولا يمكن لاي خادع ان يموه على البلاد فيجعلها تقبل شيئاً لا يحقق استقلالها التام في الواقع ونفس الامر »

هذه الكلمات الجليلة النبيلة يجب أن تدوي في آذاننا دوياً دائماً لا تفارقنا في يقظة ولا منام ، ولا صبح ولا مساء ، ولا في نور ولا في ظلام ، حتى ننال حقنا في الاستقلال التام

ان في ترديد كلمات الرئيس وآرائه وأقواله ومبادئه لأفضل خدمة وطنية نقدمها للشعب في محنته الحاضرة ، ولذلك فاني أسر بأن أقدم هذه الكلمة في مقدمة طبع هذه الخطب ، كتحية خالصة أبعثها الى الرئيس في منفاه

(أ . حافظ عوض)





صاحب المعالى سعد زغلول باشا

خطبة الرئيس في حفلة الشاي

لما وصل معالي سعد باشا زغلول الى الاسكندرية أقام له الطلبة المصريون حفلة شاي في فندق الماجستك وشرف الحفلة كذلك سمو الامير عمر طوسون وألقى معاليه الخطبة الآتية (في ٦ أبريل سنة ١٩٢١)

ياسمو الامير . اخواني . أبنائي :

اعذروني اذا أنا لم أقدر أن أخاطبكم كما أريد لاني تعب . أضناني التعب من هذه الاحتفالات الساهرة . تلك المظاهر الساحرة هذا الاستقبال الذي لا نظيرله واني بكل قوتي أحتج على قول حضرات أبنائي بأني أنا الذي وحدي فعلت هـذا الذي يمدحوني عليه . أحتج بكل قوتي لاني لست وحدي فيه بل للامة جميعاً أثر فيه

أريد في وسط هذه المظاهر الهاتفة أن أوجه شكري وثنائي الى الذين اشتركوا في تأسيس مجدنا وتوفير سعادتنا وانعاش آمالنا

أتوجه والخشوع يملأ جوارحي الى تلك الارواح الطاهرة أرواح أولئك الابطال الذين نادوا بالحق والحق منكر ففاضت ففاضوا وألسنتهم تردد ذلك النداء . ففاضوا وشرفونا بأقدامهم وألزموا الكل باحترام مصر واسمها وبيضوا وجوهنا والآن فلينامو هادئين فقد انبلج فجر الاستقلال مشبعاً بدمائهم وخلفوا من بعدهم من يستحق ذلك الفداء . بيض الله برحمته أجداثهم وأسكنهم جنات الملا وأرضى عن أعمالنا أرواحهم وأراحهم بتحقيق آمالنا

لله در الشبيبة مافعلت فانها قد فتحت ماضمت صدورها من كنوز الفتوة وملأت قلب البلاد عزة وحماسة وملأت رؤوسها حكمة وملأت حركاتها نظاما. تلك الشبيبة التي هي عماد الحركة الحاضرة ومبعث أنوارها الساطعة . أشكرها شكراً جزيلا وأرتاح جيداً لان المستقبل سيكون بيدها وهي يد ماهرة

وأشكر العلماء والقسس الذين باتحادهم أبطلوا حجة في يد الخصوم طالما اتخذوها سلاحا قاطعة . أزالوا الفوارق وأثبتوا أن الديانات واحدة تأمر بالدفاع

من الوطن وأنه ليس لها تأثير الا في عبادة الخالق جل وعلا أما في الوطن فالكل سواء

وأشكر أيضاً الامراء الذين حملهم ماورثوه عن آبائهم من المجد والفخر أن ينزلوا الى صفوفنا وينضموا الي التاجر والصانع والزارع والعامل وكل من يخفى تحت تلك الثياب الزرقاء والبيضاء نفساً كريمة وقلباً أبياً انضموا الي هذه الصفوف لاجل أن يستحقوا بعنوان آخر ذلك المجد الذى ورثوه عن الآباء

فشكراً لهم شكراً والحق أن كل انسان من المصريين قد قام بالواجب عليه، وكل نافس أخاه في القيام بهذا الواجب وزاد عليه ليكون ممتازاً عن أقرانه بشيء في خدمة الوطن العزيز فكلكم شاكر وكلكم مشكور ومن مجموع هذه المساعى سارت قضيتنا الى هذه النقطة الحاضرة فانهم لكوننا قلنا الحماية لاغية واليوم هم أعلنوا أنها ليست باقية وأظهروا استعدادهم لاستبدالها بعلاقة أخرى راضية والفضل في هذا الفرق العظيم لسعيكم لالسعي والتمسك بالمبادىء السامية فاهنأوا بما نلتم واثبتوا حتى تفوزوا بالامانى الباقية

وبلغوا كل البلاد سلامنا وتشكراتنا ورجاؤنا في الله حسن العاقبة

خطبة الرئيس في وليمة العشاء

أقام أهل الاسكندرية حفلة بفندق كلاردج في مساء يوم الاربعاء ٦ ابريل سنة ١٩٢١ وألقي معاليه الخطاب الاتي الذي شرح به سياسته وسياسة الامة :

سادتى :

لست أملك بياناً يفى شكر كل مارأيت فى هذا البلد الامين والاقرار بالعجز لايفى بالشكر ، عجزي واضح جداً فاذا أنا سكت كان ذلك خيراً لانى عاجز ، ولهذا لا أتعرض لهذا الشكر مطلقاً لانى كما قلت عاجز ، والله هو الذى يمكنه أن يتولى شكركم

ماسعد وأصحابه بالانبياء فيكم أتوا بالمعجزات ولاهم بأولياء أتوا بالكرامات ولكنهم أفراد منكم ٠ هم خدام مبادئكم ٠ هم أفراد منكم شعروا بشعوركم وتشبعوا بمبادئكم فقاموا ليخدموها فكان لهم من ذلك الشعور أبلغ نصير وان كان للوفد المصري بلاغة فهى منكم وان كان رفع ذكركم في بلاد الاجانب فذلك منكم وليس له الا فضل الاداة في يد الكاتب فقط ٠ أنتم الذين أمليتم على زملائى وعلي ما أوجب نشر ذكركم في كل بلد وفي كل مكان فلافخر لنا عليكم بل الفخر لكم أجمعين ٠ ولايمكننى أن أتصور لا أنا ولا واحد من زملائى ان كل ما رأينا منذ وصولنا الى هذه الساعة من الاكرام والاحتفال — لا أتصور ولا يمكن لواحد من زملائى أن يتصور ان هذه الاحتفالات وتلك الاصوات الهاتفات موجهة لاشخاصنا ذلك الاكرام ، نحن خدامكم لاأنبياء فيكم وأنا الذي تشيدون بذكري آخر واحد من زملائى خدمكم

حقيقة قمت بخدمة ولكني ما ضحيت شيئاً لانى كنت عاطلا كما يعطل كل شخص ترك وظيفة الحكومة عندنا ولكن زملائى لهم مراكز مخصوصة تركوها تركوا أعمالهم وتركوا شؤونهم وتركوا أولادهم وليس لى ولد (أجابه بعضهم كاننا أبناؤك) فقال وان كنتم كلكم أبنائى ولكني أعتبر ان هذه الاكرامات وتلك الاحتفالات الى شيء آخر أعلا وأسمى من سعد ومن أصحاب سعد ،موجهة الى ذلك المبدأ السامي الذى اتخذتموه راية لحياتكم وهو مبدا الاستقلال التام

انى أرى تلك الروح الوطنية التي تجلت في جميع هذه المظاهر يحيي ذلك المبدأ المقدس في أشخاصنا وكما أفرح بهذه التحية اذا وجهت الى أشخاصنا أفرح كذلك اذا وجه عكسها الى أشخاصنا اذا انحرفنا عن هذا المبدأ الجليل

لهذا أصارحكم القول ولست بعائن فيما أقول انى أسر وكنت أسر ولا أزال أسر لصحيفة تنتقدنى ولو كذباً لانى خالفت مبدأكم كما قلت وفي هذا سرور وما بيني وبين عدول هذه الصحيفة عن قولها الا أن يثبت لها انى ثابت على مبدئى ولهذا أنا ممتن من الصحافة حبيبها وعدوها بل لست أعتبر لي عدواً فيها لانها تخدم مبدأ واحداً هو مبدئى ، هو مبدأ الاستقلال التام

الآن يمكنني أن أقول لكم انكم تشعرون بسؤال تتساءلونه فيما بينكم : لماذا حضرت اليكم ؟ هل أتممت مأموريتي ؟ جئت اليكم لالأن مهمتي تمت بل لا يزال

باقياً منها الشيء الكثير ولكني جئت لأقوي بعزائمكم عزمي وأشد أزري باتحادكم ولهذا لم يكن منظر أبهى في ناظري ولا رمز أكرم لقلبي من ذلك العلم رمز الاتحاد ، رمز الاتحاد بين المسلم والقبطي ، بين العنصرين اللذين يؤلفان الشعب المصري المجيد

سلمني العلم وأنا أعده أن أحافظ عليه بكل قوتي وما دامت لي في الحياة أنفاس فاني أعمل على تأييد هذا المبدأ مبدأ الاتحاد بين العنصرين القبطي والمسلم بل يسرني أن لايكون هناك عنصر واحد ؟ ولقد دعاني أول الخطباء لأن أكون مخلصاً إخلاصكم وهذا أسهل الاشياء عندي بالنسبة لاصل الاخلاص لامقداره فاني لايمكنني أن أجمع كل هذا الاخلاص في نفسي ولكنني مخلص مثلكم

جئت أيضاً لان حالا طرأت على القضية المصرية التي شرفتمونا بأن نكون وكلاءكم فيها ، القضية المصرية واقفة عند حد تعلمونه وهو المفاوضات الرسمية

انتهت المفاوضات الرسمية في لندره على ما تعلمون جميعاً أعني كان هناك مشروعاً هو الذي عرض عليكم فأبديتم فيه تحفظات عرضت باسمكم على لجنة لورد ملنر فأبت أن تبحث فيها وأحالتها على المفاوضات الرسمية وقد قلنا وأيدتم ماقلنا انه لا يمكننا أن ندخل في مفاوضات رسمية قبل أن يعدل المشروع بالتحفظات التي أبدتها الامة لانه يكون حماية اذا لم يعدل بهذه التحفظات ولذلك قررنا بالاجماع أن لا ندخل في مفاوضات رسمية على هذا الاساس قبل أن يعدل ذلك بالتحفظات ، قررنا ذلك باجماعنا وأعلناه للامة فأيدتنا في قرارنا ، فما ذا حدث ؟ حدث ان اللورد ملنر نشر تقريره ، ذلك التقرير الذي شرح المشروع كما تعلمون بطريقة كشفت النقاب عن كونه مشروع حماية مستورة لا استقلال تام ثم حصل ان الحكومة البريطانية دعت عظمة السلطان لان يعين وفداً رسمياً لتأخذ رأيه الحكومة البريطانية في شأن مقترحات لورد ملنر ثم ان اللورد اللنبي قدم مع هذه الدعوة التي رفعها الى عظمة السلطان كتاباً منه جاء فيه ان الحكومة الانجليزية تنازلت فيما يختص بالغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية وان هذا يدل على حسن نيتها ، وتلا ذلك ان سقطت الوزارة ، وزارة توفيق نسيم باشا وتشكلت وزارة عدلي باشا مكانها ، وجاءت الوزارة الجديدة ببيان كلكم قرأتموه ، جاء فيه وعد بانها ستتمشى مع ارادة الامة وتسترشد بارشاداتها ، وجاءت فيه دعوة

للوفد المصري بأن يدخل في المفاوضات الرسمية والوفد ورئيسه ليهنئون أنفسهم بأنهم يرون وزارة تتربع أو تتولى الاحكام في مصر وتريد أن تتمشى على ارادة الامة فانه لاشيء أحب الى الوفد الذي يمثل الامة من ان يرى على منصة الاحكام وزارة مستعدة أن تتمشى مع هذه الارادة وكذلك يتقبل هذه الدعوة بكل حسن استعداد للاجابة عليها متى تحقق ان اشتراكه فيها ينطبق تمام الانطباق على مبادئه التى تعلمونها وهي الغاء الحماية ليس فقط فيما يتعلق بالعلاقة بين مصر وانجلترا بل الغاء الحماية مطلقاً فيما يتعلق بين مصر وانجلترا وبعلاقة مصر بسائر الدول

هكذا اردتم ، وهكذا قررنا ، وهكذا نريد ، قررتم أو أيدتم ما قررنا من انه يجب قبل الدخول في المفاوضات الرسمية قبول التحفظات ، هذا كان شرطكم وهو شرطنا ونحن عند ماكنا

اشتققنا من هذه المبادىء مبادئكم شروطاً بلغناها للوزارة وهي الى الآن تحت النظر-اننا للمباحثة معها في هذه الشروط ونرى ونشعر انها مستعدة لقبولها لان رئيسها كان معنا واشترك في المفاوضات وهو يعلم خطة الوفد ومبدأه وانه لم يقرر الدخول في المفاوضات الرسمية الا بناء على هذه الشروط فدعوته الوفد الى الدخول في المفاوضات الرسمية بمثابة قبول لهذه الشروط ولذلك فنحن نرى اننا على باب الاتفاق : نعم الاتفاق ولكن على النزول على ارادة الامة لا على ما يتوهم المتوهمون من ان الوفد يتنازل عن هذه الارادة كلا والف مرة كلا لم تنشر هذه الشروط فيكم ولكنها نشرت في أوروبا ولكونها تتعلق بكم لان المرجع اليكم وأنتم أهل الشأن فيها فليس من الحكمة ان تعلم في أوروبا وتكتم عنكم

اني فرح بان اتفق مع الوزارة أنا وزملائي اتفق مع الوزارة على أن تضم السلطة التى تمثلها على السلطة التى يمثلها الوفد لتشتغل القوتان معاً ولكن لا في معنى السلطة الاخرى بل في معنى سلطتكم أي سلطة الامة

ومن توهم ان هذا الاتحاد اذا حصل يكون معناه ان الوفد مسلم للحكومة كان واهماً ومخطئاً خطأ عظيما ،ولكن اذا رأيتم الوفد ورئيس الوفد سار بالاتفاق مع الحكومة فسلمنكم بهذه الشروط واذا رأيتم ما يخالف مبادئكم فاسقطوا سعداً وأصحاب سعد

بعد ذلك عندي كلام كثير أريد أن أقوله لكم ولا بد أن يكون عندكم كلام كثير تريدون أن تسمعوني اياه ولكني الآن تعب جداً كما ترون فاسمحوا لي في الختام أن أقول انني لا أقدر أن أشكركم ولكني أسلم عليكم

خطبة جايلة

أقامت نقابة المحاماة حفلة في فندق شبرد في ١٥ أبريل سنة ١٩٢١ وألقى معاليه الخطاب الآتي :—

حضرة الاستاذ النقيب

حضرات الزملاء الافاضل

قبل الدخول في الموضوع بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن حضرات زملائي أقدم لحضراتكم مزيد تشكراتنا على هذا الترحيب وعلى هذه الحفلة التكريمية

ثم اني أبدي بأني لا يصح لي مطلقاً أن أفتخر بأي عمل من الاعمال في القضية المصرية لاني ما كنت أعمل فيها وحدي بل بمشاركة زملائي واعترف لكم علناً بأني لم اكن العامل الاكبر فيها بل كنت العامل الاخير (تصفيق)

في المحاماة

لا أباهي بهذا الفضل لان حصتي فيه تافهة ولكن الذي أباهي به وأستسمحكم أن أقول بأني أفتخر به كل الافتخار هو دخولي في صناعة المحاماة (تصفيق)

نعم أفتخر بهذا افتخاراً كبيراً ولا ينبغي أن ينسب لي أنانية في هذا الافتخار لاني أعرف كيف كان الدخول في مثل هذه الصناعة صعباً جداً

دخلت المحاماة أيام كان الدخول فيها ليس مشرفاً كما هو الآن بل ملوث لمن دخل فيها ، لم تكن صناعة المحاماة شريفة في بلادنا كما هي شريفة في ذاتها بل أسيء استعمالها الى حد ان كان اسم المحامي مساوياً لاسم المزور ، نعم كان هذا شأن المحامي وكان لا يستطيع أن ينسب لاي بيت من البيوت العالية ، كان الصدق غير معروف فيمن يشتغلون بهذه المهنة ومع ذلك فقد أقدمت على هذه الصناعة

مع انها كانت مخالفة في ذلك الوقت للذمة والشرف وكان لا يقصد المحامي لعلمه بل لتزويره ، فالاقدام على الدخول في هذه الصناعة في الظروف التى شرحتها يعد شجاعة واقداماً وقد دفعنى الى الاشتغال بها اعتقادي انها صناعة شريفة لها صفات جميلة جداً لانها تساعد العدالة في توزيعها فيجب رفع شأنها

دخلت في هذه الصناعة وتحملت ماتحملت ولم يكن هناك نقابة تدافع عن حقوقها بل كانت المحاماة تحت الاحكام العرفية حقيقة وكان يكفى ان رئيس محكمة يغضب على وكيل فيحرمه من صناعته

وأذكر يوماً كنت أدافع فيه أمام محكمة بنها فطلب وكيل النيابة تأجيل القضية لاستيفاء بعض الاجراءات فقلت لايجب تأخير الدعوى لانه لايصح اطالة سجن المتهمين فقال لى الرئيس اسحب كلامك فان المحكمة لايجب عليها شيء ولم يكن في هذا الوقت نقابة يرجع اليها ولكن شدة جرأتى دفعتنى على أن أقول له بأنى لا أسحب كلمة أعتبرها حقاً فتداول مع زملائك وقرروا رفض طلبي أو عدم رفضه قلت هذا وأنا متخوف أن يجر الى حرمانى من صناعة المحاماة ولكن قدر القدر أن يكون بين القضاة قاض كان صديقاً لنا أخيراً وهو المرحوم علي بك فخري فعفوا عنى

نعم لم تكن المحاماة شريفة في ذلك الوقت كما هي شريفة في ذاتها وكان المحامون مشهورين بمهارتهم في أن يشتموا بعضهم بعضاً وقد أصابني في أول مرافعة أمام محكمة الاستئناف ان زميلي كان رجلا قديماً وكنت صغير السن اذ كان عمري ٢٢ سنة وكان مستأنفاً فأخذ يطعن علي بدون أن يعرفني أو أعرفه ونسب الي انى كنت محامياً قديماً وما كنت كذلك وبعد ذلك ألهمت القول بأن كلام زميلى ينحصر بعد حذف المطاعن في كذا وما جاريته في شتائمه وجريت على هذا الاسلوب وجرى آخرون

أقول لكم هذا لأدل حضراتكم على أن صناعة المحاماة لم تكن شريفة وكان الدخول فيها يحتاج الي اقدام وشجاعة وتضحية والمتشرف بمخاطبتكم تحمل هذه التضحية وهو يستحق أن يفتخر بها ولقد جاهدت حتي علا شأن المحاماة وأصبح فيها من هم صادقون وأصحاب ذمة وشرف ولكن قبل هذا الدور كان لاينبغي لقاض أن يجالس محامياً ولقد صدر منشور من النائب العمومي يمنع

اختلاط المحامين بالقضاة ولكن هذه الصعوبات ذللت حتي صار القاضي يرى من شرفه أن يخالط المحامي ويباشره ويسلك معه كل مسلك (تصفيق)

ثم كان من هذا السير أن قضاة انتخبوا من المحامين وكنت أول انسان في المحاماة انتخب قاضياً واني أفتخر بهذا ثم حصل اني اشتركت في تأسيس نقابتكم التي هي الآن ملجأ لكم والحامية لحقوقكم واني أشكر النقيب الفاضل على انه ذكر هذا بأنها مفخرة لي وأتقبلها بغاية كل الشكر

الوفد والوسائل السياسية

ولا ننتقل الآن الى المسألة السياسية التي قال حضرة النقيب انه يمتنع عن الخوض فيها وهذا أدب جميل جداً أراد به أن يساعدني على الصحافة وحقيقة ان هذا لا يصدر الا من حضرات المحامين لانهم يقدرون هذا الامر قدره فالمحامي اذا تولى قضية للدفاع عنها فلا يود ان زبونه يراقبه في الاجراءات التي يقوم بها فالزبون يعطي القضية للمحامي قضية استرداد بعشرين فدانا مثلا أو المطالبة بألف جنيه والمحامي يقدم القضية للمحكمة المختصة وليس للزبون الحق مطلقاً في أن يرشد محاميه الى محكمة الاختصاص أو الاجراءات التي يتبعها وعلى كل حال فصناعة المحامي تخوله أن يسير بالدعوى بنفسه ولا يحق للزبون أن يعترض المحامي في هذه الاجراءات

ونحن وكلاء الامة في قضية كبرى وللامة حق في أن تراقبنا بعد أن تشعرنا بمطالبها وقد أشعرنا بها وعلمناها وهو الاستقلال التام ؛ فلها الحق في أن تراقبنا لتعلم ما اذا كان المشروع الذي نجيء به اليها يفي بهذه المطالب ام لا فاذا أتينا بمشروع ينافيها رفضته وعزرتنا أيضاً وفعلت ما تشاء واذا وجدت انه واف بمرادها فهمت اننا أدينا واجبنا ولكن ليس لها أن تقول لاتذهبوا الى لندرا بل الى باريس وادخلوا على هذا الشرط ولا تدخلوا على الشرط الآخر فان هذا يكون صعباً وكثيراً فاذا مشينا على هذه الطريقة نرى ان أمين بك الرافعي يقول لا تدخلوا المفاوضات والاهرام يقول ادخلوا والحزب الديموقراطي يقول توسطوا في الامر فكيف نجمع الاصوات على الرأي الذي يتبع

فالطريقة الوحيدة أن تقول لنا الامة أنا وكلتكم فاعملوا ماتشاءون بشرط

أن تأتوا لنا بالاستقلال التام أما اذا ألزمتمونا بأن نخبركم عن كل حركة نقوم بها فاننا لا نستطيع أن نعمل ولا تستطيع الامة أن تباشر مصالحها الاخرى .

يقولون انت قلت للامة عن هذه الخطة فهل كفرنا ؟ لقد قلنا ذلك من قبيل الاحاطة

لسنا ممن يعارضون في ايقاف الامة على حقائق أعمالنا ولكن يجب الانتظار حتى تظهر هذه الاعمال فنحن لا نريد أن نشوش على الامة بل سنخبر الامة بعد تمام العمل

أما الآن فما زلنا في الطريق ولكن لا يستطيع أحد أن يطالبنا بأن نقول له عن كل مقابلة نقابلها وكل كلمة نقولها فعقلاء الامة وأغلبيتها لا يحرموننا من شرط حرية العمل في هذا الامر وأرجو من اخواننا الصحافيين وقد كنت زميلهم قبل أن أكون محامياً أن يتأنوا قليلا ولما يحصل الاتفاق على أمر نعرضه عليهم ولهم أن يوافقوا عليه واذا لم يوافقوا فيمكنهم أن يهيجوا الامة ضدنا

واني اطلب من المحامين وأنا أقدمهم أن يكونوا وكلاء عني عند الصحافة ليحققوا طلبي وهذه هي الخدمة التي أطلبها منهم

الاتفاق مع الوزارة

ولانتقل الآن الى مسألة الاتفاق مع الوزارة : نعم لقد صرحت بالأمس وقبل الامس اني أمد يدي الى الوزارة مادامت الوزارة تريد أن تجري على شريطة الوفد والوزارة تظهر لنا ذلك فاذا كانت تريد الاتفاق معنا على أن تكون مصلحة الامة مستوفاة ومرعية وأن تتكاتف معنا لنصل الى هذه المصلحة فأنا أول المؤيدين لهذه الوزارة أما اذا لم تكن تريد الاتفاق على مصلحة الامة بل لمصلحة أخرى لاتفي بمرام الامة فاني لا أتفق مع هذه الوزارة ولا أية وزارة أخرى

ولنتكلم الآن على مشروع ملنر فقد درستموه وأشبعتموه حق الدرس والفحص وجاء تقريره كاشفاً لحقيقة مرماه وتبين انه لا يفي بمطالبنا بل هو بعيد عنها بل هو يرمي الى ان يجعل شرعاً ما هو غصب فلا يمكن لنا تأييده واذا كان صح لبعض الصحف الانجليزية أن تقول انه يلزم لزغلول وزملائه أن يعملوا على عقد اتفاق يكون مؤسساً على تقرير ملنر والا ضاعت الفرصة من أيديهم فانا

بصفة كوني وكيلا عن الامة أنا وزملائي تتحمل هذه المسئولية ونرفض هـذا المشروع بتاتاً فليعلموا من الآن انه اذا كان قصدهم أن يؤسسوا معاهدة بيننا وبين انجلترا على أساس مشروع ملنر قبل تعديله بالتحفظات التي أبدتها الامة فهذا بعيد أن ينالوه منا و نؤكد لكم ان في رأينا ان الحالة الحاضرة بمراقبتها بأحكامها العرفية هي خير من التصديق على ذلك المشروع

والوزارة تعلم حق العلم منا هذا. تعلم ذلك ولا يمكنها أن تطمع في أن تحملنا على أن نتفق على هذا المشروع أساساً لمعاهدة بيننا وبين انجلترا . قلت وأكرر ما قلت اننا نتفق مع كل هيئة تساعدنا ولكن على الاستقلال الحقيقي: تساعدنا على أن يكون الغاء الحماية عاماً لا نسبياً . عاماً لجميع العلاقات بيننا وبين الدول لا نسبياً بيننا وبين انجلترا فقط وأن يكون الاستقلال لاموضوعاً خارج الشك فقط بل يكون تاماً كاملا في الداخل والخارج

المراقبة والاحكام العرفية

أما من جهة المراقبة والاحكام العرفيـة فقد قال حضرة النقيب عنها كلمة موجهة الى الوزارة ولكني أعتبرها موجهة للوفد لان الوفد اشترط هذا الالغاء قبل الدخول في كل مفاوضة وقد قيل لي بأن الاحكام العرفية فيها عقدة ويجب ان تعالج وهي مسألة الخفر والايجارات لان الاحكام العرفيـة تجعل الزيادة في الايجارات بنسبة ٥٠ في المائة وتلزم الاجانب بدفع رسوم الخفر وقد كان جوابي انه يصح ولا ينبغي لكرامة أمة أن تتنازل عن حريتها في مقابل مبلغ من النقود مهما كان شأنه . فلنحرم من كل لذة مادية . من كل سعة في العيش . ولكن لا نحرم من الحرية التي وهبها الله لنا

واذا قلتم ذلك فيما يختص بالاحكام العرفية فماذا تقولون في المراقبة على الصحف . ثم قال مازحاً «ولكن هذا دفاع عن الصحف على شرط أن لا يستعملوا الحرية ضدنا» فهذه العلة غير موجودة وليس هناك لا ايجارات ولا خفر وخصوصاً اننا رأينا في المجلس النيابي الانجليزي انه كلما يوجه سؤال للحكومة بشأن المراقبة تقول ليس لنا دخل في ذلك بل الامر منوط بالحكومة المصرية فتستند الحكومة على هذا الاعلان ولتلغ الرقابة ولتقل ان الاحكام العرفية ليس لها الآن موضع . فأنا وزارة

الامة ولا أحتاج للاحكام العرفية . أنا وزارة الامة ولا أخشى انتقاداً ولذلك ألغي الرقابة على الصحافة ولقد قلت في بياني اني سأتمشى مع ارادة الامة واني أسترشد بهذه الارادة ولا يمكنني أن أعرف هذه الارادة اذا كانت الصحافة مكممة نعم ما دامت الصحافة مكممة وهي مرآة الرأى العام فلا يمكن أن أسترشد برأى البلاد فلابد من الحصول على الوفاء بوعد الوزارة من الغاء الاحكام العرفية والمراقبة واني أعاهدكم أني لا أدخل في مفاوضة رسمية ولا أؤيد من يدخل فيها حتي يحصل هذا الالغاء

واسمحوا لي الآن أن أستسمحكم وأن أوجه أيضاً تكرار شكرى لكم

الخطبة العظيمة

في وليمة الهيئات النيابية المصرية

تحت رئاسة صاحب المعالي أحمد مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية

بفندق شبرد (بالقاهرة) الذي كتب على مظلته العليا بأحرف من النور الكهربائي الاحمر «سعد زغلول باشا» مساء ١٦ ابريل سنة ١٩٢١

يامعالي الرئيس
حضرات الاعضاء الكرام
سادتي

باسم زملائي وباسمي أقدم لمعاليكم ولحضرات شركائكم في هذا الاحتفال عبارات الشكر على ما تفضلتم به من الترحيب بنا واكرامنا ونعد هذا الترحيب وذلك الاكرام علامة على رضا الامة عنا . وهذا الرضا أكبر نعمة يفتخر بها اى انسان من أية أمة واني أهنيء نفسي بأن أكون في وسط تمثل فيه كل طائفة وكل صناعة وكل هيئة وكل أداة اجتماعية من كل ما يمثل مجموع الامة.

الطبقات والامة المصرية

الامة ليست الا قسما من الانسانية : ذا تاريخ واحد . ذا ذكر واحد . ذا تقاليد واحدة وذا عوائد واحدة يتكلم بلغة واحدة وينبض قلبه بشعور واحد وتجيش في صدره آمال واحدة . تلك هي الامة . والآمال التي تجيش في صدور الامة الآن هي (الاستقلال التام) (تصفيق)

ليس في الامة طبقات يمتاز بعضها عن بعض بل كلها طبقة واحدة . ليس فيها فلاح ولا باشا بل كذب من زعموا ان للباشاوات طائفة خاصة تريد بهذه الحركة أن تحكم البلاد بالظلم والاستبداد ، كذب هذا الزعم فينا ليس فينا طبقة تسمى طبقة الباشاوات ولا طبقة تسمي الفلاحين بل كلنا طبقة واحدة فالباشا يجوز أن يكون فلاحا والفلاح يجوز أن يكون باشا وليس هناك طبقة ممتازة عن الاخرى فاني أنا واخوتي وكثيراً من أقاربي فلاحون وأغلبهم من أصحاب الجلاليب الزرقاء وأنا باشا . وكذلك كثير من الحاضرين الآن باشاوات اخوتهم آباؤهم ، اخوانهم ، أقاربهم من حملة الجلاليب الزرقاء أيضاً (تصفيق)

الدين . الاجانب . الامة الانجليزية

وكما انه ليس فينا أثر للطبقات كذلك لا أثر عندنا مطلقاً لاختلاف الاديان فمن يوم أن ظهر فجر النهضة الحاضرة رأينا في أفق مصر الصليب يعانق الهلال . وراينا هذا التعانق رمزاً للسلام والاخاء . ليس رمزاً للسلام والاخاء بين القبطي والمسلم فقط بل بين المسلم وغيره ممن يدين بديانة أخرى . بين المسلم وكل من يدين بديانة أخرى سواء كان في مصر أو خارج مصر . سواء كان وطنياً أو أجنبياً

ليس عندنا أثر للاختلاف بين الاديان كما قلت وهذا التعانق رمز لذلك الاتحاد الذي لا يحد بحدود بلادنا بل يمتد الى ماوراء حدودها ولذلك كنا متشبعين بروح التسامح نحو كل أجنبي ونحفظ للاجانب عندنا من الاحترام والرعاية ما يستحقونه بما عطفوا به علينا لانني أعترف علناً كما يعترف أبناء جنسي واخواني بأن الاجانب أظهروا عطفاً جميلا على النهضة الحاضرة

واني بلسانكم بل بلسان الامة جميعاً أوجه لهم عبارات الشكر على هذا العطف كما

أبدى لهم أجمل عبارات التشكر على الترحيب بقدومنا كالوطنيين أيضاً ، وتؤكد لهم ان مصر المستقلة ستكون — ستعمل — ستبذل جهدها في ان تكون صديقة كريمة لهم وانها تبذل وسعها في أن تستحق الشرف بان تكون محل صداقتهم وولائهم

وكلامي هذا اذا قلته عن الاجانب جميعاً أقوله عن كل الاجانب وفي مقدمتهم الامة الانجليزية الكريمة فلتتأكد هذه الامة وشعبها ان مصر تكون صديقة، ان مصر المستقلة تضع يدها بعزة وبكل حرية في يد انجلترا لتعقد اتفاقاً معها مبنياً على العدالة واحترام الحقوق

مشروع لورد ملنر — والصحافة

فهل مشروع لورد ملنر واف بهذا الغرض أم لا (أصوات من كل مكان . كلا ! كلا) وكذلك أقول كلا وألف مرة كلا ! !

كنت أحب أن أقدم لكم حساباً دقيقاً ، أن أقدم حساباً دقيقاً بصفة كون الوفد وكيلا عنكم في المأمورية التي كلفتموه بها وهي السعي في الاستقلال التام

كنت أود أن أقدم لكم حساباً دقيقاً عن المفاوضات التي جرت بيننا وبين لجنة لورد ملنر لتقفوا كل الوقوف على كنه هذا المشروع حقيقة ولكن يظهر ان الوقت لم يأت بعد خصوصاً وان الصحافة واقفة لنا بالمرصاد (ضحك)

وعشمي أن تزول هذه المراقبة قريباً وكل يبدي فكره بكل حرية وكل يحاسب نفسه على كل عمل يبديه قبل أن يباشره . وحقيقة ان مراقبة الصحافة من أنجع الوسائل ليمتنع الانسان عن مباشرة الاعمال التي لا يصح له مباشرتها لو كان حراً من المراقبة . اعترف بذلك

قلت ان مشروع ملنر لا يحقق هذا الغرض ولأبين ذلك بطريق الاجمال وأترك التفاصيل لفرص أخرى . اننا نطلب الاستقلال الداخلي والخارجي ومشروع ملنر قضى فيما يختص بالشؤون الخارجية أن تكون مصر تابعة لانجلترا تبعية مطلقة فلا يمكنها أن تعقد معاهدة بغير رضاها ولا يمكنها أن تجري على سياسة مخالفة لسياسة انجلترا وقال هذا اللورد ملنر في تقريره . ان هذا أمر واجب محتم لا مفر منه وان وضع العلاقات الخارجية موضع المراقبة للحكومة الانجليزية أمر مهم وقضى به مشروع ملنر ونحن بالطبيعة لا نريد هذا — هذا في

الشؤون الخارجية — لا نريد أن تكون مصر تابعة تبعية مطلقة للدولة الإنجليزية ولكن لا نريد أن نتحالف مع دولة أخرى بدون رضا الدولة الانجليزية وفي هذا القدر كفاية : اذا حالفتنا انكلترا فلا ينبغي أن نحالف دولة أخرى الا برضاها . ولكنا نكون أحراراً في عقد معاهدة سياسية أو اقتصادية أو تجارية حسبما تقتضيه مصالحنا — اما ان يكون التمثيل الخارجي على حساب تقرير ملنر قاصرة وظيفته على كم أفواه المصريين الذين يشكون من الادارة الداخلية هذا لا نقبله مطلقاً لانا لا نريد أن نصرف مصاريف لان تمتنع شكوانا من الظلم والاستبداد — اذا أرادوا أن نمتنع عن الشكوى فيبلغوا لنا ارادتنا ونحن لا نشكو ونكون أصدقاء أوفياء لهم

ولكن التمثيل الخارجي الذي يضع المصريين تحت المراقبة فاذا اشتكوا أعيدوا الى بلادهم ولا سحب القنصل المصري فبذا لا يمكننا أن نفعله

في الشؤون الداخلية

ذلك فيما يتعلق بالشؤون الخارجية أما فيما يتعلق بالامور الداخلية فالمشروع يقضي بان يكون للحكومة الانجليزية مراقبة تامة فيما يتعلق بجميع المصالح التي لها مساس بالاجانب وأنا أستعمل العبارات التي استعملها اللورد ملنر في تقريره كل مصلحة لها مساس بمسائل الاجانب يجب بمقتضى مشروع ملنر أن تكون تحت المراقبة الانجليزية

أروني . بينوني . أي مصلحة خالية من المساس بهذه المصالح ؟ ؟ حتي الاوقاف ؟ حتي الازهر ؟ أي مصلحة تتصورون انها خالية من المساس من المصالح الاجنبية ؟ لا تجدون

حينئذ لا يمكننا أن نقبل بأن مراقبة انجليزية تكون في جميع الادارات التي لها مساس بالمصالح الاجنبية

وكذلك يراد ان يكون للانجليز دخل في التشريع الاجنبي والقضاء الاجنبي بمقتضى مشروع هرست وسأتكلم عنه قليلا لاني نسيت أن أتكلم عنه في الليلة السابقة

مراقبة في القضاء والادارة وكل ماله مساس بالاجانب وليس هناك مصلحة خالية عن هذا المساس فحينئذ تصبح جميع الادارات المصرية باختيارنا ورضانا مراقبة بالحكومة الانجليزيه — ليست هذه حماية مطلقة — بل هذا اشتراك في السيادة الداخلية ـ نحن نرفض الحماية ولكنهم يريدون أن يستبدلوها بالاشتراك في السيادة الداخلية وهو مالايرضاه الوفد المصري ولايقبل أن يتوكل في الغاء الحماية فيعود بمشروع هو اشراك الانجليز في الادارة المصرية أو السيادة الداخلية—هذا مالايمكننا أن نقبله قبل أن نلغي عقولنا وقبل أن نعتبركم أنعاما!

ومن حاول أن يجعلكم تقبلون مشروعا يقضي بهذه المراقبة على هذه الطريقة فانما يحاول محالا كما تبينته منكم ومن اجماعكم . فاذا كانت دعوتنا للمفاوضة القصد منها أن نوافق على معاهدة تكون مؤسسة على هذه المراقبة فليبشروا بان سعيهم خائب لاننا لا ندخل في مفاوضة تكون نهايتها تأسيس هذه المراقبة واني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عنكم جميعاً وباسمكم وباسم الامة المصرية أرفض كل اتفاق يكون هذا الغرض منه

خطة الوفد

ولذلك لما عرض علينا مشروع ملنر وتبينا عنه هذا القصد وذلك المرمى لم نقبله وصرحنا باننا لم نرض عنه وأعلنا كم بذلك في بيان نشر عليكم . ولما دعينا بعد ان استشرتم وأبديتم من التحفظات ما أبديتم وعرضناها على لجنة اللورد ملنر وأبت أن تبحث فيها وأحالتها على المفاوضات الرسمية وقالت ان هذه المفاوضات ستجرى على أساس مشروع ملنر قلنا لا يمكننا مطلقاً أن ندخل في هذه المفاوضات على هذا الاساس قبل تعديله بتلك التحفظات ولا يمكن للوفد أن يقبل هذا الدخول كما لا يجترىء أي مصري للامة ثقة به أن يتفاوض على هذا الاساس قبل تعديله بالتحفظات

هذه خطة رسمناها مستأنسين بمبادئكم التي عاهدناكم على أن نلتزمها و تنفذها — علمنا بمبادئكم ومقاصدكم حملنا هذا على القول بأنا لا نقبل ولا نسمح لاي انسان كان أن يدخل على هذا الاساس قبل تعديله بالتحفظات

ولقد حبذتم رأينا وأيدتم خطتنا وعاهدناكم على متابعتها

حالة جديدة

ولكن بعد ذلك صدر تصريح من الحكومة الانجليزية قالت فيه ان نظام الحماية ليس علاقة مرضية — كويس قوي — ويجب السعي في استبدالها بعلاقة أخرى ، عبارة علاقة أخرى لا تعجبني قوي كأنما يجب أن نرتبط بعلاقة ما — ويجوز ان هذه العلاقة تؤدي وصفها (الحماية) ولا يكون لها اسمها — اسمها وأثمها — واعتمدوا في ذلك على ما قيل لهم وما ضللوا به من ان المصري يفرح باللفظ — يكره اللفظ ولا يعتني بالمعني اضلالا لهم كبير ! انكم لستم ممن تغرهم الالفاظ وبهرجتها . سيان ان كان استقلالا حقيقياً وسموه الحماية أو كان حماية وسموها الاستقلال . انما تريدون استقلالا حقيقياً مهما كان اسمه وترفضون الحماية مهما سموها استقلالا أو سيادة أو ما شاؤوا من الفاظ ضخمة فخمة

لسنا عباد الفاظ . لسنا طلاب عبارات . لسنا نخدع بهذه المسائل ولكنا طلاب معان . طلاب حقائق . طلاب الحرية ليس الا

حق شائع

فالمشروع يؤيد المراقبة على كل مصلحة ويجعل لانجلترا حصة شائعة . حقاً شائعاً في السيادة المصرية.حقاً شائعاً لا حماية. كلكم تعرفون ما هو الحق الشائع وما يفعله صاحبه اذا كان قوياً وأنتم فلاحون فاذا كان لقوي حصة شائعة في أرض أو في مكان فانكم تعلمون ما يفعله هذا القوى — هكذا يراد أن يكون حكم بلادنا بالاشتراك مع الامة الانجليزية ويكون لها حق شائع في السادة . أترضون ذلك (أصوات كلا ! كلا)

خصوصاً وان هذا الحق الشائع الذي نقبله ونرضاه باختيارنا وبعدأن نهضنا هذه النهضة وضحينا ما ضحينا — استعمال هذا الحق سيكون مستنداًومرتكزاً على قوة تعسكر في بلادكم

ما الذي نصنع اذا جاءنا هذا الشريك وقال الامن مختل في مديرية الغربية . السبب المدير . الاجانب مضطربين . اعزلوا المدير — يعزل المدير

أو قال السكة الزراعية لا تمر من هنا لانها تضر بالاجانب — لا تمر السكة

الحديدية لا يمكن أن تمد الخ ، ولا أستطيع أن أشرح جميع المضار انما الذي أستطيعه هو ان أقول ان هذا المشروع يقضي بترتيب حق شائع لانجلترا في السيادة الداخلية مرتكن على قوة عسكرية وما وكلتم الوفد ليأتيكم بهذا الشريك القوي لينازعكم في كل قول ، في كل عمل ، فاذا رضيتم أ ورضيت أغلبيتكم بشيء من ذلك فلسنا معكم مطلقاً

قالوا تغيرت الحال

قالوا انه بعد التصريح الانجليزي تغيرت الحال لان المفاوضة لا تكون على أساس مشروع ملنر وانما يؤخذ رأيكم فيه

هذا جدير بالاعتبار وان كان صاحبي أمين بك الرافعي لا يشاركني في الرأي واذا كان وحده وأنتم معنا نغلبه

اذا كان الاساس ليس مشروع ملنر وانما المراد أخذ رأي المفاوضين المصريين أخذ رايهم عن مشروع ملنر — افرضوا ان المتشرف بخطابكم هو المفاوض المصري واني سئلت رأيي فيه — أقول رأيي فيه لا تقبل ولا تقبل مصر أن يكون هناك مستشار في الحقانية — ولا تقبل ولا تقبل مصر أن تكون مراقبة في الامور الخارجية ولا تقبل مصر أن يكون تنفيذ المشروع معلقاً على قبول الدول حلول انجلترا محلها

يجرى ايه ، جناب مكاتب التيمس جاءني وتكلمت معه وقال لي ماذا تريد فقلت له ما أريده . واذا ذهبت الى لندره وقابلت اللورد كرزون وقال عاوزين ايه تقول عاوزين الاستقلال — ليس هناك ضرر

انما الضرر اذا دخلنا المفاوضة على أساس المشروع قبل تعديله أما الدخول على غير هذا الاساس فلا ضرر منه — ان قدموا لنا مشروعاً ليس فيه مشاركة في السيادة الداخلية قبلناه

وما دمنا غير مرتبطين بهذا الاساس ندخل واثقين حريصين للحصول على الاستقلال فان وجدناه عندهم تعاقدنا معهم عليه وقبلناه والا نسلم عليهم ونعود هل في هذا ضرر؟

القاعدة

القاعدة عندنا ان كلام أو مخابرة أو مفاوضة لا يترتب على الدخول فيها سقوط حق أو فوات حق فهي جائزة مادام المفاوض موثوقاً به

أما اذا كان الدخول في المخابرة أو المفاوضة أو المحادثة يستلزم سقوط حق أو فوات منفعة فلا يصح لاي مصري وفداً كان او غير وفد أن يباشرها وعلى كل مصري اذا وجد شخصاً يتقرب منها فعليه أن يحاربه سواء كان سعد زغلول أو عدلي باشا يكن

وخلاصة جملتي انى أقول — في كل موطن . في كل محل . في كل فرصة لايترتب على كلام المصري فيها سواء كان وفداً أو وزارة أو صحافياً أو أي انسان ضياع حق لمصر يجب عليه أن يتكلم

وفي كل موطن وفي كل فرصة يرى فيها المصري سواء كان وفداً أو غير وفد فائدة في الكلام فليتكلم

أنتم وكلتمونا للسعي في الاستقلال التام فيجب علينا أن نسعى للاستقلال التام

الوسائل مسلمة للنواب

وطريقة هذا السعي ووسائله ومايتعلق به مسلمة لنوابكم فاذا وجدنا فرصة للسعي سعينا كما هو توكيلنا وان لم نجد أحجمنا

هذا الذي نفهمه منكم ونعاهدكم عليه ونسعى فيه

وانى اكرر في الختام تشكراتى لكم جميعاً حتى المخالفين منكم في رأيي.



٢٥

خطاب معالي الرئيس

في حفلة الطلبة بالقاهرة

سادتي

اخواني

أبنائي الاعزاء

أتقبل والخشوع يملأ جوانحي تحية أولئك الاطهار الذين وهبوا أرواحهم لمجد البلاد وكتبوا صحيفة ذهبوها بالدماء (تصفيق) رضوان الله عليهم ورحمته فقد كانوا أول من اشترك في بنيان مجد مصر وتأسيس النهضة الحاضرة

ثم أتقبل والسرور يملأ نفسي تحية الاحياء، تحية أولئك الابناء الذين هم عماد النهضة الحاضرة، هم أنتم . هم الشبيبة التي نشتغل لهم

وأتقبل والسرور أيضاً يملأ جوارحي أن أكون على رأس أمـة لا تساق سوق الانعام ولكنها تسير خلف المباديء لا الاشخاص (هتاف وتصفيق).

أفتخر بأن أكون على رأس أمة حية شاعرة مفكرة ذات آمال قوية في الاستقلال التام

وأتقبل أيضاً أن أعاهدكم عهداً لا أحيد عنه بأني أموت في السـعي في استقلالكم التام فان فزت به فذاك، والا تركت لكم تتميم مابدأت فيه (تصفيق وهتاف ليحيي سعد باشا)

وليس لرئيس جنوده مثلكم أن يلحقه ضعف أو يميل به مميل الى غير الخطة التي رضيتموها، حرام علينا وكبير وزر ، حرام علينا وكبير جرم أن نأتي لكم بمشروع يخلد ذلكم جناية كبرى — ثم جناية كبرى أن تسلموا لنا أموركم وان نجعل المستقبل مظلماً في أعينكم يجب علينا اما أن نحفظ حقوقكم أو اننا نترك العمل لكم ولذلك يهمني أن أقول لكم أن مشروع لورد ملنر لا يمكن قبوله مطلقاً قبل تعديله بتحفظاتكم أن يكون أساساً لاتفاق بيننا وبين الامة الانجليزية ومن يحاول أن يجعل هذا أساساً لاتفاق فانما يحاول اضلالكم — يحاول ان يضرب عليكم الذل الى يوم الدين :

وصية للطلبة

وقد أبنت لسامعين آخرين لم تكونوا بينهم شيئاً من تفصيل هذه الحقيقة وأشعر بباعث من نفسي وأنا بين أيديكم أن ألم بطرف مما قلته لتكون الشبيبة التي نشتغل لها والتي هي صاحبة الشأن في مستقبلها على بينة من أمرها
واذا مت قبل انتهاء الامر في هذا فوصيتي اليكم أن لاتقبلوا هذا المشروع مطلقاً (تصفيق وهتاف ليحي سعد باشا على الدوام)

نقد المشروع — الامور الخارجية

ليس الامر لعبة لاعب بل هو جد أمة جد شعب ، ليس الامر مسألة حزب بل هو حياة أمة بتمامها

مشروع اللورد ملنر قضى بان تكون الامور الخارجية تحت مراقبة الدولة البريطانية بحيث لا يمكن مصر أن تعقد أية معاهدة بدون رضاء الحكومة الانجليزية وحينئذ لا فائدة لنا مطلقاً في أن يكون لنا ممثلون في الخارج لانهم لا عمل لهم

ولكن الانجليز أبانوا لنا عملا لهؤلاء الممثلين اذا وجدوا — ماهو ذلك العمل ؟ أظنكم قرأتموه في الجرائد ولو لم يكن واضحاً

قالوا ان الفائدة من وجود ممثلين لمصر في الخارج بناء على ذلك الاتفاق هو أن قناصل مصر وسفراءها يشتغلون في أنهم اذا رأوا واحداً يتكلم (كلام بطال وساعي سعي وحش بيشتكي) مثلا من الظلم الحائق بنا يعيدونه الى بلاده يعني يكونون عبارة عن بوليس يضبط كل من يرفع صوته بأن بلاده مظلومة. هذه هي وظيفة القناصل في رأي اللورد ملنر اذا أمضينا هذا الاتفاق فاذا كان شاب منكم (وأشار الى أحد الطلبة) موجوداً خارج بلاده وجعل يتكلم ويلقي محاضرات ويقول ان هؤلاء القوم يظلموننا ويحكمون على الناس ظلماً وعدواناً فان القنصل يقول له لا نريد هذا الكلام لانه معاكسة للسياسة الانجليزية ويجب أن ترجع الى بلادك . هذه هي الوظيفة التي أرادوا أن يجعلوها لقناصل مصر . فنحن نصرف المصاريف لماذا ؟ لاجل أن نساعد الظالمين على ظلمهم

كلا ؛ لا يليق بكرامتنا أن تكون نتيجة سعينا في أن يكون لنا مظهر خارجي امام الدول — هذا المظهر الخارجي وظيفته كم أفواه الذين يشكون من ظلم يحل بنا

كلا ؛ هذا لايليق بكرامتنا ولهذا يجب علينا أن نرفض هذا الوجه رفضاً باتاً

الامور الداخلية

هذا فيما يتعلق بالامور الخارجية . أما في الامور الداخلية فما ذا قضى به مشروع لجنة لورد ملنر ؟ قضى بأن تكون هناك قوة عسكرية — ماوظيفتها ؟ — وظيفتها تأمين المواصلات بين الدولة الانجليزية وأملاكها في الشرق الادنى والشرق الاقصى وهذا التأمين يستلزم أن تمر عساكرها من الارض ومن السماء ومن الماء أي أن تصبح أرض مصر وسماء مصر وماء مصر ممراً للجنود الانجليزية

ولا يخفى عليكم ما يترتب على هذا من الضرر البين. ليس هذا استقلالا لان بلداً يكون ممراً ومعسكراً لجنود دولة أخرى لا يمكن أن يكون مستقلا بل هو مهدد على الدوام بهذه القوة العسكرية

نتج من هذا ان مصر تكون تحت مراقبة حربية بمقتضى هذا المشروع ونحن لا نقبله (تصفيق)

قضى أيضاً مشروع لورد ملنر بان انجلترا ومصر تشتركان في تعيين مستشار مالي انجليزي تكون له خصائص صندوق الدين وفضلا عن ذلك يكون تحت تصرف الحكومة المصرية في أن يشير عليها بكل ما يمس المصالح المالية

والانجليز في التعبير لطاف جداً وشاعرون باننا أناس نأخذنا العبارات — يقولون « تحت تصرف الحكومة المصرية » — كلمة تنفخنا وهم فاهمون انهم اذا قالوا لنا هذه العبارة الفخمة الضخمة يجعلوننا نقبلها ! ! لكن لماذا نقبل هذا ؟ هل طلبنا هذا الطلب ؟ كلا ! ان كنتم تريدون جعل هذا الموظف تحت تصرفنا حقيقة فقولوا له هذا فيما بينكم وبينه فقط حين تعيينه ولكن لما ذا تلزموننا بهذه العبارة الجذابة في معاهدة مع اننا لم نطلبها ؟ اننا نرتاب في هذه العبارة مهما كان باطنها لانها لو كانت بناء على طلبنا نحن المصريين لكان ممكناً أن لا نسيء الظن ولكن هذه الملاطفة غريبة ومع ذلك فاني قلت لهم هذه كرامة وملاطفة

منكم أشكركم عليها ولا لزوم لها فقالوا « لا لازم تخدوها غصب عنكم »

وقالوا يجب أن يكون في الحقانية موظف انجليزي يعين باشتراك الحكومتين وتكون وظيفته ملاحظة القوانين الماسة بالاجانب ويكون له حق الدخول على الناظر المصري — هذا شيء لطيف جداً فقد احتاج الدخول على الناظر الى مثل هذا النص ؟ طيب أليس كل واحد له هذا الحق ؟؟ هل الناظر محجوب ؟؟ لماذا يكون الانجليزي في المعاهدة له هذا الحق ؟؟ قالوا نريد تنويركم وربما احتجتم الى استشارة فالاحسن أن يكون له حق الدخول عندكم ويجب وضع هذه العبارة في المعاهدة !! قلنا لا نقبل قالوا لا لازم تقبلوا !!

ماعمل هذا الموظف ؟ وظيفته الاصلية هي المراقبة على تنفيذ القوانين الماسة بالاجانب وهم يريدون أن يحلوا محل الاجانب ويمكن أن نرضى بذلك تحت شروط خاصة . ولكن هل الاجانب لهم الآن هذا الحق ؟ هل لهم موظف في أي نظارة من خصائصه أن يلاحظ تنفيذ القوانين الماسة بالاجانب ؟ كلا ! فاذا أراد الانجليز أن يحلوا محلهم فلماذا يطلبون ذلك الحق الذي ليس للاجانب الآن ؟ لماذا يخلقون لانفسهم هذا الحق ؟ هذا أمر لايمكننا أن نقبله !

ان هذا مشروع في تقرير ملنر !! وهو ان له الحق في المراقبة على جميع المصالح التي لها مساس بالاجانب . حينئذ اذا قبلنا هذا المشروع فاننا نقبل بطوعنا واختيارنا وبعد أن ضحينا بما ضحينا به وبعد أن قلنا اننا أمة حية تريد أن تعيش معيشة الاحرار — نقبل باختيارنا ويقبل سعد زغلول والوفد المصري ان الانجليز تكون لهم مراقبة على كل المصالح الماسة بحقوق الاجانب . يعني جميع الادارات المصرية كما قلت في غير هذا الجمع حتى الازهر حتى الاوقاف !!

مصالح الاجانب غير مفروزة بل شائعة في الامن وفي الري وفي الادارة — شائعة مشتركة بيننا وبينهم فالموظف الذي يكون من خصائصه مراقبة المصالح التي للاجانب مساس بها أو لها مساس بالاجانب يتدخل في كل شيء لان مصالحهم منقسمة — ليست منعزلة ، ليست مفروزة ، بناء على ذلك اذا قبلنا هذه المراقبة كما قلت وكما أقول وأكرر نكون قد قبلنا أن يكون للانجليز حق شائع في السيادة الداخلية المصرية فهل لهم هذا الحق الآن ؟ ؟ لا ! فان أعطيناه لهم فانهم ينازعوننا في كل شيء وهم أقوياء ونحن ضعفاء خصوصاً وان الدول والاجانب

سيرحلون عن مصر ولايكون لهم شأن في أمور مصر ويكون الامر محصوراً بيننا وبين الانجليز أي بين قوي وضعيف فلمن نشكو ظلمهم اذا ظلمونا ؟؟ لعصبة الامم ؟؟ « مفيش » وقد كانوا عرضوا علينا مشروعا فيه عصبة الامم ولكن عادوا فاستكثروا هذا علينا وحذفوا حقنا في الشكوى اليها

وما دامت الدول نفضت يدها منا فلا يمكننا أن نأخذ منهم لا حقاً ولا باطلا لان طبيعة الكون تقضي بأن يتغلب القوي على الضعيف اذا شاركه وعلى كل حال ستكون هذه الشركة كشركة الحصان مع الخيال — من يركب الخيال بلا كلام (ضحك شديد وتصفيق حاد)

لانخادع أنفسنا وأنا لو كنت مكانهم لفعلت هذا وركبت مادمت قوياً ومهما قال الانجليزي غير ذلك الآن وربما كان صادقاً اليوم ولكن متي رأى انه لاحد بيننا وبينه وانه هو قوى فلماذا لايركب

حينئذ لايمكننا أن نقبل هذه المراقبة التي تؤول الى أن يكون لانجلترا حق شائع في السيادة الداخلية المصرية ولهذا أؤكد لكم ان الامة المصرية جميعها لو قبلت هذا المشروع فاني أنا لا أقبله مطلقاً

يمكن هناك من يخالفونني من اخواني الشيوخ أو من هم أكبر مني سناً وان كان بعضكم قال ان عمري سبعون !! ضحك . ولكن أنتم لاتقبلون ولا أصغر منكم يقبل ولا أكبر منكم وكان أحب شيء الي بصفتي تعرفت بأن عينت زعيما لكم — أنا كنت أول محب لان ينتهي الامر — ألستم تريدون الاستقلال ؟؟ هذا هو جئنا به لكم فلنعمل الافراح والليالي الملاح وليحيي سعد زغلول . لكن سعد يقول هذا ليس استقلالا حتي ليس حماية . هذا اشراك في السيادة الداخلية المصرية .

احدى اثنتين : اما انى أنا مجنون أومن يريدون القبول مجانين لكن أنا لست مجنوناً لانكم تقولون انى رئيسكم (ضحك وتصفيق حاد وهتاف)

لهذه الاسباب فمشروع ملنر لا يمكننا أن نقبله أبداً

التحفظات

عرض هذا المشروع على الامة فأبدت فيه تحفظات وتم ما أبدت وفرحت

أنا جداً وكنت على الحياد ولكنني أشرت في بياني الذي تشرفت بعرضه على الامة الى انه مخالف لامانينا وخارج عن حدود توكيلنا ولذلك رفضناه وأعلنا لجنة لورد ملنر بعدم رضانا عنه وسلمنا اليكم الامر في قبوله أو رفضه

ولما أبدت الامة هذه التحفظات فرحنا جميعاً وحملنا هذه التحفظات الى لجنة لورد ملنر وعرضناها عليها وهنا أرجو أن تلتفتوا جيداً الى هذه النقطة وأدعو الصحافة على الخصوص الى الالتفات الشديد

قالت لجنة لورد ملنر انى لا أبحث الآن في هذه التحفظات وأرجأتها الى المفاوضات الرسمية وقالت انه يجب الدخول في المفاوضات الرسمية على هـذا المشروع منفذ للتحفظات فلو يقضي مثلا بمستشار مالى وظيفته ماشرحنا وموظف في وزارة الحقانية اختصاصه ما بيننا فاتخاذه أساساً للمفاوضات الرسمية تنزل عن التحفظات واذا قبلنا الدخول في المفاوضة على أساس هذا المشروع حينئذ لا يمكن أن تقبل تلك التحفظات لانها منافية لاحكام المشروع

لذلك قلنا للورد ملنر وكتبنا اليه أيضاً انه يستحيل علينا الدخول في المفاوضة الرسمية على أساس هذا المشروع قبل تعديله بالتحفظات التي أبدتها الامة لاننا اذا قبلنا الدخول على هذا الاساس كان هذا قبولاً منا لاحكام المشروع ولسنا قابلين له حينئذ لانقبل الا اذا عدل بتحفظات الامة

وقد عرضوا علي ان اؤلف وزارة تحت رياستي لهذا الغرض فأبيت وقلت لا أقبل مطلقاً (تصفيق وهتاف ليحي الرئيس الابى) أبيت لأنى لا أقبل مطلقاً وظيفة رسمية بعد اذ أحللتموني ذلك المحل الرفيع من قلوبكم (تصفيق) ولأنى لا أقبل مهما كان الحال أن أخطو خطوة فيها ضرر لكم . رفضنا وأعلنا خطتنا للامة والامة أيدت هذه الخطة وهي أن لا تدخل في المفاوضة الرسمية على أساس مشروع لورد ملنر قبل أن يعدل بالتحفظات

حالة جديدة

فهل حدث حادث بعد ذلك يستوجب ان تغير هـذه الخطة ؟؟ حدث ان الحكومة الانجليزية صرحت تصريحاً حديثاً بان علاقة الحماية غير مرضية وانها تبغي أن تستبدلها بعلاقة أخرى يكون الغرض منها ضمان مصالح انجلترا

الخصوصية وتمكين انجلترا من تقديم الضمانات الكافية للاجانب والتوفيق بين هذين وبين أماني المصريين الشرعية ودعي عظمة السلطان لان يؤلف وفداً رسمياً ليؤخذ رأيه في تقرير ملنر وتألفت الوزارة العدلية لاجل المفاوضة

رؤي ان هذه خطوة للامام وان كانت ليست المطلوبة ولكنها خطوة لان الحماية التي نفيناها لاننا قلنا انها لاغية ، هم أنفسهم اصبحوا يقولون انها علاقة غير راضية فهذه خطوة الى الامام

وقالوا لنا ان المفاوضات لا تكون على أساس مشروع لورد ملنر حينئذ لا يعد دخولنا في المفاوضة قبولا لمشروع لورد ملنر ولا لاحكامه لانهم يريدون أن يأخذوا رأينا في اقتراحاته واذا كنت أنا المفاوض أقول مشروع ملنر لا أقبله ولا يحرجني انى ذهبت لابساً الحلة الرسمية فأقول لهم لا نقبل ونبين لهم أن الحكم الفلاني والحكم الفلاني والفلاني الذي هو موضوع التحفظات

وما دام الامر كذلك والمفاوضة لا تقيدنا بشيء ولا تربطنا بشيء ولا تستلزم اسقاط حق لمصر أو اضعافه ولا فوات منفعة عليها فلا أتأخر عن الكلام مع أي انسان كان حائزاً لصفة رسمية أو غير حائز واعتمادي في ذلك أولا على ثقتكم بي وثانياً على ثقتي بنفسي (تصفيق)

وليس لقائل أن يقول ان هذا تغيير للخطة لان الخطة مبنية على الامر الذي شرحناه وهو ان المفاوضات تكون على أساس مشروع اللورد ملنر أما الآن فليست كما يقال على مشروع اللورد ملنر بل أخذ رأي في مشروعه

يقول أمين بك الرافعي الدعوة لاي غرض ؟ لغرض استبدال علاقة الحماية بعلاقة أخرى ، ونحن نقول اننا من بادىء الامر عند ما ألفنا الوفد نادينا بأننا نريد الاستقلال التام مع المحافظة على مصالح انكلترا ومصالح الاجانب في مصر وهذا برنامجنا نقبل ما اتفق معه ونرفض ما عداه فاذا ذهبنا اليهم قلنا لهم ماهي المصالح التي تريدون المحافظة عليها ؟ ان عندنا لكم جميع الضمانات ، وقد أقمنا لهم الدليل على كل ما قلناه ففي مسألة قناة السويس مثلا قلنا اننا يمكننا أن نحافظ عليه ولا أحب أن أدخل في التفاصيل فقد تكلمنا معهم كثيراً على قنال السويس وذكرنا لهم كل ما يجيش في صدوركم من الحجج لدفع ما طلبوه من اقامة معسكر لها على القنال ولا فائدة من تكريره الآن

يقولون حفظ المواصلات — نقول لهم كلا لا نقبل هذا لانكم لم تحتلوا مصر لهذا الغرض بل لغرض آخر بدليل أنكم وعدتم بالجلاء عنها والا لما وعدتم بالجلاء وأنتم قوم صادقون في وعدكم ولا يتفق جلاء العساكر مع بقاءها لحفظ المواصلات . واذا كان هذا الحفظ يهمكم فلانوافقكم عليه لان الفائدة من الشيء لاتكسب الحق فيه ففائدتي في مافي هذا الطبق مثلا لاتجيز لي أن يترتب لي حق واذا كانت لانجلترا فائدة فليست هذه الفائدة بصالحة لان يتأسس عليها حق من الحقوق فلا نقبل أبداً

هذا فيما يتعلق بمصلحة انكلترا الخاصة أما تمكين انكلترا من الحلول محل الدول وتقديم الضمانات للاجانب فقد عرضنا لهذه المسألة حلا مرضياً في هذا المشروع الذي قدمناه للجنة اللورد ملنر ولانزال نصر عليه

إذا دخلنا في المفاوضات الرسمية بناء على أن الدخول فيها ليس على أساس مشروع ملنر وقلنا ان هذه الاغراض نوفيها بهذه الكيفية يقول أمين بك الرافعي لاتدخلوا لان دخولكم في المفاوضات الرسمية مخالف لخطتكم — خطتنا أيه ؟ هل هي عقائد دينية ؟ هذه خطة كانت موضوعة لعلة وقد زالت هذه العلة . وهي إن المشروع كان أساس المفاوضات ولكن الآن المشروع غير موجود وليس أساساً للمفاوضات ولسنا مقيدين به ومادام ان المشروع ليس أساساً للمفاوضة فلا معنى للكلام على التحفظات وانما حينما يقولون لنا نريد موظفاً في الحقانية نقول لا نقبل أو تعليق التنفيذ على رضى الدول نقول لا نقبل . أي ان المفاوض المصري يستأنس بالتحفظات ويجعلها نصب عينيه لاباسم التحفظات بل بعنوان طلبات من الامة ولكن أمين بك يقول امتنعوا أنتم واتركوا الحكومة لتأتي لكم بالتحفظات أولاً — أيه الكلام ده مادام المشروع ليس أساساً للمفاوضة

فاذا اتفقت الوزارة العدلية مع الوفد المصري في أن السعي لدى الحكومة الانكليزية يكون للغايات الآتية :

أولا الغاء الحماية التي وضعت سنة ١٩١٤ والتي ورد ذكرها في معاهدات الصلح

ثانياً الاعتراف باستقلال مصر التام الداخلي والخارجي مع ملاحظة ارادة الامة التي أيدتها في التحفظات

اذا قبلت وزارة عدلي باشا أن تصرح هذا التصريح ويصدر به مرسوم سلطاني

فلا أتأخر عن المفاوضة مطلقاً (تصفيق حاد وهتاف ليحي الرئيس الاكبر)
هناك أيها السادة وأيها الابناء نضع أيدينا في أيديهم ونكون كسبنا ان الامة المصرية بتمامها والحكومة وفي رأسها السلطان يطلبون الاستقلال التام
هذا ما أردت عرضه عليكم وأنا أشكر هذه الفرصة لانها مكنتني من أن أبدي كل ما أفتكره في هذا الموضوع مما يهمكم معرفته وأترك لله سبحانه وتعالى عاقبة الامور

خطاب معالي الرئيس

فى حفلة لجنة الاستقبال تكريماً لمعاليه وزملائه

التي أقيمت بفندق شبرد في يوم ٢٠ ابريل سنة ١٩٢١

سعادة الرئيس ! حضرات اصحاب الدولة والمعالى الوزراء ! سادتي !
اقدم اجل عبارات الشكر لسعادة رئيس لجنة الاحتفال وحضرات اعضائها الكرام لما قاموا به من الترحيب بنا ومن اكرامنا على الوجه الذي رأيتموه
أقدم هذا الشكر بالنيابة عن حضرات زملائي وبالاصالة عن نفسي وانى لسعيد بأن حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الاحتفال وحضرات أعضاء لجنته هيئوا لي فرصة ، هيئوا لي فرصة الوجود بين حضراتكم أنتم — أنتم كرام الامة — وجهاؤها — أعيانها — أدباؤها وكل مافيها من قوة أدبية
حقيقة ان هذه الفرصة تستحق أن أشكر عليها كل الشكر حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الاحتفال واعضاء لجنته الكرام
أشكرهم لانهم هيئوا لي هذه الفرصة لاتمتع بمرأى هؤلاء الكرام وأناجيهم بشيء مما يدور في نفسي من يوم أن عدت الى بلادي
عدت الى هذه البلاد فرأيت كل مافيها تغير عما كنت أعهده . كنت أعهد حقيقة أن فيها قوى كامنة ولكن ما كنت أظن أن هذه القوى الكامنة من زمان طويل تظهر بهذا المظهر الذي رأيته وملأ قلبي سروراً وملأني املا في الرجا بحسن الاستقبال

كنت أعلم ان البلاد تصبو الى الاستقلال وان حركتها الاستقلالية بدت من زمان طويل خصوصاً من يوم ان ظهر فيها المرحوم مصطفى كامل وتلاه المرحوم فريد بك (تصفيق حاد طويل) هؤلاء الذين أسسوا أو أيدوا ما أسسوا في النهضة الحاضرة

ظهرت هذه القوى الكامنة التي بثتها تلك الارواح الطاهرة — ظهرت بمناسبة العودة الى هذه البلاد . ماوجدت فرعاً من فروع الحياة خالياً من هذه القوى الجديدة بل كل الفروع رأيت فيها هذه الحياة منبثة كل الانبثاث ورأيت لسان العواطف تغير تغيراً كلياً وهو الشعر وكذلك المغاني

رأيت هذه المغاني تعبر عما يجيش في صدور القوم من الآمال — تعبر عن ان البلاد تصبوا الى أمل واحد هو الاستقلال التام (تصفيق)

فعدت بهذا الشعور الى الفتوة . وحقيقة ان هذه الحياة التي أشعر بها كلما وجدت في محفل ؛ كلما وقع بصري على مظهر ، كلما حادثت فتى أو شيخاً كل هذا يعيدني الى الفتوة ويقذف في قلبي قوة لا يمكنني أن أعبر لكم عنها

ولقد راقني وملأني اعجاباً او عجباً أنه مع هذه الحياة الجليلة — مع هذه الحركات الجليلة رأيت نظاماً واحتراماً لكل مسا كنيكم من الاجانب

ليست هذه الحكمة في رؤوس الشيوخ منكم ولكنها في رؤوس شبيبتكم قبل كل انسان ولقد كرموني باحتفال أمس فرأيت فيه النظام يتجلى وما رأيت أمامي شباناً بل رأيت أمامي شيوخ الحكمة والنظام

كانت انوار الحرية تنبعث من ابصارهم وحرارة الوطنية الصادقة تتصاعد من أنفاسهم وأفواههم ، رأيت كل هذا يتجلى ورأيت في خطواتهم ، حركاتهم ، سكناتهم ، نظاماً جميلا جداً يستحيل على اي جيش أن يتحلى به (تصفيق شديد)

ورأيت أو علمت بأن تلك الشبيبة هي التي في ذلك الزحام الشديد ، في تلك المظاهرات الهائلة ، هي التي قامت بحفظ ذلك النظام الباهر فأعجبت كل الاعجاب وأعجب مثلي كل من رأى ذلك النظام ومن وجده منسوباً الى أولئك الفتيان رجال المستقبل

فانا اهنيكم — حضور هذه الحفلة — بابنائكم وأقول انكم ستطمئنون على المستقبل بانه سيكون بيد أولئك الفتيان الحكماء

اطمئنوا على هذا المستقبل واعملوا له ، اعملوا له لا بشيء كبير بل بشيء صغير هو أن تحفظوا حقوقكم ولا تفرطوا فيها وأنتم مفرطون في حقوقكم اذا قبلتم مشروعاً يخلد الحماية أو يجعل الاجنبي شريكا في حق شائع في سيادة بلادكم

ولو انكم حضرتم تلك الحفلات السابقة لما كنت أعيد القول في هذا الموضوع لانه يكون تكراراً لما فات واذا استثنيت رجال الصحافة فانى أرى سماعاً جداً ربما اشتاقوا سماع رأيي في هذا الموضوع ولذلك أسمح لنفسي بأن أناجيكم بشيء منه

قلت ان ما تعملونه هو أن تجتنبوا أن تقبلوا شيئاً يضر باستقلالكم وأشير الى ان المشروع الذي عرض عليكم وأبديتم فيه ما أبديتم من التحفظات ـ هذا مشروع ليس فقط يؤيد الحماية بل يجعل للاجنبي حقاً في سيادة بلادكم

أما فيما يتعلق بالامور الخارجية فانه يجعل أموركم ليست لكم بل هي تابعة للدولة الانجليزية فلا يمكنكم أن تتحركوا بحركة تجارية ، اقتصادية ، سياسية ، الا برضا الدولة الانكليزية ، وليس لكم مطلقاً فائدة في ان تكونوا مستقلين اسماً في الخارج وليس لكم من الفعل شيء الا ان قناصلكم وسفراءكم يكون شغلهم الشاغل جمع من يرفعون اصواتهم بالشكوى في الخارج من ادارة البلاد الداخلية

هذا ما لا يمكن أن ترضوه أو أرضاه لكم . وأما فى الامور الداخلية فالمشروع يقضي بأن تكون مراقبة أجنبية على جميع المصالح التي لها مساس بالاجانب وأن يكون هناك جيش يكون تحت تصرف المندوب السامي الذي يكون له مركز ممتاز عندنا ، ثم ان الدول الاجنبية تنفض يدها من عندكم ويكون الامر محصوراً بينكم وبين الدولة الانكليزية

محصل ذلك انه يكون هناك مراقبة عامة على سائر المصالح المصرية يديرها موظف سام يستند على قوة حربية في البلاد

هذه ليست حماية فقط بل هي اشتراك في حكم البلاد أي تقرير لسيادة أجنبية في بلادكم ولهذا فان الوفد المصري الذي أنبتموه عنكم قد رفض هذا المشروع ابتداء ولم يرد ان يقبله وعرضه عليكم فأبيتم قبوله الا بتحفظات عرضت على لجنة اللورد ملنر فأبت بحثها كما تعلمون فرأى الوفد المصري عدم الدخول في المفاوضة الا بعد تعديله بالتحفظات

هذه حقيقة علمتموها جيداً ، ولا أريد أن أطيل القول فيها

قرر هذا الوفد وأيدتم قراره ان لا يدخل فى المفاوضات الرسمية الا اذا عدل المشروع بالتحفظات ، وهنا كلامي يكون دفاعاً عن الوفد والحكومة — الاثنين معاً — ولا بأس علي اذا دافعت عن الحكومة وهي ساكتة لانها حكومة جاءت لان تتمشى على ارادتكم فعلينا ان نسندها كلما كان فى سندها مصلحة لنا

جاءت هذه الحكومة وتقول بأنها تريد أن تتمشى مع ارادة الامة — رحبنا بهذا الاعلان كما رحبتم ولذلك يجب علينا أن نفهم وأن تفهم (بتشديد الهاء) بأن المفاوضات التي رأت الدخول فيها يصح أن تدخل فيها بنفسها أو معنا بنفسها أو مع الوفد

قلنا ان الوفد قرر أن لا يدخل فى المفاوضات على أساس مشروع ملنر كما رغبت لجنته الا اذا عدل هذا المشروع ، واذا لم يعدل فلا يمكن للوفد ولا لاي مصري للامة أقل ثقة فيه ان يدخل فى المفاوضة

هذا كان قرار الوفد وهذا أيضاً ما قبله صاحب الدولة عدلي باشا وسار عليه

ما الذي حدث بعد ذلك ؟ حدث ان الحكومة الانكليزية صرحت تصريحاً يؤخذ منه : —

ان الحماية علاقة غير مرضية ، ولم يكن يجسر أحد أن يتكلم فى حقها والدليل على ذلك اننا لما تكلمنا فى حق الحماية قالوا انفوهم ، لا مناقشة ، ما دمتم تناقشتم فى الحماية فيجب نفيكم « قال معالى الرئيس هذه العبارة بالفرنسية »

ودعونا للمفاوضة لا على أساس تقرير ملنر — لا على أساس يعد الدخول بناء عليه قبولا لحماية أو لاحكام هذا المشروع بل قالوا نريد أن نأخذ رأيكم فى هذا المشروع

يظهر ان الدخول على اساس مخصوص وأخذ الرأي فى موضوع خاص التبس فهمها على بعض الافهام ولهذا أبين هذا وان كانت الحكومة ساكتة

الدخول في المفاوضة على أساس معين معناه قبول هذا الاساس وانما يتناقش وتتبادل الآراء في التفاصيل التي تبني علي هذا الاساس فاذا قلت ادخل في المفاوضة على أساس معين فلا يجوز لى عند الكلام في هذا الموضوع أن أناقش في الاساس أو ان اطلب نقضه وان فعلت كنت جاهلا احمق لا أعرف شيئاً ويمكن ان يقول بصفة مسألة فرعية ان هناك دفعاً بعدم قبول الدعوى كما يقول اخواننا

الحاضرين . انهم يقولون لا يمكن أن تتكلم في الاساس لانك داخل على هذا الاساس فاذا كان عندك شيء فوق الاساس تكلم فيه

هذا هو الذي يمكن أن يعارضني . ومتى قبلت الاساس فلا يمكنني أن انقضه ولكن اذا دخلت في موضوع لان يؤخذ رأيي في ذلك الموضوع - ما رأيك في هذا المشروع ؟ أهو مفيد أم غير مفيد ؟ كله أم بعضه فيمكن أن ابدي رأيي فيه بكل حرية أقول معيب من جهة كذا مقبول من جهة كذا أنه مستحق للتعديل . أنه يجب حذفه أو استبداله - لي حرية تامة أن أبدي فيه مايعن لي من الآراء وما أراه

حينئذ اذا كانت المفاوضة على هذا الوجه أي لاخذ رأيي في موضوع فلي الحق بل علي الواجب ان كنت شخصاً منتدباً لاسعى للوصول الى هذه الغاية - وجب ان ألبي الطلب واجيب السائل بكل حرية وان امتنعت عن ابدائه بعد أن عرض علي كنت مقصراً في الواجب بل كنت خائناً لبلادي

على هذه القاعدة يجب الدخول في المفاوضة - على هذه القاعدة اي قاعدة أن أبدي رأيي بحرية في مشروع ما

ومتى كانت الحرية التامة مضمونة لي فلا أتأخر مطلقاً عن أن ابدي رأيي كما قلت أمس لثقتكم بي ولثقتي بنفسي

قبول المفاوضة

فانا وزملائي لانخطيء الحكومة اذا كانت تدخل في المفاوضة لتبدي رأيها في هذا الموضوع ولتبديه بالتطبيق لآمال الامة ولمبادىء الوفد - لتقول انى اطالب بالاستقلال التام وبرفع الحماية عن بلادي . وأري كما يري كل عاقل ان الطرف الآخر وهو الامتناع عن اجابة هذه الدعوة مادام ابداء الرأي حراً وما دام ان الدخول لا يستلزم اسقاط حق أو فوات نفع - ان التأخر جريمة لا تغتفر

وبناء على ذلك أحل للحكومة واحل لنفسي أن اشترك في المفاوضة (مادامت شرائطنا التي أشترطناها وهي تحت النظر الى الآن) تكون مقبولة

فنحن نعتقد ان فكرتنا حكيمة صالحة يقول بها كل محب لبلاده . اما اذا كان القصد نصر مذهب على مذهب أو الظهور برأي مخالف فهذا شيء لا نعرفه ولا يمكن مطلقاً مهما كان قائل ذلك الرأي ومهما كان مبدؤه ان اجري عليه

واظن انني بعد هذا قد بلغت منكم ما اريده وليس على الا اذا كرر شكري لحضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الاحتفال واعضائه الكرام واشكركم ايضاً على صبركم على سماع كلماتي

خطاب معالى الرئيس

في الحفلة التي أقامها اهالى قسم السيده زينب

بالسرداق بشارع المبتديان تكريماً لمعاليه وزملائه

في ٢٢ ابريل سنة ١٩٢١

سادتي :

سادتي الناخبين : اقدم لحضراتكم وافر شكري ، وجميل ثنائي ، على ما تفضلتم به على وعلى حضرات زملائى من الترحيب بنا واكرامنا اكراماً فاق كل حد ، اكراما فاق كل وصف

ولقد أبنتم بهذا الاكرام عن فضل لكم سابق على في حياتي النيابية ، وهو انكم كنتم أول من اظهرتمونى في ميدان العمل النيابى فانتخبتمونى نائباً عنكم وبهذا حزت شرف النيابة فى هذا القطر

إذا كنت قد نفعت وحققت ثقتكم بى فذلك الفضل راجع اليكم لا عائد الى ولهذا أجدد لكم شكري على هذا الانتخاب

ولقد تفضل الخطباء الذين تكلموا فى هذه الحفله فأثنوا على هذا العاجز ثناء جميلا يشعر من نفسه بانه لا يستحقه كله وانه لا يجد كلمة يعبر بها عما فى نفسه وان له شركاء ربما كان نصيبهم من هذا الشكر أوفر من نصيبي

فاذا كان هناك فضل في هذه الآونة . في هذا العمل ان كنتم تعتبرون هذا العمل جليلا وتذكرونه لي فاذكروا معي اخواني جميعاً

أما الاعمال التي تشيرون اليها بعد ذلك فقد اشتركنا جميعاً فيها . وكان لكل واحد نصيب كبير فيها وكان لي ايضاً نصيب ولكنني أعتبر أنه أقل من أنصبتهم

(تصفيق حاد وهتاف)

لهذا يجب علي وأنا الذي أعرف قبل كل انسان هـذا الفضل أن أدعو حضراتكم لأن تقولوا معي (فليحي زملائي) فقال الحاضرون « ليحي زملاء الرئيس » (أصوات فليحي سعد ومن معه ثلاثاً)

واشكر حضراتكم أيضاً شكراً آخر فوق الشكر السابق على أنكم جددتم الثقة بنا . ونعاهدكم عهداً . عهداً يجب علينا الوفاء به أن نسعى وأن نستمر على السعي في استقلالكم ولا نرجع اليكم حتى يتم هذا الاستقلال

واذا كنا قد قمنا وسيوف الاحكام العرفية مسلولة فوق رؤوسنا ولم نكن نشعر بأن وراءنا قوة مثل القوة التي رأيناها فانه لايحل لنا مطلقاً أن نتقاعد أو نضعف ، وهذه القوة الهائلة وراءنا

اطمئنوا على موقفنا ، فسنثبت الى النهاية . فان لم نبلغها فلكم أن تعملوا على بلوغها . وتكون ثمرتها لكم أنتم . ولأنجالكم ولأبنائكم . ويكون لنا فضل أننا ضربنا أحسن الامثال لمن بعدنا ولقد أشار بعض الخطباء الى المعارضين . هؤلاء المعارضون لانغالبهم . ولا نخاصمهم فالزمان سيتولى اقناعهم بأن خطتنا هي المثلى ، وانهم أخطأوا في أن عارضونا ؛ ولي يقين بأن اخلاصهم للقضية ووضوح الحق من جانبنا سيثنيهم عما قريب عن خطتهم ويساعدوننا في الغاية التي ننشدها جميعاً

ولقد ذكرتم أيضاً أنه يجب على الوزارة أن تسير معنا أو على الوفد أن يسير مع الوزارة ونحن نكرر ماقلناه أننا نمد يدنا لكل هيئة تعمل على مانعمل عليه من السعي الى الاستقلال التام . ولذلك لما عرضت الوزارة علينا الاشتراك في المفاوضات لبينا الطلب واشترطنا شروطاً ولا أدري ان كنتم جميعاً تعلمونها أو كثير منكم لايعلمونها ولكن واجبي وأنا في وسط ناخبي أن أعلمهم بها

شروط الوفد على الوزارة

الشروط التي اشترطناها هي : —

اولا — أن تكون الغاية من المفاوضات الغاء الحماية بوجه عام أي فيما يختص بعلاقة مصر بالدول جميعاً لا بعلاقتها مع الدولة الانكليزية فقط ، الغاء الحماية التي وضعت على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ووردت في معاهدة فرساي وما تلاها من معاهدات الصلح

ثانياً — الوصول الى الاعتراف بالاستقلال الدولي التام الداخلي والخارجي مع ملاحظة ارادة الامة التي أبدتها بالتحفظات التي قدمها الوفد للجنة ملنر

ثالثاً — الغاء الاحكام العرفية والمراقبة على الصحافة قبل البدء في المفاوضات

رابعاً — أن تكون للوفد أغلبية المفاوضين وأن تكون له الرئاسة « تصفيق حاد وهتاف ليحيي الرئيس سعد باشا » وأن يصدر بتحديد مأمورية المفاوضين على هذا الوجه وهذه الكيفية مرسوم سلطاني يبين ويحدد هذه المأمورية حتى بذلك تنضم قوة الحكومة الى قوة الامة وتكون القوتان قوة واحدة تسعى لغاية واحدة ، هي الغاء الحماية والحصول على الاستقلال التام

وضع الوفد هذه الشروط وانما اشترط الوفد الأغلبية والرئاسة لانه كما تعلمون هو الساعي لاستقلالكم والمسئول أمامكم عن هذه المهمة

ولا يمكنه بحال من الاحوال أن يتحمل هذه المسئولية الكبرى حتى تكون ادارة العمل بيده وحتى يكون بيده وصل المفاوضة وقطعها على حسب ما يبدو من ظروف الاحوال

قدمت هذه الشروط للوزارة ولغاية الآن لم يحصل الاتفاق عليها

ان حصل الاتفاق على هذه الشروط وضمنا جميعاً يدنا في يد الوزارة وسعينا الى هذه الغاية . فان بلغناها فذلك ما ينبغي وتبغون وان كانت الأخرى نرجع اليكم لنعمل على حفظ حقوقكم كالسابق

ماذا يقال

يقال بأننا قررنا سابقاً بأن لا ندخل في المفاوضة الا اذا عدل مشروع ملنر بالتحفظات . قول جميل ، ونحن مع هؤلاء القائلين

الوفد هو الذي قرر هذه الخطة من نفسه ومن غير ايحاء عندما كان في لندره وعرض التحفظات على لجنة ملنر لبحثها فقالت انى لا أرى مناسبة لبحثها في الدور الحالي وانما يكون بحثها في المفاوضات الرسمية ، وقالت أيضاً ان المفاوضات الرسمية ستكون على أساس مشروع ملنر أي أن هذا المشروع يجب أن يكون مقبولا من الطرفين وان المفاوضات تحصل على ما يبني على هذا الاساس من التفصيلات فلم نرد أن نقبل هذا لأن الدخول على أساس ما هذه عبارة عن

الارتباط بهذا الاساس وقبوله مبدئياً
نعرف ذلك من أنفسنا وبدون أى ايحاء
قلنا لانخاطر بحقوق الأمة لاننا اذا قبلنا الدخول على هذا الاساس فاننا اذاً قابلون لهذا المشروع الغير مقبول في نظرنا
فلا نقبل الا بعد تعديله بالتحفظات
قررنا ذلك وعرضناه على الامة فنال استحسانها ونحن ممتنون منها

ما الذي جد

جد انهم قالوا وأكدوا بأن المفاوضة ستكون حرة لاعلى اساس . وان الحكومة الانكليزية الى الآن لم تتخذ قراراً في مشروع ملنر أى لها الحق في قبوله او رفضه

اذا كان الامر كذلك فالمفاوضون المصريون الرسميون يكون لهم مثل هذا الحق بمعنى انهم في حل من ان يقبلوا هذا المشروع كله او بعضه او يرفضونه

ولا يعد دخولهم على هذا النحو قبولا لمشروع اللورد ملنر

اما اذا كان الامر بالعكس وقالوا بأن الدخول في المفاوضة هو اساس مشروع ملنر فمحال ان نقبل الدخول فيها من غير تعديل الاساس بالتحفظات .
ولكن الامر بخلاف ذلك فان المقصود ابداء الرأي في مقترحات ملنر من غير ادنى تقييد بأنها اساس المفاوضات . ولذلك فلا مانع مطلقاً ولا ضرر في ان الحكومة المصرية تبدي رأيها بواسطة من تثق فيه

بناء على ذلك اذا دخل الوفد في المفاوضات الرسمية على هذا النحو فانه لايضيع حقاً وكيف يضيع حقاً هو مؤتمن عليه وقد وضعت الامة ثقتها فيه (تصفيق حاد)

انى ابرأ الى الله من الوطنية اذا دعتني لأن اقدم على امر سيكون فيه اي ضرر يحق مصر (تصفيق حاد)

ولهذا الوضوح فانى مملوء من العشم بأن المخالفين سيعتنقون هذه الفكرة وسيدافعون عنها كما يدافعون الآن عن خطتهم

يقول بعضهم لايدخل الوفد في المفاوضات بل يدع الحكومة تتفاوض

هل تقولون بأن الوزارة تتفاوض بتوكيل منكم أي بثقة خاصة منكم اولا؟
فان كنتم تقولون بأنها تتفاوض بثقة خاصة منكم فليس لكم حق في ان تقولوا
بأن لكم ثقة بالوفد لانكم تكونون قد أعطيتم هذه الثقة لغيره في اهم شؤونكم
وفي اخص المأمورية التي عهدتم بها الى الوفد
ان هذا تناقض لا أفهمه ولكن اذا كنتم تقولون بأن الوزارة تدخل بغير
ثقتكم فهذا لا ينفع بشيء
والوفد لا يمكنه ان يتصرف بهذه الثقة مطلقاً الا اذا كانت الوزارة تتفاوض
على شروطه وكان المفاوضون من الذين وثقتم بهم ثقة تامة
هذا كل ما أردت ان اعرضه على ناخبي واشعر ان الامة قلقة لان الحكومة
لم تبد للآن رأياً قاطعاً وانا مثلكم قلق ولابد ان ينتهي الامر بسرعة فاما قبول
شروطنا فاضع يدي في يدها ونعمل معاً في تحقيق مطالبكم. والا فكل يعمل
على شاكلته
ولا يسعني في النهاية الا ان اكرر تشكراتي لحضرات الناخبين والمحتفلين
وارجو الله ان يوفقنا جميعاً لان نعيش حتى تجددوا انتخابي في الجمعية الوطنية
(هتاف لا رئيس الا سعد)



خطاب معالي الرئيس

في الحفلة التكريمية التي اقامها اهالي قسم شبرا

التي أقيمت لمعاليه في ٢٥ ابريل سنة ١٩٢١

برئاسة سمو الامير عزيز حسن

أصحاب السمو الامراء :

سادتي :

أقدم أجل عبارات الشكر لحضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الاحتفال ولحضرات أعضائها الكرام. اقدم هذا الشكر الجزيل لحضراتهم على هذا الترحيب الجميل : على هذه الفرصة الجليلة التي هيأوها لنا لكي نبدي مزيد اغتباطنا بهذه المظاهر الباهرة

ان لسكان هذه الجهة فضلا كبيراً علي لانهم في سنة ١٩١٤ اشتركوا في انتخابي عضواً للجمعية التشريعية فكان لهم علي بهذا فضل كبير لا انساه لانه كان سبباً في حياتي النيابية

نعم ان النظام قضى بأن أتخلى رسمياً عن نيابتهم ولكن قلبي لايزال مرتبطاً بهم واني أشارك حضرة الخطيب الاول في الثناء على أمراء البيت السلطاني لاشتراكهم في الحركة الحاضرة وانضمامهم لصفوف الأمة وعملهم على تحقيق جهود الجميع في الاستقلال التام (تصفيق) تلك الجهود التي اشترك فيها العامل والزارع والصانع والتاجر والمحامي والمهندس والطبيب وكل طبقة من طبقات الامة من أصغر صغير الى أكبر كبير فيها واؤكد لكم ان هذا الاتحاد هو أساس نجاحنا في هذه القضية العادلة (تصفيق)

ولقد أشار الخطباء الى الوزارة واتحادها مع الوفد، وقالوا ان الوفد أنجز ما وعد به وعلى الوزارة أن تنجز ما وعدت، وهو قول صائب ولا يمكنني اذ أتركه بدون تعليق عليه

جاءت هذه الوزارة عقب وزارة كانت تعاكس آمال الامة وتجتهد في قهر ارادتها و اكراهها على ما لا ترضى ، جاءت هذه الوزارة وأعلنت انها ستتمشى

مع ارادة الامة وانها ستشترك في المفاوضة مع الوفد

جاء هذا الاعلان موافقاً لهوى في نفوس الامة فحيتها تحية طيبة ولا تزال تحياتها والهتاف لنا مقروناً بان الوزارة تتفق مع الامة

ولقد قلت وأعلنت من يوم ان تشرفت بالعودة الى البلاد انى أضع يدي في يد كل هيئة تعمل على تحقيق ارادة الامة ، وبلغت الوزارة شروطنا للاشتراك معها في المفاوضات الرسمية ، وهي شروط وضعناها لضمان مصلحة الامة

هذه الشروط ترمي الى الغاء الحماية التي أعلنت في ١٨ دسمبر سنة ١٩١٤ الغاء تاماً لا بالنسبة لعلاقة مصر بانكلترا فقط بل بالنسبة لعلاقة مصر مع جميع الدول والى الحصول على الاعتراف بالاستقلال التام الدولي في الداخل والخارج مع عدم الخروج عن ارادة الامة التي أيدتها بالتحفظات التي وضعتها على مشروع ملنر

وطلبنا كذلك فضلا عن هذا أن يصدر مرسوم سلطاني محدد لهذه المأمورية على هذه الطريقة

وأن تلغى الاحكام العرفية والرقابة على الصحافة ، وأن تكون أغلبية المفاوضين من الوفد والرئاسة فيه

وأظن حضراتكم تعلمون هذه الشروط فقد أوضحتها في غير هذا المكان ونشرت فى الجرائد فلما علمت الوزارة بها قالت انى لا أقبل أن يكون تحديد المأمورية بمرسوم سلطانى ، ولا أن تكون الاغلبية والرئاسة للوفد ، واظنكم قرأتم حديث عدلي يكن باشا الذي نشر اليوم فى جريدة الاهرام فالوزارة لا تريد أن يصدر مرسوم سلطانى يحدد مأمورية المفاوضين الرسميين واحتجت على ذلك بقول يخالفها فيه كل مطلع على أصول القانون وهو ان التقاليد الدستورية تتنافر كلياً مع تحديد المأمورية بمرسوم سلطانى

وانى أخالفهم مخالفة كلية فى هذا القول لان هذه المأمورية يرتبط بها مستقبل البلاد وما دام المفاوضون الرسميون يجب أن يعينوا بمرسوم سلطانى فيجب اذاً ان يكون تحديد مأموريتهم فى هذا المرسوم نفسه لان عظمة السلطان هو المختص بتعيين المفاوضين فهو المختص بتحديد مأموريتهم ، وتحديدها من جهة أخرى لا يكون له قوة مطلقاً

هذا ليس سراً بل هو معلوم للجميع وحقيقة ثابتة

فالوزارة في مصر لاتمثل الامة لا حقيقة ولا حكماً : بل فوق كل مسئولية.
هذه القاعدة يعرفها كل عالم بالقانون وأصوله.

فزعم رئيس الوزارة بأن تحديد المأمورية بمرسوم سلطاني مخالف للتقاليد الدستوريه في غير محله ولا أشاركه فيه. ولايجرأ أي متشرع أن يشاركه فيه مطلقاً الامر ليس بهين حتي يقبل الابهام. الأمر أمر أمة بتمامها. الامر هو تعيين مهمة المفاوضين الذين طلب الى عظمة السلطان أن يعينهم. فيجب أن يكون المرسوم مشتملا على تحديد مأموريتهم والاكان الامر قابلا للتلاعب والتلاعب لاأقبله مطلقاً

وقال عدلي باشا في حديثه أيضاً عما يتعلق بالغاء الاحكام العرفية والمراقبة على الصحافة — اسمعوا ياسادتي ماقال —

قال : « انه لاشيء أدعي الى تحقيقه من المحافظة على الهدوء والسكينة واحترام حرية الآراء »

غريب جداً من رئيس الوزارة أن يقول « ان الاحكام العرفية والرقابة على الصحافة هي سبيل احترام الآراء »

غريب أن يقول « انه للحصول على هذه الحرية تجب المحافظة على الاحكام العرفية وعلى مراقبة الصحافة ».

عيب أن تكون المراقبة على الصحافة من أسباب احترام حرية الآراء
عيب أن تكون الاحكام العرفية من اسباب احترام حرية الآراء
كانه يجب أن نستمر تحت يد الاحكام العرفية حتي لايكون هناك ضغط على الآراء

هــذا كلام له خيء معناه ليس لنا عقول

ان كانوا يريدون حقيقة الغاء الاحكام العرفية والمراقبة على الصحافة فليلغوها حالا ولكنهم انما يستبقون المراقبة على الصحافة لتنشر مايتفق مع آرائهم وتمتنع عن نشر مايخالفها

هذا مخالف لما وضعوه في بيانهم من أنهم يتمشون مع ارادة الامة

قالوا في الشرط الخاص بأن تكون أغلبية المفاوضين من الوفد : « ان الامر ليس امر احزاب وشيع ولكن يجب أن يكون المفاوضون متشبعين بمبدا واحد

متفقين على خطة واحدة »

كلام جميل جداً . ولكن رئيس الوزراء فاته أن الوفد المصري ليس شيعة فيكم ، ولا حزباً منكم . بل وكيلكم أجمعين فاذا ماطلب أن تكون له أغلبية فانما ذلك ليتحقق أن تكون الامة التي يمثلها الوفد ممثلة في المفاوضين تمثيلا حقيقياً. فالمسألة ليست مسألة أحزاب ولا شيع بل مسألة أمة بتمامها . يراد أن تكون ممثلة في المفاوضين الرسميين تمثيلا حقيقياً

وأما عن الرئاسة فقد أجابوا بجواب لامبرر له

ان الرئاسة لم تطلب لغاية شخصية ولا ارضاء لشهوة في النفس فان الضعيف الماثل أمامكم قد احلتموه محلا ليس فوقه محل يؤمل . وانى أشعر بكل مافي من قوة ان هذه المنزلة لايتوفر فيها شيء مطلقاً فلامزيد . فيها أن أكون رئيساً لعدلي ورشدي مادمت متشرفاً بتفضلكم عني بأني رئيسكم

ولكن صحبي وأنا اشترطنا هذا الشرط لان عليه معولا في المفاوضات الرسمية فان الرئيس له أن يدير المفاوضات . بمعنى أنه يتكلم مع الفريق الآخر، ويتلقى الدعوة ، ويجيب عليها ، وله وصل المفاوضات أو قطعها لابرأيه وحده بل بالاغلبية التي اشترطها الوفد أن تكون له ليعتمد عليها في القطع وفي الوصل فاشتراط الاغلبية انما هو لهذه الغاية

قالوا « ان اعطاء الرئاسة لغير رئيس الحكومة يخالف التقاليد المعروفة »

هذا تهجم على التقاليد كما تهجموا على الحقائق القانونية فيما يختص بالمرسوم السلطاني الذي تكلمت عنه

ماهذه التقاليد ؟ ! لكل بلد تقاليدها فهل في مصر مايمنع أن عظمة السلطان يعطي الرئاسة لمن يشاء . ؟ كلا ! ثم كلا !

هذه دعوة لم يقيموا عليها بينة فلا اعتبار لها

على أنه اذا صح في البلاد الاوروبية أن رئيس الحكومة يجب أن تكون له الرئاسة دائماً فلا يصح ذلك في مصر مطلقاً بالنسبة السياسية التي نحن بصددها . فان مصر ليست بلداً دستورياً ووزارتها لا ينتخبها الشعب بل هي معينة من طرف الحاكم . فلا يمكنها أن تدعى أنها وزارة دستورية نائبة عن الامة فهي معينة من عظمة السلطان بل أجاهر بالحقيقة الآتية :ـ (المندوب السامي أيضاً)

ومتى كان المرسوم السلطاني ممضي من رئيس الوزارة والوزراء فانهم يكونون هم المسئولين عنه . لان عظمة السلطان يمثل سلطة الحماية المضروبة عليكم رغم أنوفكم
ليس لمصر وزارة خارجية الآن وسياستها الخارجية بيد الدولة الحامية فلا يمكن لرئيس الوزارة ان يدعي انه يدير سياسة مصر الخارجية حتى يكون له وجه في ان يكون رئيساً لمأمورية سياسية متعلقة بمستقبل الامة وبعلاقتها مع الحكومة الانكليزية

فرئيس الوزارة ليس الا موظفاً من موظفي الحكومة الانكليزية يسقط ويرتفع باشارة من المندوب السامي وهو بهذه الصفة لا يمكنه أن يكون بأزاء رئيسه وزير خارجية انكلترا حراً في الكلام لانه مدين له بمركزه

فاذا طالبنا الرياسة فانما نطلبها ليكون الرئيس حراً مرتكزاً على قوة لا تهاب شيئاً مطلقاً في المطالبة بحقوقها وهي قوة الامة . لا ان يكون مرتكزاً على قوة مستمدة من الحكومة الانكليزية لان ذلك يجعل المفاوضة بين الأصل وفرعه أي بين الحكومة الانكليزية وبين .....الحكومة الانجليزية أيضاً

ليست هذه أول مرة ذكرت فيها هذا المبنى الذي تشرفت بعرضه الآن عليكم ولكني رفعت الصوت به في وزارت المستعمرات الانكليزية فقلت للجنة ملنر في جلسة ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٢٠ ، من ذا الذي يعين المفاوضين المصريين؟ فأجاب الحكومة المصرية

فقلت اذاً جورج الخامس يتفاوض مع جورج الخامس قلنا في غير هذا المكان اذا عينت الحكومة رئيساً من غير الحكومة فمن ذا الذي يشكو من هذا التعيين؟

نبئوني !!! خبروني !! أهي الحكومة الأنكليزية وقد أعلنت انه لا شأن لها في تعيين المفاوضين المصريين ؟ أم هي الامة المصرية وهي تصيح صباح مساء بأن لها رئيساً آخر غير رئيس الحكومة وتقول لا مفاوض الا الوفد ولا وكيل الا الوفد ولا رئيس المفاوضة الا الوفد

الامة لا تشكو ولا تتضرر من ان تكون الرئاسة للوفد في أمر متعلق بحياتها المستقبلة وباستقلالها التام

الوزارة كما قلت جاءت وقالت انها تتمشى على ارادة الامة وتشترك مع الوفد في المفاوضات الرسمية وخلبت عقول الامة بهذا البيان والآن تقول «لا بل أفاوض

وحدي دون الوفد » ، للحكومة رأيها ، وهذا شأنها ،ولكن الوفد الممثل للامة لا يمكن ان يولى ثقته من يفاوض على غير شرطه

الوزارة تظهر أمام الامة فى بيانها بانها تريد ان تسير بارادتها وتشترك مع ، الوفد فى المفاوضات ولكن المحيطين بها ورجال الصحافة الموالية لها يعملون ليل نهار على منع الوفد من الاشتراك فى المفاوضات

وهذا امر لا نقبله مطلقاً : أن الوزارة التي قالت انها تمشى مع ارادة الامة وتشترك مع الوفد فى المفاوضات فرحت بها الامة ـ هى التي تأتى في الوقت نفسه وتعمل على ابعاد الوفد عن المفاوضة ويشتغل اتباعها بطرق شتى لهذه الغاية لا يمكنني أن أقبلها وأقول ان مهمتي فيكم هى أن أفضح كل ما يحصل من خديعة أو غش لكم وان يسير كل أمر طبق ارادتكم فاذا تمكنت من ذلك فحسبي والا فقد قمت بواجبي والسلام

خطاب معالى الرئيس

في حفلة الشاي التي أقامها معاليه بفندق الكونتننتال

فى ٧ مايو سنة ١٩٢١

لممثلي الهيئات التي كرمته شكراً لها

أيها السادة

أتشرف باسم زملائى وباسمي أن اقدم لحضراتكم أجل عبارات الشكر على تفضلكم بتشريفنا في هذه الحفلة . وقد قمنا بها لحضراتكم لاجل ان نشكركم على الترحيبات التي تفضلتم بها علينا . ولو كان في امكاننا أن نجمع القطركله في صعيد واحد ونتكلم معه ونقدم اليه آيات الشكر لفعلنا . ولو كان في امكاننا أن نزور كل واحد في القطر في بيته لأجل أن نتشرف بشكره لفعلنا بكل سرور

ان الحفاوة التي قوبلنا بها لم تكن من طائفة ولا من هيئة معينة بل من أفراد القطر جميعاً لا فرق بين واحد وواحد . واشتركت الامة كلها فيها ولم تشترك فيها

الوزارة كما أدعت . والذي اشترك فيها هو الشعب بأجمعه . (تصفيق) ولو استطاعت الوزارة أن تقلل من تلك الاحتفالات وان تخفف شيئاً من تلك الترحيبات لفعلت . ولكن قوة الامة وقوة ايمانها وعقيدتها في ممثليها ووكلائها لم تمكن تلك الوزارة من أن تفعل بنا ماتريد (تصفيق حاد) . ولن يمكنها اجماعكم من ان تفعل بالامة ماتشاء وأن تتصرف فيها حسب الاهواء لا حسب المصلحة العامة

ليست الامة المصرية اليوم كالامة المصرية فيما مضى وانما هي أمة اتحدت أفرادها وجماعاتها . اتحد مسلموها وقبطيوها على أن يكونوا يداً واحدة . وأن يكونوا أحراراً لا يطيعون الا ضمائرهم . ثم تأتي هذه الوزارة وتقول : «لا . بل أطيعوني أنا وحدي» بئس ماتفعل ! !

ان الامة المصرية التي اتحدت هذا الاتحاد الكلي الذي أعجب به كل انسان لايمكنها أن تسلم أمورها لبضعة أشخاص يتصرفون في دمائها وحريتها كيف يشاءون .

كلكم علمتم أنه أقيمت حفلة بالامس . من أي طريق علمتم ؟ عندنا الجرائد وقد قرأتم جرائد اليوم فهل وجدتم كلمة عن هذه الحفلة ؟ لا . لماذا وقد كانت حفلة من اعظم الحفلات تجلت فيها الوطنية الصادقة بأجمل مظاهرها من موظفي الحكومة الذين تعتبرهم خداماً لها وترى أنه لا يصح أن تكون لهم آراء خلاف آرائها

لما شعرت الوزارة أن هؤلاء يريدون أن يكرموا رجلا أحبوه لانهم وجدوه رمزاً لامانيهم وعنواناً لمبادئهم وقامت في وجههم وقالت : لاتفعلوا لأن هذا الرجل عدو لي فلا ينبغي ان تكرموه

اجابوا كلا . نحن اناس مصريون قبل كل شيء ولنا آراء يجب ان نبديها وان نكون احراراً فيها وان ظنت الحكومة انها تحولنا عن آرائنا بما تملكه من قوتنا فلا كانت قوتنا ولا كانت حياتنا

لم يبالوا بهذا التهديد ولا بذلك الوعيد واقاموا حفلتهم (١) ونظموها

(١) حصل ذلك رغم ان معالي سعد باشا كتب لهم خطاباً يرجوهم فيه بالعدول عن الحفلة وألح عليهم بعد وصول هذا الكتاب اليهم مرات عديدة في الا يقيموها اكتفاء بما اظهروه من كرم العواطف نحوه فأبت عليهم وطنيتهم

وخطبوا فيها خطباً تدفقت الوطنية منها وأعجب بها كل من سمعها . ولا تزال تهز أعصابي هزا .

ما احتفل بنا وبترحيباتنا احتفالا جديراً بالاعتبار أكثر من هذا الاحتفال لان اصحابه أقاموه وسيوف الارهاب معلقة فوق رؤوسهم فلم يبالوا بها وقالوا يجب ان نظهر آراءنا والا كنا عبيدا لا نستحق هذه الحياة

فانا اجدد لهم شكري . واقول ان بلدا تحوى أمثال هؤلاء الكرام . هؤلاء الاحرار . لاينبغي ان عدلي وشركاءه يطمعون أن يحكموها بالشده والقوة (تصفيق حاد) وليعلموا أن سعيهم في اخضاع شعب لارادتهم لا يتفق مع الاستقلال الذي زعموا أنهم يسعون لتحصيله للبلاد

تناقض كلي . يقولون انهم يعملون باراده الشعب ثم هم يغالبون هذه الارادة فان هم غلبوها وأظهروا للخصم أنهم غلبوها فلا يمكنهم أن يأتوا بعشر معشار هذا الاستقلال

ليس الاستقلال لعبة . ولا حرية الامم لعبة . ولم تكن مصر هازلة يوم أن

الا ان يقيموها

وهذا هو نص الخطاب :

حضرة صاحب العزة صادق بك حنين

علمت ان الوزارة غضبت من حفلة التكريم التي شرعتم مع اخوانكم في اعدادها ونبهت بالعدول عنها وانكم صممتم على عزمكم رغم تهديدها لكم فكتبت هذا شاكراً حسن قصدكم وجميل همتكم راجيا بكل الحاح أن تعدلوا عن عزمكم خشية أن تتكدر خواطركم بسببي وهو ما يؤلمني ايلاما شديداً

وأؤكد لكم أن شعوركم المضغوط عليه بتلك السلطة أرقي في نظري من كل شعور آخر وأنه اذ حجبت القوة مظاهر الترحيب بي فلا تستطيع أن تحجب ما انطوت عليه جوانحكم من عواطف الحب والاكرام التي يشعر قلبي برقتها وتمتلىء نفسي سروراً بلطفها وانى أحيي ذلك الشعور الكامن واقدم لكم عليه الشكر الوافر والسلام ؟ سعد زغلول

القاهرة في ٢٧ ابريل سنة ١٩٢١

ضحت تلك الضحايا ولا تزال تضحيها للآن . ولم تعمل ذلك لكي تمهد الطريق لعدلي ومن معه ليطلقو الرصاص على كل من هتف لعنوان الاستقلال

شعرت الوزارة بتزعزع مركزها فالتجأت الى وسائل القهر والاجبار لكي تسلب ثقة الناس منهم . وما عهدنا ان تسلب الثقة ولكنها تعطي . وكما قال صوفاني بك : « الثقة تعطي لاتلتمس » وهذه الوزارة لاتبحث ان تلتمس الثقة التماساً ولكنها تريد أن تقهر الناس عليها. وهذا ما يضحكني . كيف أن الوزارة بواسطة المديرين ورجال الادارة تجبر الناس على أن يكتبوا رسالات برقية وبريدية بأنهم واثقون بها . وكيف تستعمل هذه الرسائل ولمن تقدمها ؟

اللامة وهي عالمة أنها مأخوذة بطريق الاكراه ؟ أم للانكليز وهم بها أعلم ؟ أم يقدموها لي وأنا أعرف أنها مزيفة

كلكم يعلم أن الوزارة منعت الموظفين من حفلتهم وقالت انها فعلت ذلك لانه لاينبغي أن يكون للموظف رأى غير رأي الوزير . فهي تريد أن يكون للموظف كل يوم رأى يتغير بتغير الوزارة ومشاربها . ولكن بعض الصحف التي تنطق بلسانها قالت انها أباحت للموظفين الحرية بأن يعقدوا اجتماعهم ويقيموا حفلتهم

قول في غير محله لأن حجرها على الجرائد أن تشير الى هذه الحفلة دليل على عدم اباحتها . تريد ان لايعلم الشعب بها وتريد أن تعتقد هي أنها لم تحصل. ولكنها حصلت وحصلت بكل معنى وطني وبغاية مايحبه كل وطني لبلاده

ولو كانت بلادنا دستورية لهبطت الوزارة من مركزها لانها لا تعتمد الا على قوة الامة . أما هـذه الوزارة فانها تعتمد على قوة أخرى . لان الوزارات التي تعتمد على قوة الأمة من المحال أن تبقى في منصبها دقيقة واحدة بعد أن تظهر ارادة الأمة ضدها

على من تعتمد هذه الوزارة ؟ أعلى الأمة وقد أظهرت عدم ثقتها بها . أم على غير الامة ؟

انها اما أن تعتزل الأحكام واما أن تعلن أنها تستمد سلطتها من قوة أخرى بيننا وبينها حساب !

ليس بيني وبين أشخاص الوزارة شيء شخصي بل يمكنني أن أقول ان قلبي

لايحمل عداوة لشخص من خلق الله . ان العداوة خلق الضعيف وقد منحتوني قوة ليس وراءها قوة (تصفيق حاد)

فلا أحمل لأحد في فؤادي حقداً ولا حسداً . ولكنني أحمل في عهدتي أمانة كبرى حملتني الأمة اياها . فلا يمكنني أن أتفق مع أشخاص يتلاعبون بهذه المصلحة حسب أهوائهم (تصفيق حاد)

كما تعلم الشروط التي عرضناها على الوزارة للاتفاق معها على المفاوضة وقد تداولنا معها فاظهرت في أول الامر استعدادها لقبول بعضها دون البعض الآخر. ولكنها بعد ذلك صرحت في حديث جرى لرئيسها مع مندوب الاهرام بما يفيد أنها لم تقبل أغلبها . فقال هذا الرئيس في حديثه : أما ما يختص بالمرسوم السلطاني فالتقاليد السياسية تمنعه

وقد لاحظنا ونلاحظ ان هذه التقاليد لاتمنع هذا المرسوم بل توجبه. وانه مادام المرسوم يحمل امضاء رئيس الوزارة والوزراء فان مسئولية تنفيذه لاتقع الا على الوزارة لا على عظمة السلطان الذي هو فوق كل مسئولية

هذا مايعلمه كل عارف بالقوانين والاصول الدولية ولكنهم لايزالون متشبثين برأيهم !

وقالوا فيما يختص بالرئاسة أقوالا غريبة ، قالوا انه لايليق بكرامة الحكومة أن لايكون رئيسها رئيساً للمفوضين

باطل ماقالوا ! فالسيادة هي في الامة وهي تعطيها لمن تشاء ، فللامة وكيل أجمعت عليه رغم أنف كل معارض ، ومن التواضع ان لا اقول أني رئيس ولكن الامة هتفت ولا تزال تهتف بأني رئيسها (هتاف طويل «لا رئيس الا سعد»)

هل يخل بكرامة الحكومة أن رئيسها يكون مرءوساً لوكيل الامة ؟

رئيس الحكومة لم تنتخبه الأمة وانما تعين بالطريقة التي أشرت اليها من قبل كما تعلمون

انه يقول ان ترؤس وكيل الأمة على رئيس الحكومة يخل بكرامة الحكومة ونسي أن ترؤسه على وكيل الامة يخل بكرامة الأمة نفسها

ان كان الامر امر اخلال بالكرامة فلتحفظ كرامة الأمة قبل كل شيء (تصفيق حاد)

ما هذه التقاليد التي يستندون عليها وقد رأينا في تاريخ مصر أن رئيس الوزارة كان مرؤوساً لمدير الأوقاف في لجنة حفظ الآثار العربية ، ولم يقل أحد ان التقاليد تمنع رئيس الوزارة من أن يترأس عليه مدير الاوقاف الذي هو أحد رجاله ، وكان أيضاً مصطفى باشا فهمي رئيس الوزارة عضواً في لجنة الآثار المصرية وكان مسيو ماسبرو رئيساً لها ولم يكن ذلك ليمس بكرامة الحكومة في شيء ، فلا تستتروا وراء التقاليد بل اظهروا حقيقة الأمر ولا تدعوا على انها مسألة شخصية لي فاني قلت وأقول وأتلذذ بأن أقول قد احلتني الأمة محلا ليس فوقه مطمع لمؤمل (تصفيق حاد وهتاف ليحي رئيس الأمة وهتاف بسقوط الوزارة)

هذا الشرط لم يقبلوه كما لم يقبلوا شرط المرسوم السلطاني ، ولكن حلالهم أن يقولوا بواسطة أعوانهم واتباعهم أننا قبلنا الشروط كلها ولم يبق الا مسألة شكلية ، وزغلول متشبث بالرئاسة ، هذا زعم باطل ! ولست ممن يتشبثون بالاشكال ولكن بالجواهر ومصلحة البلاد ، فان كنتم صادقين في هذا الزعم فلماذا — وانتم معتبرون مرنين — تتمسكون بالشكل ولا تتساهلون (تصفيق)

ان كان هذا اعتقادكم فبرهنوا على اخلاصكم بتنازلكم عن هذا الشكل انكم تتشبثون به وتلقون على غيركم مسئوليته ، تناقض غريب لم يقبله أحد حتى مرءوسوكم

قلتم قبلنا كل شيء فهل ألغيتم الاحكام العرفية والمراقبة على الصحافة

قالوا بعد الاتفاق يمكن الغاؤها ، غريب جداً ، كأن الأمر رجع الى هذا : يجب على الوفد أن يتفق والا فتبقى الاحكام العرفية والمراقبة على الصحافة ، هذا تهديد . كأن الاحكام العرفية والمراقبة الصحفية لم

موجودة من زمان ، فكيف يمكنني أنا وزملائي أن نتفق بطريق التهديد ؟ ان كان الامر كذلك فلا كان الاتفاق ولا كانت نتائجه

لا يمكن أن نتفق الا اتفاقاً مؤسساً على الحرية والاختيار الصحيح ، اما الاتفاق بالاكراه فلا أقبله ويأباه زملائي معي كل الاباء

تعمر الوزارة (ولا أقول الحكومة) بأنها لا يمكنها أن تبقى في مناصبها بدون المراقبة على الصحافة والاحكام العرفية التي تستعملها ضد كل من يبدي رأياً ضد رأيها ، فقد استعملتها في حادثة طنطا لمنع المظاهرات البرئية على الطريقة التي

فعاملونها واستعملتها ضد الطلبة فهجم البوليس اليوم على المدرسة الخديوية وأصاب بعض طلبتها بجروح بعضها خطر كما بلغنا وربما كان منهم من يلفظ الآن النفس الاخير ، وكذلك حدثت اليوم حوادث أخرى من هذا القبيل في مدرسة الرشاد وامام وزارة الداخلية

لما حدثت حوادث طنطا رفعت هذا الاحتجاج باسم الأمة المصرية الى وزارة عدلي باشا وهو :

حضرة صاحب الدولة رئيس الوزارة بمصر

باسم الأمة المصرية أحتج بكل ما في من قوة على تداخل البوليس في المظاهرات البريئة التي جرت أمس بمدينة طنطا واطلاق الرصاص على المتظاهرين الابرياء حتى زهقت الارواح وسالت الدماء وبلغ عدد المصابين عددا جسيما كما تدل عليه التلغرافات الكثيرة التي لا تزال تتوالى علي من مصادر عديدة ، ومما يزيد حزني على هذه الناجعة أنها حصلت بسبب التصدي لمنع التظاهر لي والهتاف باسمي

وألفت نظركم الى أن مصادرة الامة في شعورها بمثل هذه القسوة البالغة مما يملأ قلوبها سخطاً واستياء ويترتب عليه من النتائج ما اترك لكم تقديره

أرسلت باسم الامة هذا البلاغ الى رئيس الوزارة التي تدعى وزارة الأمة فلم يتنازل حضرته أن يجيب وكيل الامة على هذا الاحتجاج

لماذا ؟ لأن وكيل الأمة الذي يخاطبه هو وكيل الفلاحين أو وكيل الرعاع في نظرهم فقد نقل عن بعض الوزراء أنهم يقولون تقليلا لاهمية حادثة طنطا أن القتلى من الرعاع

فالوزارة لم تجب على هذا الاحتجاج وخالفت بذلك التقاليد الادبية والسياسة التي تستند عليها في أن تحتكر الرئاسة لها ، وهي تقضي بأن كل مخاطب بكتاب أو تلغراف يجب عليه أن يجيب عليه ولو كان مرسله عدواً له

تضرب الوزارة باحتجاجي عرض الحائط فهل هذا يرضي الامة (هتاف كلا)

حدثت حادثة طنطا ولم تحرك الوزارة ساكناً بل شمتت بها ولم تعمل أية ترضية بخصوصها، فقارنوا بين هذه الحادثة وحادثة وقعت في فرنسا يوم أن بارح مفوضو الصلح الالمان أعداء الفرنساويين مدينة فرساي حيث صفر لهم وألقى عليهم بعض الحصى فبادرت الحكومة الفرنسوية قبل كل تحقيق وسؤال برفت مدير الجهة

وقد كان غائباً عن مكان الحادثة

قارنوا بين ما فعلته الحكومة الفرنسوية عند ما أهين أعداؤها في بلادها وبين ما فعلته الوزارة المصرية عند ما قتل المصريون وسالت دماؤهم في الشوارع ولقد حضر عندي أناس أجلاء وأخبروني بان هناك كثيرين يشهدون بأن المدير كان مع الحكمدار وقت ضرب الرصاص وان هذا الحكمدار هدد أحد الوجهاء بل عين أعيان طنطا بالرصاص عند ما طلب منه الامتناع عن قتل الارواح البريئة

هذا الحكمدار الذي أعلن قبل المظاهرات انه تلقى امراً بمنع المظاهرات بالقوة وضرب الرصاص ثم ضرب الرصاص فعلا بنفسه على مواطنيه فأزهق روح واحد أو اثنين . وأمر العساكر أن يضربوا الرصاص على الباقين : هذا الحكمدار يبقى طليقاً ويكون الاهالي (الرعاع على قولهم !) في القبور وفي السجون ثم تأتي الوزارة بعد ذلك فتقول انها مجبرة على تداخل البوليس في منع المظاهرات لانها مخلة بالنظام . وما أخل بالنظام الا البوليس فان في جميع الاحتفالات التي لم يتداخل فيها البوليس لم يحصل شيء مطلقاً مخل بالراحة العمومية . ولقد أعجب الناس جميعاً بهذا النظام الذي يرجع الفضل فيه للشبان الراقين حتى تأثر بذلك قضاة السلطة العسكرية والاحكام العرفية فبرأوا بعض المتهمين لانهم من ذلك الشباب الذي تولى حفظ النظام

وكل ما أبدت الوزارة من الترضية على هذا الحادث الفظيع انها أظهرت في بيانها الاسف عليه

انهم يأسفون على هذا الحادث لا لأن رعاعاً قتلوا أو جرحوا بل يأسفون لان السياسة التي اتبعوها وترتب عليها هذا الحادث كان أشأم سياسة عليهم لانها أبعدت القلوب عنهم وعممت السخط عليهم في كل انحاء البلاد كما تدل عليه التلغرافات الكثيرة التي تتوالى علينا بالاحتجاج على هذه الحادثة وحسناً ما فعلوا ، بل لازماً مافعلوا ، لان أمة ترى دماء أبنائها تراق لانها تنادي بالاستقلال وتسكت ليست جديرة بشيء من الاستقلال ، ولو كنا في بلد دستوري لسقطت الوزارة بلا كلام ، ولكنها تقول انها تأسف وتتوهم انها بهذا الاسف تمحو ذلك الاثر من نفوسكم ، هيهات هيهات أن يمحى ذلك الاثر خصوصاً ما دامت السياسة التي أنتجته متبعة في البلاد ، وهي متبعة الى الآن

ة ثم بيان الوزارة واشتغل الوفد بالرد عليه وأتمه ولكن وزارة الثقة ، وزارة الامة التي تريد أن تتمشى على ارادتها أوقفت نشره بعد اذ نشرت بيانها، تريد بذلك أن تمنع وكلاء الامة من ان يتكلموا مع الامة وأن تنفرد هي بالكلام معها ؛ ومعنى ذاك أن تخضع الامة لارادتها

كلا ! اذ كانت الامة بعد ان ضحت ما ضحت ، وتحملت في سبيل حريتها ما تحملت ، ستخضع لاوامر نفر يحكمها على غير ارادتها فعلى الدنيا العفاء

وبما ان الوزارة منعت نشر بياننا فليس لنا من حيلة الا أن نتلوه عليكم، وأرجو حضرة مصطفى بك النحاس أن يتلوه هو وبعض نماذج من المستندات التي تدلكم على أعمال الوزارة ثم أقول كلمة بعد ذلك (وجلس بين الهتاف والتصفيق)

ثم قام حضرة مصطفى بك النحاس وتلا تلغراف الاسكندرية ، فاحتجاج الاسيوطيين فاحتجاج مدرسة الرشاد فاحتجاج المدرسة الخديوية فرد الوفد على بيان الوزارة وهذا هو :

« القاهرة ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٩ــ٢٨ برمودة سنة ١٦٣٧ــ٦ مايو سنة ١٩٢١ ملا بيان الوزارة الجديد قلوبنا أسى وحزنا اذ دل دلالة واضحة على انها لا تقدر المسئولية الملقاة على عاتقها حق قدرها في الوقت الذي يتقرر فيه مصير البلاد

انها بدل أن تأتينا ببيان واضح نزيه للحالة السياسية أعلنت بيانا مملوءاً بالمجادلات الشخصية وعوض أن تشتغل بالدفاع عن مصالح البلاد وتدبير شؤنها قصرت همها عن الدفاع عن نفسها وتبرير أعمالها المخالفة لاقوالها . وبدل أن تقوم بواجبها الاول من تقوية رابطة الاتحاد بين الجميع واحترام ارادة الامة تخلت عن هذا الواجب وطلبت من الامة أن تهيء لها جواً صالحاً يسهل عليها المفاوضة .

انها فقدت نفوذها في الامة فكيف تلاقي الأجنبي وعلى أي قوة تعتمد أمامه؟ اذا كان عدلي باشا في شك من هذا فليرجع البصر الى عمله ويقارن بيانه الاول وبيانه الثاني يجد الفرق جلياً . اذ لم يمض خمسون يوما على ما عاهد الناس عليه من الاسترشاد برأي الامة والنزول على أرادتها حتى تبين أنه يقاوم تلك الارادة ويعمل على محوها . فلم تلغ الاحكام العرفية ولا الرقابة الصحفية وكثرت عوامل التفريق في الامة وتقسيم وحدتها، وانتهى الامر به الا اظهار عدم الحاجة الى

لاستهانة بالوفد الذى هو ممثل الامة ومظهر ارادتها

اضاعت وزارة الثقة كل اعتبار لها حتى عنوانها بالتجائها الى اكراه الناس بواسطة المديرين والمأمورين وغيرهم من رجال الادارة على ان يبدوا ثقتهم بها وان كان اكثرهم لا يتصاعون لهذه الوسائل ويشكون منها كما تدل على ذلك مئات التلغرافات التي تتوارد علينا يومياً من جميع الجهات

وكيف يسوغ لوزارة تألفت لتضع نظاما دستوريا للبلاد على أرقى المباديء العصرية يضمن حقوق الجماعات والافراد والحرية السياسة ان تفاخر بوسائل التأييد التي لم تحصل عليها الا بافساد الاخلاق القومية بحمل الناس على ذلك ان يظهروا خلاف مايضمرون ويبدوا الثقة فيمن لا يثقون به ! ! !

أضاعت الوزارة الثقة بها بقهر الموظفين على أن يغيروا الآراء التي أبدوها تأييداً لخطة الوفد وبالحجر عليهم حتى لا يكرموا رجلا امتلأت نفوسهم ثقة به ولا يؤيدوا خطة ليست هى خطة الوزارة بل خطة ممثلى الامة

أضاعت الوزارة الثقة بها لانها لم تف بشيء من عهودها وخالفت بيانها ، لم تقبل شروط الوفد وتظاهر أعوانها بمناوأته والعمل على أفساد خطته ، فأصرت الامة على تأييده • وكلما قامت المظاهرات السلمية معبرة عن ذلك غضبت الوزارة ونبشت المقبور من القوانين الاستثنائية التي وضعت في أثناء الحرب لتطبقها في زمن السلم • واتهمت المظاهرات السلمية بانها مضرة بالحالة الاقتصادية للبلادوهو ماأعتاد خصوم الحركة الوطنية ترديده كلما انتعشت بقصد اطفائها

ولقد كنا أول من دعا الناس للعودة لأعمالهم فلبوا نداءنا ولم تتجدد المظاهرات السلمية الا بسبب أعمال الوزارة

وقعت مظاهرة طنطا البريئة فقوبلت بضرب الرصاص وازهاق الارواح . ولا يمحوا أثر هذه الحادثة السيء من النفوس ماأعلنته الوزارة من الاسف لان السياسة التي جرت عليها هي التي سببت وقوعها . وهي مصرة على اتباع هذه السياسة كما يدل عليه تصريح رئيسها المنشور في جريدة الاخبار في عدد يوم ٢ مايو سنة ١٩٢١

لم يكن يدور بخلدنا أن نضطر يوماً الى اذاعة حقائق كنا نود ان تبقى في طي الكتمان حتى ينشرها التاريخ • خصوصاً لاشخاص سبقت لنا بهم صداقة. ولكن

مصلحة البلاد فوق كل اعتبار وللضرورة أحكام . ومع ذلك سنقتصر على ما تقتضي الضرورة بيانه تنويراً للرأي العام

ان عدلي باشا قبل مشروع ملنر وسعى في ترويجه بكل الوسائل . واجتهد في حملنا على الدخول في المفاوضات الرسمية على أساسه فلم نقبل أن ندخل فيها الا بعد تعديله

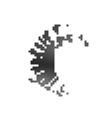
وعند ماشاعت الاخبار بسلوكه مع الوفد سلوكا غير مرضي أراد نفيها فعاهدنا على أنه لن يعمل شيئاً من غير اتفاق سابق مع الوفد . وأعلن ذلك في تلغراف نشر في الجرائد . ورغبة في ابعاده عن ترويج المشروع وعن السعي في تنفيذه على ماهو عليه ايدنا تعهده بتلغراف نفينا فيه مانسب اليه

ولكنه ماعتم بعد أن عاد في نوفمبر الى مصر أن سعي انصاره في العمل على افساد خطة الوفد التي أقرها . وفي دعوة الناس الى استحسان الدخول فى المفاوضات الرسمية على أساس ذلك المشروع قبل تعديله

ولما شكل الوزارة الحاضرة وكان يعلم أن ثقة الأمة به وبكثير من زملائه الذين اختارهم للعمل معه ضعيفة وأن لها الثقة الكاملة بالوفد وبكل من ينتمي اليه اضطر الى أن يقول في بيانه أنه يسير على مشيئة الامة ويشترك مع الوفد في المفاوضات الرسمية

ولهذا القول دون سواه قابلت الأمة وزارته بالارتياح والهتاف . ولكن أتباع هذه الوزارة والصحف الموالية لها لم يلبثوا حتى أخذوا يسعون بكل مافي جهدهم في حمل الأمة على ابعاد الوفد من المفاوضات . وحاولوا بوسائل شتى تفريق كلمة الأمة وتقسيم وحدتها

ولما جاءنا بيان الوزارة أرسلنا اليها شروط الاشتراك في المفاوضات . وقررنا العودة لمصر لمبادلة الآراء معها بطريقة ودادية . فلم يقع نبأ عودتنا موقع الاستحسان لديها . وأخذ بعض الملتفين حولها يسعون في منعنا من العودة كما سعوا في استكتاب عريضة من بعض أعضاء الجمعية التشريعية بالثقة فيها بدون ذكر الوفد



ومع ذلك فانه بعد وصولنا تداولنا معها في شروطنا بالصراحة والاخلاص فأظهرت الاستعداد اولا لقبول البعض دون البعض

ولكنها انتهت بأن أعلن رئيسها في حديث جرى له مع جريدة الاهرام بعدم قبول أحدهما ، وأبلغنا دولة رشدي باشا رسمياً الساعة ٤ بعد ظهر يوم الاثنين ٢٥ ابريل سنة ١٩٢١ بأنها مصممة كل التصميم على عدم قبول الشرطين المختصين بالمرسوم السلطاني وبالرياسة ثم انها لم تلغ المراقبة على الصحافة ولا الاحكام العرفية

اذا كان الخلاف قد انحصر في نقطة شكلية كما زعم رئيس الوزارة فلماذا وهو الذي يعتبرها بهذا الاعتبار لم يتساهل فيها ؟ أما نحن فلا نعتبرها الا مسألة جوهرية ولمصلحة البلاد ، أولا لأن الخطة التي جرى عليها عدلي باشا في المفاوضات السابقة جماعتنا نعتقد تمام الاعتقاد بأن رياسته تضعف مركز المفاوضين المصريين أمام المفاوضين الانجليز لسبق قبوله مشروع ملنر وسعيه في تنفيذه ولكونه هو قدم حوالي ٢٥ يولية مشروعاً في ثلاثة عشرة مادة وضعه بالاشتراك مع دولة رشدي باشا وحضرة احمد بك لطفي السيد وأرسله بدون علمنا الى لورد ملنر ليكون أساساً لاستئناف المفاوضات . وهو مشروع يرمي الى الحماية في أخص معانيها . ولكونه معروفاً عند الانجليز (كما أشار اليه لورد ملنر في تقريره وروته صحف الانجليز مراراً) بأنه رئيس حزب المعتدلين . فرياسته على الوفد تفيد تغلب هذا الحزب المعروف بقبوله مشروع ملنر بحالته ، ولاعتبارات أخرى اهمها أن رئيس الوزارة في مصر ليس له من الحرية ما لغيره ممن هم بعيدون عن المناصب ولا يرتكزون الا على قوة الامة

وليس في هذه الاعتبارات شيء يجرح العواطف الكريمة ، وما قصدنا بها جرحاً ولكن بيان حقيقة يعترف بها كل عارف بالسياسة المصرية

نعم ان الحقائق مرة ولم يتعود عدلي باشا على تذوقها ، ولكنه يجب أن يعلم أن صناعة الوزارة في البلاد التي يحترم تقاليدها ويريد أن ينسج على منوالها تقتضي تحمل مثل هذه المرارة وأشد منها ، كما تقتضي عدم معاداة من ينقد السياسات ويبين للناس حقيقتها باخلاص

ولا ننازعه في أن يكون له شعور طيب ، ولكننا لا نتكلم عن الشعور بل عن المراكز وتأثيرها في حرية الآراء ، لو كنا نحن فيها لا نطبق علينا هذا القول مثل انطباقه عليه ، وهذا هو السبب الذي حمل رئيس الوفد على اباء أن يكون

في وظيفة رسمية مهما كانت سامية احتفاظاً بحريته وبالقوة التي يستمدها من مركزه في الامة ، وفرق بين ان تعين الحكومة للمفاوضات موظفاً مديناً بمركزه للطرف الآخر ، وبين أن تعين لهـذه المفاوضات من ليس مديناً له بشيء ، فما ذهب اليه عدلي باشا في بيانه من استحالة المفاوضات بين مصر وانجلترا عند العمل بنظريتنا من الخطأ الواضح

يزعم عدلي باشا أن مصر ومآلها أن تكون دولة مستقلة لا يصح لها أن تبتدع في باب التقاليد السياسية ، اذا كان الامر كما زعم فلماذا قبل دولته المشروع الذي وضع لتأليف وفد رسمي تحت رياسة مظلوم باشا ، وكان ضمن أعضائه هو وتوفيق نسيم باشا مع بقاء هذا في رياسة الوزارة ؟ أين كانت هذه التقاليد؟ ولماذا لم يعدها بدعة في ذلك الوقت ؟ يظهر أن الاستناد الى التقاليد السياسية انما هو ظاهري وأن السبب ربما كان ما بدر على لسان رشدي باشا نائب رئيس الوزارة لوفد طنطا من أن الانجليز هم المعارضون في أن تكون الرياسة للوفد

وغريب ان يقبل عدلى باشا تداخل الحكومة الانجليزية في هذا الامر مع أنه خاص بالمفوضين الذين ينوبون عن الامة المصرية ومن حق مصر تعيينهم كما صرحت به الحكومة الانجليزية فى مجلس النواب ، وللامة أن تحاسب عدلى باشا على هذا التفريط في حقوق البلاد الذي يبداء به أعمال المفاوضة

ومن العجب العاجب أن يزعم عدلى باشا ان رياسة وكيل الامة للمفاوضة يضر بكرامة الحكومة وينسي أن العكس يضر بكرامة الامة التي هي صاحبة الشأن في الموضوع

اننا كنا نريد من كل قلوبنا الاتفاق مع الوزارة ولكنها سدت باب الاتفاق بأعمالها فعليها وحدها تقع مسئولية عدم دخول الوفد في المفاوضة والنتائج التي تترتب عليه ، أما الامة فلا تضع ثقتها الا فيمن عمل على استحقاقها

سعد زغلول



ثم قام سعد باشا بين التصفيق الحاد والهتاف القوي لالقاء الكلمة التي وعد بها فقال :

قد تبين الآن جلياً وبكل وضوح انه يستحيل على الوفد أن يشترك مع هذه الوزارة في المفاوضات ولو قبلت جميع شروطه للاسباب التي تليت عليكم الآن لان الثقة لا يمكن بعد ذلك أن توجد بين رئيس الوفد وأعضائه والوزارة

ومن المستحيل ان يتألف وفد يجمع بين هاتين الهيئتين فان هذا لا يوافق مصلحة البلاد مطلقاً

واصبح أيضاً من المستحيل أن تنفرد هذه الوزارة بالمفاوضات بعد ان أضاعت ثقة الامة فيها (تصفيق حاد) فلا مناص لها من احد أمرين : اما ان تستقيل لان الامة لم تعد تثق بها ، واما أن يعمل على انتخاب جمعية وطنية تفصل في الامور الهامة للبلاد وخصوصاً المهمة الحاضرة ، لانه لا يليق بنا ونحن أمة قامت ونهضت لطلب الاستقلال وضحت ما ضحت من دماء أبنائها وحرية شيوخها وفتيانها ولا ينبغي لنا ان نخضع لحكم ثمانية اشخاص أو تسعة ليس لهم ماض في البلاد (تصفيق حاد جداً وهتاف بسقوط الوزارة) فاما تستقط هذه الوزارة خضوعاً لارادة الامة واما أن يجري انتخاب جمعية وطنية لتلزم هذه الوزارة بالابتعاد عن الاحكام فيتولاها رجال آخرون تثق الامة بهم

فاليكم والى الامة أن تطلبوا وأنا امامكم أولا الغاء الرقابة على الصحافة حتى يسمع هؤلاء الصم نداء الامة (تصفيق حاد جداً) وثانياً الغاء الاحكام العرفية حتى تكون الحرية لنا في انتخاب جمعية وطنية تبدي حكمها وتبين للملا آراء الامة وميولها ، أما بقاء الحال على هذا المنوال فمحال

وليسمع ذلك من يسمع والا فالمسئولية عظيمة (تصفيق حاد)

وما نحن بثائرين على احد ولكننا لا نقبل وزارة لا تريد أن تنزل على ارادة الامة (تصفيق حاد)



خطبة في وليمة العشاء

التي أعدها حضرات تجار القاهرة تكريماً لمعاليه وصحبه المخلصين

في فندق سميراميس في يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٢١

سادتي :

كنت أود أن أقول سيداتي وسادتي : كنت أود أن أقول ذلك لان للسيدات دخلا كبيراً في نهضة الاقوام عموماً وفي نهضة مصر خصوصاً واتمنى أن يأتي يوم أرى فيه خطباءنا يبتدئون بتلك البداية

قد أظهر السيدات في النهضة الحاضرة من الشجاعة والاقدام ما أعجب به كل واحد منا وكل ناظر الينا . وكن في كل موقف موضوع اعجاب الجميع وكن يملين على الرجال من الثبات والاحترام ما رأينا آثاره الآن ، لقد كتبن باعمالهن المجيدة صحيفة من أجمل صحائف تاريخ النهضة الحاضرة فلهن الشكر ولتصيحوا جميعاً لتحيي السيدة المصرية

ثم ان زملائي وأنا نقدم واجبات الشكر لحضرات تجار العاصمة الذين احتفلوا بنا هذا الاحتفال ونبدي عبارات الشكر وقلوبنا مملوءة سروراً من انهم صرحوا بأنهم لم يكرمونا هذا التكريم الا لاننا عنوان مبادئهم ورمز آمالهم

حقيقة يمتلىء قلب زملائي وقلبي سروراً كلما سمعوا هذه الكلمة توجه اليهم وهي ان ذلك الترحيب وذلك الاكرام وتلك المظاهرات انما هي موجهة للمبدأ لان ذلك يؤكد لنا ان هذه النهضة باقية دائمة وليست كما قال خصومنا انها نهضة شرذمة قليلة وانها نهضة قوم مخصوصين نهضة سطحية ليست عميقة كذبتم كل هذه الاقوال . كذبتم باتحادكم ما زعموه من ان النهضة نهضة دينية . كذب اتحاد الصليب والهلال هذه الدعوى واثبت ان هذه نهضة قومية

قالوا ـ وكثيراً ماقالوا ـ قالوا ان هذه النهضة مخصوصة بقوم دون قوم لم يشترك فيها الاعراب ـ قام الاعراب وكذبوهم حتي شكوا من تهور الاعراب في وطنيتهم

قالوا ان أرباب الجلاليب الزرقاء لم يكونوا مشتركين فيها ـ قام أرباب الجلاليب

الزرقاء وأثبتوا بكل وضوح انهم شركاؤهم وانهم قوتنا وانهم عدتنا

زعم قائلهم ان الموظفين الذين كانوا يحسبون انهم من جنودهم ـ لان لهم مطامع عندهم ـ ليسوا مشتركين ـ قام اولئك الموظفون على بكرة أبيهم وامتنعوا عن العمل احتجاجاً على هذا القول

قالوا ان العلماء ليسوا معهم ـ قام العلماء واثبتوا أنهم معنا وانهم أئمتنا في الوطنيه كما أنهم أئمتنا في الدين

قالوا بلى اننا هناك لتحفظ الامراء من تعدي رعاياهم عليهم ـ قام الامراء وقالوا ونحن مع الشعب ـ

قالوا أخيراً أن البلد منقسم بين معتدلين ومتهورين ، قتم جميعاً وأثبتم في هذه الايام ان البلد كله صوت واحد يريدون الاستقلال التام ليس فيه معتدل ومتهور في الوطنية بل كلهم متهورون فيها

فما الذي يقولون بعد ذلك ، ما الذي يخترعونه ؟ أشعر شعوراً تاماً من يوم أن تشرفت برؤية بلادي انهم أمام هـذه الحركة الهائلة التي اوجبت استغراب كل من رآها ـ أشعر بأنهم سيشعرون بأن هناك عدالة في العالم وانهم يجب أن يحترموا هذه العدالة !

ان كنت فرحت بشيء من هذه المظاهر الباهرة . من تلك المظاهرة الهاتفة التي لم ير مثلها للآن في مصر ولا في غير مصر ، ان كنت فرحت بهذا وكنت اود أن يكون في القاموس او في معلوماتي عبارة تعبر عما في نفسي أزيد من هذا ان كنت فرحت وسررت ، وامتلأت طرباً وفرحاً من هذه المظاهرات فهو لهذا المعنى الجليل الذي تؤديه تلك المظاهرات الفخمة فقط ، ولهذا ما كنت متيقنا بالنجاح فيما مضى مثل ما أنا متيقن الآن بعد رؤية اتحادكم وماشعرت به من حرارة انفاسكم وما رأيته يسطع من عيون الشبيبة والشيوخ من الوطنية الباهرة

حقيقة قلت أنى عدت اليكم لاقوي بعزائمكم عزمي، وأشد باتحادكم المتين أزري ، وما رجوته قد تحقق واني الآن اقوي عزما واشد أزراً من كل زمان مضى

نعم شددتم أزري وقويتم ضعفي ورفعتم رأسي، وأطلتم عنقي واني لا باهي الأمم بكم الان ، وبعد الان ، جئت لاتمتع بمرآكم وأي تمتع ؟ تمتعت بمظاهر ما كنت احلم بها ـ مظاهر حققت مارجوته . تمتعت وما زلت اتمتع عند مرآكم

وعند تجلي لكم، وكلما شعرت ان المبدأ الذي أجاهر فيه محترم عندكم ومنشود منكم جميعاً - ولقد اطربني وملأ قلبي سروراً قول وفد شرفني من ادفو « اننا جئنا لا لشيء الا لانك رمز امانينا وعنوان استقلالنا ولانك تعمل على مبادئنا ولو رأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بأقلامنا »

طربت جداً عند ماشرفني بزيارته وفد من الفلاحين وعلى اكتافهم المقاطف وفي ايديهم الفؤوس اذ قالوا « اننا جئنا لنحييك » قلت « وماذا تريدون ؟ » قالو « نرغب الاستقلال » قلت « تعرفوش الاستقلال ده يبقا كل والا يتشرب » قالوا « الاستقلال يعني نحكم نفسنا بنفسنا ولا يحكمناش الانجليز »

ائتوني بأي كاتب أو فيلسوف يأتي للاستقلال بمعنى أحسن من هذا المعنى الذي جاء به الفلاح الذي يحمل في يده الفأس وعلى كتفه المقطف ؟ ؟

افتخر بهذا الفلاح وبأنه مني وانا منه !

جئت ايضاً لان حالة حدثت في مصر بعد التصريحات الحديثة التي صدرت من الحكومة الانجليزية فيما يختص بالمفاوضات الرسمية ولان وزارة جديدة تألفت وأعلنت في بيانها أنها تريد النزول على ارادة الأمة وانها تسترشد بارادتها وانها تعمل لتحصل على الاستقلال أو لتجعله خارجاً عن الشك وانها تدعو الوفد للاشتراك معها في المفاوضات الرسمية وانها تعمل جهدها في أن تلغي الاحكام العرفية والمراقبة على الصحافة — فرحت جداً بهذه التصريحات . فرح زملائي وانا فرحنا لأننا نود من صميم قلوبنا أن نرى أحكامنا بيد رجال يقدرون الامة قدرها ويريدون أن يمشوا على ارادتها وانهم يودون أن يشتركوا مع الوفد في المفاوضات الرسمية — وليس شيء أحب الى الوفد من أن يشترك في المفاوضة الرسمية اذا كانت تحتوي على شرطه ومبادئه

ان كانت الوزارة مستعدة لان تجري على مبدأ الوفد وشريطته مددنا اليها يدنا وساعدناها وساعدتنا ولكن اذا لم تكن على شريطة الوفد التي هي شريطة الأمة فلا نعرف هذه الوزارة مطلقاً

نعم انها أحسن من سابقتها فيما يتعلق بالادارة — هذا ليس شغلي — ولكن الذي نطلبه هو أن تكون في السياسة عاملة على تحقيق أمانيكم

جئت لاتحقق من الوزارة هذا المعنى فان وجدت أنها ستجري حقيقة

على مبدأ الأمة وشريطتها وتمشي على ارادتها حقيقة وتتحمل نقد الامة جهراً وعلانية سرت معها وكنت خادماً لها ، ولكن اذا أرادت أن لا تسير الا بالالفاظ والعبارات فقط فأنا أول من يكون ضدها وأنا معتقد كل الاعتقاد انها تعلم منا هذه الفكرة وهذا العزم واننا لانحيد مطلقاً عن مبدئنا ولذلك قلنا أنها لكونها تعلم مبادئنا وحرصنا عليها فهي مستعدة لأن تقبل هذه الشروط التي وضعناها لتحقيق الغرض الاسمى وهو الاستقلال التام

اني بناء على طلب هذه الوزارة لا أريد أن أتوسع في شرح الشروط التي وضعناها لان الوزارة طلبت أن يكون الامر بينها وبيننا وأنا وعدتها بذلك وأنا أريد الوفاء بوعدي ، وأريد منكم أن تتمهلوا وأريد كذلك من كل كاتب أو صحفي أن يتمهل الآن لايكتب شيئاً حتى يستعلم منا ومن الوزارة ثم يبدي رأيه لاني أرى بعض الكتاب يتبسطون في هذا الموضوع - موضوع المفاوضة - ويذهبون فيه مذاهب بعيدة فأولا يجدر بهم خدمة لمصلحة البلاد وحباً في حسن سير العمل وتفادياً مما يوجب تشويش الافكار أن يتريثوا قليلا حتى يتم الامر بيننا وبين الوزارة فاذا تم على الاتفاق عرفوه أو على غيره وقفوا عليه ، أما الآن فالافضل التمهل وان تظل المفاوضة بين الوزارة والوفد في جو هاديء وأنا أعلنكم أننا على أتم استعداد للسير في المفاوضات الرسمية اذا تأكدنا أن الدخول فيها يصل بنا الى مطالبنا

ولكن اذا رأينا أن الدخول فيها لا ينيلنا شيئاً أو يجعلنا نقبل مشروعاً لا يتفق مع مبادئنا ولا هو مرض لأمانينا اجتنبناه اجتناباً كلياً . . .

اني متشكر ليس منكم فقط بل من كل المصريين ولا أخص واحد دون واحد وحقيقة لايمكنني مطلقاً أن أميز بين الذين أظهروا شعورهم نحوي انا وزملائي لا بصفتنا الشخصية بل بصفتنا رمز مبادئكم وعنوان آمالكم — فان هذا الشعور كان يسطع على وجوه الجميع وهو في النفوس واحد بلا تمييز وانا أنتهز هذه الفرصة لا كرر شكري لجميع طبقات الامة وسروري العظيم من أنها كلها متحده على كلمة واحدة وهي المطالبة بحقها الشرعي وهو الاستقلال التام

خطبة في حفلة الشاي

التي اقامها اصحاب الفضيلة العلماء تكريماً لمعاليه

بدار السيد عبد الحميد البكري بالخرنفش في ١٤ ابريل سنة ١٩٢١

ماحيرت الشعر ولكن الشعر حيرني

هذا الترتيب الكبير ، هذا التهليل العظيم والهتاف الباهر كل هذا حيرني ولا أملك شيئاً من العبارات يمكنه أن يصف مايخالج قلبي ويدور في خلدي من عواطف الشكر التي أريد أن أقدمها لكم

ماكان يمكنني قبل أن تشرفت برؤياكم أن أتصور في نفسي هذا الجمع الحاشد ، هذا الجمع الذي ضم كل الطبقات من أصغر صغير الى أكبر أمير ، هذا الجمع الذي أشعر من اعماق قلبي ان كل قلب فيه يشعر بما يشعر به الآخر ، يشعر بشيء واحد هو الاستقلال التام

ماوجدت لهذا الجمع عبارة ألقيها ولكن يقذف هذا الجمع في قلبي ويلقي على لساني تلك العبارات التي يجري بها فمي ، أنكم مني قلباً وقالباً ولستم بلاعبين ، انكم مجدون تطلبون الحرية وأن تكونوا أحراراً ، وأن تعيشوا عيشة الامم الحرة ، هذا المعنى الذي أشعر به من قلوبكم ومن حرارة أنفاسكم وترمي اليه عبارات خطبائكم هذا المعنى يقوي عزيمتي ويشد أزري ويجعلني كبير الامل في النجاح نعم ماكنت أشد أملا في نجاح قضيتنا المصرية مني في هذه الايام التي أرى فيها كل الطبقات مجمعة بقلوب متحدة متجهة نحو ذلك المطلب الاسمي ، ومادام فلاحنا صاحب الجلابيه الزرقاء وعاملنا وزراعنا ، ومهندسونا ، ومحامونا ، وطبيبنا ، واميرنا ، وكبيرنا ، وصغيرنا كلهم يطلبون هذا الطلب فلامعنى أن لا نصل اليه.

ولقد استبشرتم أن في البلاد وزارة تعمل على تأييد مطالبكم وأنا مستبشر استبشاركم واريد ان أضع يدي في يدها لنسعى في تحقيق مطالبكم وما دامت الوزارة والوفد مرتكزين على قوة اتحادكم فلا بد أن نصل الى تحقيق مطالبكم ان شاء الله

خطبة معالي الرئيس

في حفلة موظفي الحكومة المصرية

التي أقاموها بفندق الكونتننتال تكريماً لمعاليه وصحبه الاكرمين في ٦ مايو ١٩٢١

أيها السادة

أقدم لحضراتكم بالنيابة عن زملائي وبالاصالة عني أسمى عبارات الشكر على هذا الاحتفال الباهر وعلى هذا التكريم الجليل واني أستسمحكم أن أكون اليوم جباناً فيكم لاني رأيتكم جميعاً مملوئين بالحماسة والغيرة والوطنية وبالشهامة والاقدام وهذا الذي كنت اريده عند ماقمت وناديت باستقلال البلاد

أؤكد لكم أني أشعر في هذه اللحظة أني اقل منكم شعوراً بواجبي فلا يحق لي أن أخطب فيكم فقد وجدت فيكم روحاً أقوى من روحي . واذا مت اليوم فاني خالد فكلكم سعد وا كثر من سعد . لهذا لا أريد أن أكون خطيباً اليوم ولكني اريد أن أكون قصصياً اقص عليكم شيئاً من تاريخ المفاوضات لم تعلموه لغاية الآن

في يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ وردني تلغراف من صاحب المعالي عدلي باشا يكن يقول فيه : « ارجوك أن لاتبدي رأياً في الاعلان الذي اصدرته لجنة ملنر قبل أن يصل اليكم مني كتاب بالتفاصيل » . لذلك تأخرت بضعة أيام عن ابداء رأيي . ثم وردني كتاب منه مع حضرة زميلي علي بك ماهر ومعه صورة من الاحاديث التي جرت بين الوزراء الثلاثة عدلي ورشدي وثروت وبين لجنة ملنر وفي هذا الخطاب يدعوني هؤلاء الاصدقاء (وقد كانوا أصدقاء) أن أعود الى البلاد . وألحوا علي وعلى زملائي في العودة فتداولنا وقررنا ان هذا الاعلان لم يغير الحالة وأجبناه بذلك

وفي ٩ مارس كتب عدلي باشا يقول أن ملنر توجه الى لندرا وانه يريد المفاوضة في لندرا وينتظر مني جواباً ولكن مسألة المفاوضة في لندن ربما تقتضي بحثاً وتأملا فهل تسمحون بأن أحضر اليكم لأكون معكم مدة البحث والتأمل؟ فان وجدتم فائدة من وجودي فسأعجل بحضوري اليكم وأجعله في شهر ابريل

بدل شهر مايو الذي عزمت على السفر فيه الى أوروبا .

كتبت اليه تلغرافاً بأننا ننتظر قدومه . فأجابنا بتلغراف آخر : أرجوا أن تخبروني بالتفاصيل

دهشنا لهـذا السؤال لأنه هو الذي طلب أن يحضر الينا وهو الذي عرض علينا أن يكون معنا مدة التروي فما معنى هذا السؤال ؟

ومع ذلك كتبنا له تلغرافاً بأننا نريد مبادلة الآراء معه .

فحضر عدلي باشا ودخل في الوفد . وكان الوفد متحداً . . . ثم حضر جلسات الوفد كواحد من أعضائه بل من أكبر أعضائه اذ كان فيهم كبير وصغير

في أثناء ذلك حضر مستر هرست ودعا الوفد باسم لجنة ملنر الى السفر لندرا لاجل المفاوضة للوصول الى اتفاق أساسه استقلال مصر وضمان المصالح الانجليزية ومصالح الاجانب

وبعد مناقشات معه إتفقنا على اجابة الدعوى على قاعدة أن يتوجه بعضنا الى لندرا ويبقى الآخرون في باريس ، وأردنا اعلان ذلك للأمة فكتبت تلغرافاً قلت فيه : —

«دعت لجنة ملنر الوفد بواسطة أحد اعضائها مستر هرست المستشار القضائي بوزارة الخارجية . . . الخ

كتبت بنفسي هـذا البلاغ للأمة وفي وقت ارساله حضر عدلي باشا فاطلع عليه قال : — « حسن ولكن ما المناسبة لذكر وظيفة المستر هرست المستشار القضائي ؟ »

عجبت لهـذه الملاحظة لأن الرجل في الواقع مستشار الخارجية والبلاغ لا يدل الا على أنه حضر الينا من قبل لجنة ملنر لا غيرها . ونشأ عن ذلك مناقشة انتهت بغضب عدلي باشا غضباً شديداً وبانصرافه لانه توهم ضرراً من ذكر هذا الوصف المطابق للواقع . بعد ذلك عاد وحذفنا هذا الوصف طبقاً لرغبته وحسماً للنزاع وأرسل التلغراف خالياً منه .

ومن حسن الصدف ان الجرائد الانجليزية لما نشرت هذا التلغراف أضافت من عندها هذا الوصف الذي حذفناه (ضحك)

لا أريد أن أشرح لكم ماقام بنفسي من هـذه الحادثة وأنتم يمكنكم أن

نستنتجوه من أنفسكم .

ذهب قسم منا الى لندرا وهم حضرات محمد باشا محمود وعبد العزيز بك فهمي وعلى بك ماهر لأجل أن يتأكدوا من حسن استعداد الحكومة الانجليزية بالنظر لمطلب الامة المصرية في الاستقلال التام . ثم كتبوا الينا عدة مرات بأننا نذهب للمفاوضة والحوا في ذلك غاية الالحاح بالتلغراف والتلفون وقالوا ان التخلى عن المفاوضة مسئولية كبري لايمكننا أن نتحملها فيجب ان ندخلها لذلك الالحاح ترددت كثيراً ولكني سافرت لاجبراً عني ولكن باختياري خروجاً من كل عهد ولأري ماوراء هذه المفاوضة فان كان خيراً حملته لبلدي والا عدت حيث كنت

ذهبنا للندرا وكان الاتحاد تاماً بيننا ... وتداولنا مع لجنة ملنر سبع جلسات من ٥ يونيه الى ٥ يوليه وكان من المتفق بيننا وبينها ان تكون المداولات لاستطلاع الآراء وتبادل الافكار حتي يعلم كل فريق ماعند الاخر من الآراء فى المسائل المختلفة من غير تقرير شيء ثم نعود فنبتدي من حيث ابتدأنا أولا فنبحث كل مسألة ونقرر فيها مايحصل الاتفاق عليه .

بعد هذه المحادثات اتفقنا في ٥ يوليه سنة ١٩٢٠ على أن يضع كل فريق مشروعا متضمنا لما فهمه من تلك المحادثات . واشتغل كل بوضع مشروعه ولم نرد ان نقدم مشروعنا حتي نطلع على مشروعهم

وقد أرسلوا الينا مشروعهم فى ١٧ يوليه فوجدناه مخالفاً كل المخالفة لما جرت عليه المحادثات .

استغربنا وهممت بمغادرة لوندرا ولكن كثيراً من الآراء كان يميل الى البقاء فبقينا وارسلنا مشروعنا الذي قررناه بالاجماع (لاننا الى ذلك الوقت كنا متحدين ...) وقررنا بالاجماع رفض مشروعهم . وبعد ذلك جاءنا من لوردملنر خطاب يقول فيه :

« اطلعنا على المشروع المرسل منكم الينا فوجدناه يخالف كل المخالفة في المبني والمعني عن كل ما وافقنا عليه أو توقعناه . لذلك لايمكننا قبوله لأن يكون أساساً لاستئناف المناقشة ، واذا كان هذا المشروع يعبر بالدقة عما تسمون للحصول عليه فان تقديمه جعلني أشعر أكثر من ذي قبل بقلة نجاح محادثاتنا

وكثيراً ما مالنا للتساهل في أمور تشككنا كل التشكك فيما اذا كان من الحكمة التساهل فيها ولم يكن هذا الا بقصد اكتساب قبولكم الصريح للنقط القليلة التي نعتبرها تحفظات لامندوحة عنها والتي نري أنفسنا مضطرين الى التمسك بها فان لم ترضوا بها فلا سبيل الى استئناف المفاوضة »

بناء علي ذلك أردت أيضاً أن نعود الى باريس وبالفعل حصلنا على جوازات السفر وكتبنا جواباً لملنر نبدي له الاسف لخيبة ظنناف التوفيق ونستأذنه بالسفر كما تقضي به الواجبات الادبية . وقبل أن نرسله اطلع عليه عدلى باشا فذهب بصورة منه الى ملنر وعاد فأكد لنا ان لورد ملنر لم يخطر بباله قطع المفاوضة وانه اتفق معه على ان يبحثا معاً عن طريقة مرضية للطرفين بقصد استئناف المفاوضات فعدلنا عن السفر

ثم ان عدلى باشا وضع مشروعا في ثلاث عشر مادة اشترك معه في وضعه رشدي باشا ولطفى بك السيد وقدمه من تلقاء نفسه حوالي ٢٥ يوليه الى لجنة ملنر من غير علم لنا بشيء من ذلك . ثم سمعت به همساً وأطلعت على صورة منه فوجدته يرمي الى تأييد الحماية على البلاد (تصفيق وهتاف متكرر ليسقط عدلى باشا)

ويمكنكم أن تطلعوا على هذا المشروع فتجدوا فيه مميزات الحماية بأخص معانيها . ولذلك أنكر عدلى باشا انه مشروع وقال انه مذكرة (نوته) كان كتبها امام ملنر يوم ان استلم منه مشروعه الاول فأعادها اليه تذكيرا له بها . وهذا مخالف للحقيقة لان المذكرة قصيرة جداً فيها ثلاث مسائل صغيرة أو أربع وأما هذا فمشروع مبوب مفصل في ثلاث عشر مادة أخذ فيه من مشروعنا ومن مشروع ملنر ومن مذكرته وأضاف الى ذلك شيئاً من عنده فخرج مشروعاً تاماً وهو مشروع لطيف من حيث هو مشروع حماية ! ! !

قدمه لان يكون أساساً لاستئناف المفاوضات . وبالطبع ظن ملنر ولجنته أن لنا يداً فيه واننا نقبله

أخذ بعد ذلك عدلى باشا من ٢٥ يوليه الى ١٠ أغسطس يجتمع بملنر ولجنته ويأتى فيحدثنا بما جرى وكثيرا ما قال لنا ان البت في المسألة الفلانية تأجل الى المفاوضات بين الوفد واللجنة . مسائل كثيرة تأجلت الى المفاوضة بين لجنة ملنر والوفد !

وفي ١٠ أو ١١ أغسطس سلم لنا عدلى باشا مشروعاً هو النسخة الاولى للمشروع الذي عرض عليكم مع تعديل خفيف . فلما قرأته أقشعر بدني لاني وجدته حماية صرفاً ولا يمكن قبوله .وقلت لعدلى باشا انى لا يمكنني أن أقبل هذا المشروع ولو قبلته لحكمت على الامة بالاعدام ولكنت مستحقاً للاعدام امام ضميري وذمتي

بعد ذلك دعانا ملنر في وزارة المستعمرات لابداء الملاحظات عن هذا المشروع (الذى عمل ليكون أساساً لاستئناف المفاوضات)

فذهبت مع عدلى باشا الى وزارة المستعمرات وأردت أبداء ملاحظاتى .فقلت عن النقطة العسكريه

«أنها صعبة ولا يمكننا قبولها وبما انكم حلفاؤنا فبحكم المحالفة نضع على القنال جيوشاً منا ، واذا كنتم تريدون أن تضعوا من عندكم خمسة آلاف فنضع بدلها من عندنا ١٠ واذا كنتم تريدون ١٠ فنضع ٢٠ من رجالنا وبمصاريف من عندنا.» فلم يقبل

فقلت « نضع عساكر من عندنا ويكون لهم ضباط من عندكم » فلم يقبل وقال : « نريد ان نكون ضيوفكم »

فقلت : « على الرحب والسعة عندنا شبه جزيرة سينا مكان واسع جداً نعير ادارته لكم للمدة التي تشاؤنها »

فأجاب : « لانريد أيضاً فعندنا منها الكثير وانما نريد شيئاً آخر »

فقلت :« نأسف فان هذا هو الذي لانرضاه »

فقال : « وما بعد ذلك ؟ »

فقلت : « موظف الحقانية لا لزوم له لان انجلترا تحل بمقتضي هذا الاتفاق محل الدول الممتازة التي ليس لها موظف في ادارة الحكومة فكيف يكتسب من ينوب عنها حقاً ليس لها »

فقال : » انك تعارض في أساس المشروع وهو لا يقبل المناقشة فاما أن يؤخذ كله أو يترك كله »

ومع أن عدلى باشا كان حاضراً تلك المناقشة فانه لم يقل ما كان قد قال لنا من أن هناك مسائل أبقيت للمناقشة فيها بين الوفد ولجنة ملنر ولم يعترض باي اعتراض كان ثم تكلم معه بالانجليزية برهة حدثتني نفسي فيها بالانصراف من المجلس ولكن كظمت غيظي فلربما يكون في بقائي مصلحة للامة .

ثم قال لي ملنر بعد ذلك « وما ذا عندك أيضا ؟ »

فأجبته : « مادام الامر كما قلت وان المشروع لا يحتمل المناقشة في أساسه واما ان يؤخذ كله أو يترك كله فلا يمكنني أن أتكلم »

وانصرفت أنا واستبق هو وعدلى باشا وبعد قليل لحقني عدلى باشا وركب ولم يقل لى شيئاً عما دار بينهما بالانجليزية ولا بعد خروجي

ولما عاتبته علي ذلك في باريس أجاب أن ملنر كان يقول له : « يظهر أن العمل الذي عملناه ضاع سدي » ولو أن صاحب المعالى أخبرنى بهذا الامر عقب حصوله لكان لى خطة أخري وشأن آخر

ولكنهم اجتهدوا بعد ذلك في أن تنتهي المفاوضات وأن تستشار الامة جاءنى رسول من عند ملنر وسألني عن موضوع الخلاف : فقلت (أولا) الغاء الحماية (ثانياً) النقطة العسكرية ، (ثالثاً) الشرط التعليقى ، (رابعاً) الموظف الانجليزي في الحقانية ، (خامساً مستشار المالية ، (سادساً) الحقوق التي تعطي لانجلترا لتمكنها من ضمان مصالح الاجانب الى آخر ماهو موضوع التحفظات التي ابدتها الامة فيما بعد وقلت ان تعديل المشروع بها يجعله صالحاً للعرض على الجمعية الوطنية ولكنه بدونه لايكون صالحاً

يؤسفني جداً أن أقول لكم انى أوخذت على هذا مؤاخذة شديدة . وأنكروا علي أن أملي على هذا الانجليزي هذه التعديلات وان اقول له انه بها يمكننا ان نعرض الامر على الجمعية الوطنية وبدونها لايمكن عرضه

وقالوا « اذا ادخلت هذه التعديلات على المشروع فاننا نمضيه واذا لم تدخل فنعرض الأمر على الامة وان هذا هو رأينا . »

قلت « لكم رأيكم ولى رأيي . »

قالوا « التضامن »

قلت « لاتضامن مطلقاً فى مخالفة الاساس الذي عاهدنا الامة عليه وافعلوا ماشئتم أمامكم كل ما تشاءون ولكن أمراً واحداً لاتستطيعون ان تقهرونى عليه ، وهو أن أمضى مشروعا ضد ضميرى واعتقادي ومصلحة بلادي ، وقلت وما اريد انشقاقاً بل اريد أن تبقي الوحدة بيننا ، ولذلك ماأريد أن أشهر بكم ولكنني أطلب اليكم أن تكونوا على الحياد وان تعرضوا المشروع بالنزاهة والذمة »

جاء حضرات المندوبين وعرضوا الامر على الأمة

فاتني أن أذكر شيئاً مهماً جداً وهو أن المشروع الاول الذي وصلنا من ملنر مع المذكرة (النوته) التي كتبها عدلى باشا بحضور ملنر ذا جما كان منها مشروع أقل عيوباً من المشروع الذي عرض عليكم بكثير جداً

وأقل الفروق بينهما انه في المشروع الأول كان الامر فيما يختص بسريان التشريع على الاجانب ان الممثل البريطانى له حق المعارضة فيه عند ما يكون غير متفق مع قوانين الدول ذات الامتياز . وكان لمصر اذا لم توافق على هذه المعارضة ان ترفع الأمر الى عصبة الأمم . وكان هذا شبه حق اكتسبناه ولكن في المفاوضة التي حصلت بين اللجنة وعدلى ضاع هذا الحق وسحب منا ما كان اعطى لنا برضاهم . فانه : —

(اولا) كان يعطي لمصر حق الاستئناف في عصبة الامم

(ثانياً) كان يجعل مصر في صف واحد مع انجلترا اذ يجعلها تتقاضى معها امام العصبة

(ثالثاً) كان في هذا المشروع ان مصر تعقد المعاهدات المتعلقة بالغاء الامتيازات بمساعدة انجلترا ، فجاء المشروع الثاني وسحب هذا الحق ، وجعل انجلترا تعمل وحدها مع الدول ، وليس لمصر الا ان تصدر المراسيم بتنفيذ ما تتفق عليه انجلترا مع الدول

ثم اقول انه من يوم ٢٣ يوليه الى ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٠ لم يحصل مطلقاً بين الوفد وملنر مفاوضات . وهذا المشروع الذي عرضوه عليكم وقالوا عنه انه مشروع ملنر وزغلول ليس مشروع زغلول مطلقاً . انى ابرأ الى الله منه . فلم اشترك في حرف منه . وانما عدلى باشا هو الذي سعي في احضاره وقد ترنم بذلك اصحابه حتى انهم عنونوه بأنه المشروع الذي توسط في احضاره عدلى باشا ليكون له وحده فخار احضاره وكانوا يهتفون له . وقال عنه عبد العزيز بك فهمي انه استقلال ونصف وهو اول رجل كان يقول ان هذا المشروع يصلح قاعدة لاستئناف المفاوضات

سمحوا لانفسهم وذممهم أن يطعنوا على الوفد وان يعملوا على هدم الوفد طبقاً لابرجرام الذى وضعه عدلى باشا ليقيم عليه وزارته

وبهذه المناسبة استطرد الكلام الى نقطتين هولوا فيهما كثيراً وهما الخاصتان بالنقطة العسكرية وبالمساعدة التي تقدمها مصر لانجلترا في زمن الحرب

فمن النقطة الاولى سمحتم دفاعنا فيها واهملت دفاعاً كثيراً مراعاة للوقت

تداولنا في هذه النقطة مراراً قبل الدور الاخير . وأخيراً قدمنا مشروعنا وذكرنا فيه « ان لانجلترا اذا رأت لزوماً ان تنشيء على مصاريفهما بالشاطيء الاسيوي لقنال السويس نقطة عسكرية للمساعدة على صد ما عساه يحصل من الهجمات الاجنبية على هذا القنال »

« وان تحديد منطقة هذه النقطة يحصل بعد بمعرفة لجنة مكونة من خبراء عسكريين من الطرفين بعدد متساو »

« ومن المتفق عليه ان انشاء هذه النقطة لا يعطي لبريطانيا اي حق في المداخلة في أمور مصر . ولا يخل أدنى اخلال بما لمصر من حقوق السيادة على تلك المنطقة التي تبقى خاضعة لسلطة مصر مطبقة فيها قوانينها كما لا يمس بالسلطة المخولة لمصر باتفاقية القسطنطينية المحررة في أكتوبر سنة ١٨٨١ الخاصة بحرية الملاحة في قنال السويس »

وبعد مضي عشر سنين من تاريخ العمل بهذه المعاهدة يبحث المتعاقدان الامر لمعرفة اذا كان استبقاء هذه المنطقة لم يعد له لزوم وما اذا لم يكن ممكناً لمصر وحدها العناية بالمحافظة على القنال وفي حالة الخلاف يرفع الامر لعصبة الامم»

والآن يريدون أن يشوهوا الوفد ويقولوا أضاع الوفد استقلال البلاد . واني وأنا وكيلكم افتخر كل الافتخار بهذا المشروع الذي به حفظت حقوق مصر . ولكن انجلترا لم تقبله

وعن النقطة الثانية وهي الخاصة بالمساعدة التي تقدمها مصر لبريطانيا في زمن الحرب زعموا ، ويؤسفني أن هذا الزعم يصدر عنهم وهم الذين اشتركوا اشتراكا فعلياً في المشروع وفي وضعه ، زعموا اننا قدمنا هذه المساعدة من تلقاء انفسنا . كلا ! وتاريخ المسألة ان لجنة ملنر قالت: « نريد أن ندافع عنكم ولا نسمح مطلقاً لدولة اجنبية ان تعتدي عليكم وأن نعقد معكم محالفة تأخذ بريطانيا فيها على عاتقها الدفاع عن سلامة ارض مصر . » عرضوا ذلك فتداولنا فيه ورأينا انا اذا نحن قبلنا هذا العرض بلا مقابل فيكون الامر حماية ويكون لانكلترا الحق على مصر

أنها تأخذ منها طوعاً أو كرهاً كل ما تريد ، شأن الدولة الحامية للامة المحمية »

فلذلك قلنا « لا نقبل أن يكون هذا محالفة ، فان المحالفة تقضى على الحلفاء بالتزامات متبادلة ، ولكن بما انكم اقوياء ونحن ضعفاء ، أنتم دولة كبيرة جداً فلا يمكن أن نقدم لكم أموالا ورجالا في كل حرب تدخلونها فيجب أن تكون المساعدة التي تقدمها في زمن الحرب محدودة »

قلنا ذلك لنزيل الحماية ونحقق معني المحالفة ولنتقي بالقليل الضرر الكثير ولكن لم تتكلم عن مواصلات ولا طرق نقل حتي جاء مشروعهم وفيه :

« انه نظراً للمسئولية الملقاة على عاتق بريطانيا العظمي لقيامها بضمان سلامة أرض مصر ونظراً لما لها من المصلحة الخاصة في حفظ مواصلاتها مع ممتلكاتها في الشرق والشرق الاقصى فمصر تعطيها حق ابقاء قوة عسكرية بالاراضى المصرية وحق استعمال الموانى ومحال الطيران المصرية لغرض التمكن من الدفاع عن القطر المصري . ومن المحافظة على مواصلاتها مع املاكها المذكورة »

فقلنا ذلك ما لا يمكن قبوله »

ولهذا افتكرنا في النص الذي وضمناه في مشروعنا وهو : —

يوافق الطرفان على عقد محالفة دفاعية بينهما للاغراض الآتية :

(١) تتعهد بريطانيا العظمي بالاشتراك في الدفاع عن الاراضي المصرية ضد كل تعد يحصل من جانب أي دولة من الدول

(٢) عند حصول تعدي على المملكة البريطانية من جانب أي دولة أوروبية ولو لم تكن سلامة القطر المصري ذاته في خطر مباشرة فان مصر تتعهد بأن تقوم داخل حدود بلادها لبريطانيا العظمي بجميع ما تحتاجه حربياً من تسهيل المواصلات وأعمال النقل . وشروط اداء هذه المعونة تتحدد باتفاق خاص »

أظن الوفد لم يرتكب خطأ في هذا فانه يجب أن يأخذ ويعطي ، يعطي القليل ويأخذ الكثير وما دام يجب أن نتحالف فيجب أن تكون المحالفة من الجانبين والا تكون حماية صرفاً

لم نكتف بهذا المميز بل وضعنا مميزاً آخر وهو أن تكون المحالفة مؤقتة لمدة ثلاثين سنة

واني أفتخر أنا وزملائي بهذا المشروع الذي منعت الرقابة نشره

فمن هذا يتلخص ان الذين انشقوا وأرادوا أن يطعنوا على الاعمال التي تمت بمساعدتهم واشتراكهم انما أرادوا أن يسيئوا الينا شخصياً ولو جر ذلك الى اسلتهم انصهم على حد قوله : اقتلوني ومالكاً معي ، ولكن مالكاً لا يقتل فليقتلوا هم وحدهم دون مالك (تصفيق حاد)

تمت الاستشارة على الطريقة التي تعلمونها ، حتى انى ما تركت وسيلة من الوسائل في أن يكون عرض المشروع عليكم بالذمة والنزاهة ، ولكن ما ذا أصنع؟ غلب القضاء علي والحمد لله على ان الامة يقظة فانها قيدت القبول بالتحفظات والزمتنا بالسعي فى ادخال هذه التحفظات على أساس المشروع . فأشكر لامتي على هذا الاحساس الطاهر الذي نجانا من ذلك الشر المستطير

وقبل أن أنتقل من هذه النقطة اذكر أمراً لحضرة زميلي علي بك ماهر أشكره عليه كثيراً فانه اشتغل شغلا كبيراً في الاستشارة وكان لعمله أهمية كبرى في ابداء هذه التحفظات (تصفيق وهتاف لعلي بك ماهر)

جاءت التحفظات على يد المندوبين واستخلصنا منها أهمها . وكان عدلي باشا في باريس يتوهم ان الأمة قبلت المشروع . وكان يشتغل بالبحث عن امكنة لاقامة الوكالة المصرية بباريس (ضحك)

هنا ابتدأ الدور الثاني من المفاوضات . سبق عدلي باشا الى لندره وقبل ذهابه عرض علي بعض الانكليز بحضوره وبحضور عبد العزيز بك فهمي أن أشكل وزارة لاجل تنفيذ المشروع فرفضت وقلت انى لا أبغي أن اكون وزيراً لا مرؤوساً ولا رئيساً بل خادماً للامة

ذهبت الى لندره مع ثلاثة من زملائي وبقي الآخرون في باريس فقابلني عدلي باشا فى مساء وصولنا وقال انه تقابل مع ملنر ورآه مشتغلا بتأليف وزارة الثقة لتنفذ مشروعه فقلت « لم يأت بعد دور التنفيذ »

قال « ولم لا تقبل أنت ان تؤلف وزارة ؟ »

قلت « مطلقاً ! لان البلاد تحت الحماية ولا يمكن أن أقبل وزارة فى حماية والمشروع على ماهو عليه حماية فلا أقبله ولا أسمح لغيري أن يقبله »

فقال « ستقابل ملنر غداً »

قابلت ملنر في اليوم التالى وأخبرته على تحفظات الامة فأبى أن يقبل البحث في شيء منها وقال انى أعلم من الجرائد أن الأمة قبلت المشروع فقلت « انها لم تقبله الا مع التعديلات » فقال « انى أريد أن أسمع من عرضوا المشروع على الامة » فقلت « ان هؤلاء مندوبون من الوفد وقد أدوا الوفد حسابا عن مأموريتهم وانى أعرض عليك نتيجة هذه المأمورية » فقال « ان هؤلاء ليسوا مندوبيكم ولكنهم زملاؤكم واذا لم يسمعوا يغضبوا وهم عندك بمنزلة زملائى مني فلا يمكنني أن أميز بعضهم عن بعض والا استاءوا مني . » فقلت « انهم زملائى نعم ولكن من كلف منهم بمأمورية فانما يؤديها لحساب الوفد لا لحساب غيره . » وانك اذا كلفت بعض زملائك بمأمورية ثم أخبرتني بنتيجتها فلا أتجاسر أن أقول لك انى أريد أن أسمع ذلك المندوب » عند ذلك تراجع وقال « انى أريد أن أسمع من هنا » فقلت « حسن . » وهؤلاء كنت أريد أن أصحبهم معي! ولكن عدلى باشا أخبرني بأنك تريد مقابلتي وحدي . ثم اتفقنا على تحديد جلسة في يوم ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٢٠ لنحضرها معاً

وفي جلسة ٢٥ اكتوبر كنا أنا وعلي بك ماهر ومصطفى بك النحاس وعبد العزيز بك فهمي وعدلى باشا وتكلمنا كثيراً في التحفظات . ولقد هنأ فيها لورد ملنر مصطفى بك النحاس وعلي بك ماهر على ماقاما به هما وزملاؤهما من عرض المشروع واستمالة الأمة الى قبوله خصوصاً بالتفاسير التي أبدوها . فقلت « حقاً انهم يستحقون التهنئة لأنهم تعبوا وفسروا المشروع بتفاسير اقررتموهم عليها فاتدون هذه التفاسير في المشروع . » قال « لا . اننا لاندون شيئاً ولا نغير شيئاً من المشروع الذي أمضيناه »

أخذت أتكلم عن التحفظات واحداً فواحداً الى ان وصلت للتحفظ الخاص بالمستشار المالى . فقال عدلى باشا ان ملنر سبق ان تشدد في هذه النقطة وأنت قبلتها دون الموظف بوزارة الحقانية . فرددت عليه في الحال بقولى انما ابدي الآن التحفظات التي قدمتها الامة . وكانت هذه هي الكلمة الوحيدة التي نطق بها عدلى بها في هذه الجلسة

وفي الجلسة الاخيرة التي عقدت في ٩ نوفمبر بحضور الوفد جميعه وبلجنة ملنر تكلمت بعد ان تلا علينا ملنر مذكرته وقلت له انى احفظ لنفسي الحق في ان

أجيبك بالكتابة بطريقة هادئة

ولكن لكي لاأجعلكم تحت أي تأثير يفيد قبولنا بما فيها اسارع من الآن فأقول لكم انه لايمكننا أن نقبل ولا أن نسعى لاستمالة الامة للاتفاق على اساس هذا المشروع قبل تعديله بالتحفظات . ولا يمكن للوفد ولا لاي مصري للامة اقل ثقة فيه ان يقبل المفاوضة على أساس هـذا المشروع قبل تعديله ، ولا ان يدعو الامة المصرية الى الاتفاق مع الانجليز قبل التحقق من ان الحماية لاغية ومن يتصدى لذلك فانه يسقط قبل ان يرتفع كلامه الى الآذان . ولقد قلتم انتم لامتكم في ٤ نوفمبر الى مجلس اللوردات انكم ضمنتم لها كل ماتطلب. قلتم لها ان الاصلاحات التي تمت في مصر مضمونة ، وان مصالحكم في مصر مضمونة وان تصحيح مركزكم في مصر مضـمون ، فاكتسبتم بذلك استحسان سامعيكم من مواطنيكم ،ولـكن انا اذا عدت الى بلادي فماذا أقول لهم؟ هل أستطيع ان أقول لهم وقد ثاروا ضد الحماية : ان الحماية الغيت أو أن استقلالكم مضمون وليس في يدي ضمان بذلك ؟

عند هذا قال عدلي باشا —وهذه هي الكلمة الوحيدة التي نطق بها في هذه الجلسة أيضاً : — « يمكنك أن تقول ان الغاء الحماية محتمل جداً » فرددت عليه « ليس عندي شيء من اللجنة يمكنني الاستناد عليه في هذا التصريح »

كان عدلي باشا والمنشقون من الوفد يعملون ليل نهار في اقناعنا بأن نعمل على تنفيذ مشروع ملنر . مساعي كثيرة بذلت أحسست بها وشعر بها أيضاً اخواني المخلصون وتردد صداها عندكم حيث طارت بها الاخبار . ثم رأينا لمصلحة البلاد ألا يعتمد الانجليز على أحد فيها . وانه اذا كان هناك أحد يحدث نفسه بمساعدتهم في ذلك فيعدل عن هذا الفكر ولهذا فانه لما حامت الشكوك ضـد عدلي باشا تحادثنا معاً واتفقنا على أن يكتب هو تلغرافاً بأنه لن يعمل شيئاً بغير اتفاقه مع الوفد وأرسلت أنا تلغرافاً ينفي ما كان نسب اليه ونشر كل منهما في الجرائد

ولكن عدلي باشا بعد ان عاد في نوفمبر الى مصر رأينا أعوانه وأنصاره يسعون بكل الوسائل في تفريق كلمة الامة يدعونها الى الدخول في المفاوضة على أساس مشروع ملنر تعديله افساداً لخطة الوفد ومناوأة له وهؤلاء هم الذين سموا دعاة التردد والهزيمة

كنت أحب أن أسترسل معكم الحديث الى آخره ولكني ان فعلت أخرج عما رسمته لنفسي امامكم من ان اكون قصيصاً ولا أريد أن أكون خطيباً . ولذلك أنتحل لنفسي خطب خطبائكم أن رضوا أن يشرفوني بهذا

واختم كلامي بأن اكرر الشكر الجزيل لحضرات الموظفين الذين أرادوا أحق مني بالتكريم فانهم قاموا بهذه الحفلة رغم التنبيهات والخطر فوق رؤوسهم واما انا فلست بهدد أصلا (تصفيق شديد وهتاف متكرر)

خطبة معالي الرئيس في اجتماع الامة

أحتجاجاً على تصريح المستر تشرشل(١) الذي عقد برئاسة سمو الامير عزيز حسن

بدار السيد عبد الحميد البكري بالخرنفش يوم ١٤ يونيو سنة ١٩٢١

سمو الامير الجليل : حضرات السادة : اخواني الكرام : أبنائي الاعزاء :

قد أجتمعنا في هذا اليوم بناء على دعوة الامير الجليل عزيز حسن للنظر في الاحتجاج على ما جاء بخطبة مستر تشرشل وزير المستعمرات الانجليزية

تعلمون جميعاً ان السياسة الانجليزية سياسة الاستعمار ترمي منذ مئات من السنين الى الاستيلاء على مصر فقد حاولت منذ الحملة الفرنسية ان تمحو النفوذ الاجنبي من مصر . نفوذ كل ما كان غير انجليزي . حاولت هذا وتمكنت من جلاء

---

(١) ألقى المستر تشرشل خطبة في جمعية انتاج القطن البريطانية بمنشستر جاء فيها بعد أن تكلم عن أهمية انتاج القطن المصري : —

ان الحالة السياسية عرقلت الامور هناك ويأمل أن تنتهي هذه المشاكل السياسية عاجلا وقال يجب أن يطرأ على العلاقات مع مصر تغيير وأنه يجب بذل كل المجهودات للحصول على نظام سياسي شريف للشعب المصري، ولم تنته أعمال انجلترا في مصر وهو لا يظن أن الوقت قد حان لسحب الجيوش الانكليزية

وقال أن رعاع الاسكندريه والقاهرة يمكن أن تؤثر على عمل المجتمع والجاليات الاجنبية والبناء العظيم الذي شيدته الادارة البريطانية في أربعين عاما وتعبت فيه

الفرنسيين عن مصر ؛ وبعد ذلك اخذت تناوىء محمد على الكبير في سياسته التي كانت ترمي الى جعل مصر أمه قوية مستقلة حاولت مناوأته محاولة طويلة وبعد ذلك اخذت تتدخل في امور مصر المالية وتستبد بها ثم انتهزت بعد ذلك فرصة الثورة العرابية التي كان تدخل في امور مصر من اسبابها فاحتلت البلاد وكان هذا الاحتلال في بدئه مؤقتاً كما قالت ولكنها لم تقل ذلك الا تخديراً للاعصاب وتطميناً للنفوس بينما كانت تكن في صدرها الاستيلاء على مصر

أخذت تمنينا مدة الاحتلال بأنها تتدرج بنا الى الحكم الذاتي. ولكننا كلما كنا نتقدم في الزمان كنا نتأخر بمراحل عديدة عن هذا الحكم الذاتي وكانت الانظمة التي تضعها ترمي الى تقهقرنا يوما فيوما حتى اذا قابلتم بين النظام الذي وضع عقب الاحتلال بمعرفة اللورد دوفرين وبين التعديلات التي ادخلت عليه فيما بعد تجدون اننا كنا نتأخر الى الاستعباد

تقهقرنا تقهقراً كبيراً في انظمتنا الدستورية ولم نكن نرقي الى الحكم الذاتي بل كنا نتدلى الى الحكم الاجنبي

سار الاحتلال بنا على هذا المنوال الى ان اعلنت الحرب الكبرى فانتهزت انجلترا فرصتها ووضعت الحماية علينا بدون رضانا ورغم انوفنا ولم تحسب لنا حسابا بل افتكرت انها تضع هذه الحماية وتؤيدها بمحض ارادتها وبمجرد أن تعلنها للدول وتنال قبولها

استمرت مرغمة لانوفنا على قبول هذه الحماية حتى وضعت الحرب أوزارها عند ذلك ظنت انها بحصولها على قبول الدول انتهي الامر لها واصبحت حمايتها شرعية علينا . ولكن شعوركم واعتقادكم وايمانكم بوطنيتكم وبحقوقكم أبى عليها ذلك فقمتم قومة رجل واحد غداة الهدنة وقلتم بلسان نوابكم

«ان حماية وضعت علينا بدون قبول منا حماية باطلة » (تصفيق حاد) قلتم اننا امة لنا قومية ولنا تاريخ مجيد . كنا أساتذة العالم في العلوم والمعارف كنا مستقلين استقلالا يقرب أن يكون تاماً ثم جاءت الحرب فقطعت مابيننا وبين تركيا من العلاقة الاسمية فاصبحنا بالفعل مستقلين استقلالا تاماً فلا نرضي — ونحن شاعرون بحقوقنا وعالمون باننا امة — أن نكون مستعبدين لاقوي الامم طراً

قلتم هذه القومة فتوهموا أو أرادوا أن يتوهموا انها قومة شرذمة قليلة

منكم فضممتم صفوفكم وجمعتم جموعكم واتفقت كل الطبقات منكم لافرق بين فلاحيكم وصناعكم وعمالكم ومحاميكم ومهندسيكم واطبائكم وموظفيكم اتفقتم كلكم على المطالبة بالاستقلال فاخرستم بهذا الاتحاد الذي تم بين جميع العناصر فيكم اسلامية وغير اسلامية ألسنة خصومكم (تصفيق حاد) وبعد أن كانوا قد استخفوا بأعمالكم واستهتروا بقيامتكم خضعوا لاتحادكم وأصغوا لاصواتكم ثم أرسلوا منهم لجنة لتحقيق أسباب الاضطراب عندكم ولكنهم رغم ماسمعوه من أصوات الاستقلال ومن اتحادكم على المطالبة به لم يقلعوا عن قصدهم وسياستهم التي ترمي الى ابقائكم تحت حمايتهم ولكن بشكل آخر

جاءت لجنة ملنر ففهمتم القصد من مجيئها فقاطعتموها واحكمتم مقاطعتها فلم يتقدم أحد منكم لمحادثتها وبعد أن أقامت فيكم أربعة أشهر ألزمت أن تعود الى بلادها وتفهم قومها انكم مجمعون على التمسك باستقلالكم وانكم لاترضون عنه بديلا . ثم اضطرت أن تدعو وفدكم وتفاوضه في شؤونكم ولكن الوفد بعد أن تفاوض معها علم علم اليقين انه لم يكن المراد من التفاوض الوصول الى تحقيق مطلبكم ولكن الى تحقيق سياستهم تحت شكل آخر فوضعوا المشروع الذي عرض عليكم فرأيتم فيه مارأيتم ووضعتم فيه تحفظات كثيرة ورأى الوفد من واجبه أن يقدمها الى لجنة ملنر لبحثها فأبت النظر فيها وقالت انها ستنظر فيها في المفاوضات الرسمية ورأينا نحن أن ندخل في تلك المفاوضات الرسمية الا تحت شروط خاصة كلكم يعرف تفصيلها وما جرى فيها

بعد ذلك تشكل وفد رسمي من الحكومة للمفاوضة التي قالوا انها ستكون حرة كما قالوا ان المفاوضين الرسميين لايتقيدون بقيد في المفاوضات

قالوا ذلك وكان هذا رأينا في اول الامر، وانه مادامت المفاوضات حرة فلا بأس علينا اذا دخلنا فيها لان المعول يكون حينئذ على كفاءة ومبلغ ثقة الامة بهم وجاء البلاغ الذي أعلنه المندوب السامي مؤيداً لذلك ولكن مالبثنا ان سمعنا صوت وزير المستعمرات يقول ان أعمالهم فى مصر لم تتم بعدوان الوقت لم يات لاجلاء جنودهم عن مصر وذلك بسبب حوادث الاسكندرية

هذا الكلام يكشف بجلاء عن نية السياسة الاستعمارية نحونا فان القسم الاول منه يقول ان أعمال الانجليز في مصر لم تتم . واظن ان هذا القسم ليس

له علاقة بحادثة الاسكندرية فانها لم تحل بين الانجليز واتمام أعمالهم في مصر . فهذه الدعوة تكشف لنا عن نيتهم وانهم لايريدون ترك بلادنا لنا ولا يريدون الغاء الحماية الغاء حقيقيا وانما يريدون البقاء عندنا

واما فيما يختص بالقسم الثاني فان الوزير يقول اننا لانجلي جنودنا عن مصر بسبب حادثة الاسكندرية

حادثة الاسكندرية ! كنت أود أن أعتقد أو أتوهم ان هذا القول الصادر من ذلك الوزير انما يعبر عن فكره الشخصي وانتم أيضاً كنتم تودون معي أن تكون هذه الفكرة فكرة شخصية ولكن الوزراء في خطبهم خصوصاً العامة منها لا يعبرون عن آرائهم الشخصية وانما يخطب الواحد منهم ليعبر عن رأي حكومته ويكشف عن رأي زملائه واذا كان زملاؤه لا يرضون عن قوله فهم الذين ينكرون عليه هذا القول، ولم يحصل هذا القول من أحد منهم . ومع ذلك فقد صرح لوزير مصري أن يقول « ان ذلك الوزير الانجليزي انما كان بلا نزاع يعبر عن رأيه الشخصي »

قال تشرشل ان حادثة الاسكندرية تمنع جلاء الجنود الانجليزية عن مصر « وقال وكيل الخارجية في مجلس النواب » انه كان يتوقع الغاء الاحكام العرفية في مصر ولكن الحوادث الاخيرة تمنع من تحقيق هذا الالغاء . » وجاءت التلغرافات بانه حصل اتفاق بين الحكومة الانجليزية وحكومة نروج تنازلت نروج فيه عن امتيازاتها في مصر لانجلترا . وجاء فيه ان الاتفاقات النافذة بين انجلترا ونروج تتناول مصر . ومعنى هذا ان انجلترا عاملة على تنفيذ مشروع ملنر الذي هذه نقطه ، وهي التي ترمي الى أن الاتفاقات المختصة بالغاء الامتيازات تنعقد بين انجلترا والدول الاجنبية بدون دخل مصر . والامة المصرية لم تقبل هذا ووضعت فيه تحفظاً خاصاً رغب فيه أن تكون مصر طرفا في الاتفاقات التي تعقد بين انجلترا والدول الاجنبية بشأن الغاء الامتيازات كل هذه الاقوال تكشف عن قصد واحد هو ماترمي اليه السياسة الانجليزية من مئات السنين وهو الاستيلاء على مصر بشكل أو بآخر . فالانجليز لا تهمهم الاسماء سموه استقلالا او حرية أو ماتشاءون من الاسماء فالقصد منه واحد وهو ان تكون مصر تحت مراقبة الانجليز . ليس هذا استنتاج نستنتجه ولكن صرح لي به

على لسان اللورد ملنر اللهم الا اذا كان ملنر في هذا يعبر عن رأيه الشخصي كما يقال الآن « ضحك »

في يوم ٢١ يوليه الماضي اجتمعت على موعد باللورد ملنر في بيته فقال لي :ــ (وما أقوله أنقله لكم عن مذكرتي التي كتبتها عقب حديثي معه) «أننا الآن في مصر واضعون يدنا على كل شيء ونريد أن نتخلى عنها في مقابل شيء واحد وهو أن تعترفوا بمركزنا فيها لانه الآن فعلي ونريد أن يكون شرعياً مستندا الى قوة عسكرية . نحن نبحث عن مصر منذ أكثر من مائة سنة وهي الآن في قبضتنا فعلا ونريد أن يكون مركزنا فيها شرعياً بقبولكم أفلا تقبلون ؟ »

قلت « ان هذا غير ممكن لي لا بصفة كوني مصرياً ولا بصفة كوني وكيلا عن الامة المصرية فلا يمكنني أن أقبل تصحيح هذا المركز لأن تصحيحه عبارة عن الاعتراف بالحماية التي وضعت علينا قهراً ومعناه رضانا بها مع اننا ماقمنا قومتنا الا لابطالها . فلا مصريتي ولا نيابتي عن المصريين تسمح لي بقبول هذا الطلب

قال : « ان هذا التوكيل الذي تستندون دائما عليه هو من صنعكم فانتم الذين استكتبتموه الامة ــ (وأرجو حضراتكم في الظروف الحاضرة أن تلتفتوا الى هذا) ــ فلا يصح أن يكون حجة لكم علينا »

فقلت « سواء كنا استكتبناه الامة فكتبته أم كانت هي التي كتبته من تلقاء نفسها فقد صار اليوم عهداً بيننا وبينها لا أملك وحدي نقضه »

واريد الآن وقد علمتم هذا ان أعرف من الوفد الرسمي الذي يقدم أوراق الثقة المختلسة المغصوبة ماذا يكون جوابه اذا وجه اليه مثل هذا السؤال فاذا قيل له : « انكم تسيرون الامة كيفما تشاءون فاجعلوها توافق على هذا المشروع الذي هو دون طلبها وهذا في استطاعتكم كما استطعتم أن تستخلصوا منها هذه الوثائق أريد أن أعرف مايجيب به الوفد الرسمي اذا تبين ان غرض الانجليز هو الاستيلاء علينا بطريقة أو بأخرى

أرادوا أن يتفقوا مع الوفد فلم يمكنهم . ثم أرادوا أن يتفقوا مع الامة بواسطة الحكومة التي استحلت أن تستعمل مع الامة كل الوسائل لحملها على أن ترضى بالحماية تحت اسم آخر ولا يمكننا أن نقبل هذا الاحتيال منهم . وما دامت أقوال تشرشل ووكيل الخارجيه والاتفاق مع حكومة نروج كشفت

القناع عن نياتهم فلا يمكننا أن نذهب للمفاوضه التى هذه غايتها لان ذهابنا في هذه الظروف عبارة عن السعي في تنظيم الحماية لافي نيل الاستقلال

جاء في كلام وكيل الخارجيه : « ان الاحكام العرفيه لا تلغى لسبب حوادث الاسكندريه » فان ذهب الوفد الرسمي بعد ذلك أفلا يكون ذهابه تأييداً لهذا القول من أن حوادث الاسكندرية توجب استبقاء الاحكام العرفيه ؟ وهل ترضون ذلك ؟ « أبداً ولا نرضى عنك بديلا » (تصفيق حاد)

اذا ذهب الوفد الرسمي للمفاوضة بعد تصريح تشرشل بأن لا يمكن الجلاء عن مصر خشية أن يبيد الرعاع في القاهرة وفي الاسكندرية الاجانب وان يقضي على الاصلاحات التي أتمتها الادارة الانجليزيه في مصر في مدى الاربعين سنة الماضية فهلا يكون ذهابه تأييداً لهذا القول وتنازلا عن الاستقلال الذي يقولون أنهم يسعون له ؟

لذلك يجب علينا أن نعلن بأنه لا يمكن الدخول في المفاوضات حتى يحصل تصريح رسمي بأن كلام تشرشل لا تأثير له في المفاوضات وحتى تلغي الاحكام العرفية والا سجلنا على أنفسنا اننا نستحق الاستعباد وبقاء سيوف الاحكام العسكرية مسلولة فوق رؤوسنا

حوادث الاسكندرية تتخذ حجة علينا !!! ظلم بين وغدر فادح فانها لم تحدث بتدبيرنا ولا برغبتنا ولا بفعلنا فما كان من الممكن أن نتنبأ بها قبل حدوثها فانها حدثت بغتة رغم ارادتنا وعلى غير انتظار منا حدثت ولم نكن سبباً في حدوثها

نعم ان نتيجة التحقيق الرسمي لم تعلن بعد فاذا ساغ لوزير انجليزي وهو بعيد عنا أن ينسب الينا هذه الحوادث ويلقي مسئوليتها علينا فليس من الخطأ ولا المبالغة ان يقول مصري ان هذه ليست من عملنا . اني أقول هذا لأني أعتقد أنها وقعت لتصيب مقتلا من مقاتلنا وليست لنا فائدة فيها ولم ينلنا فيها الا الاسف . وقول وزيرهم بتأييد الحماية فينا بسببها وقد غمرنا الكدر والحزن عند مابلغت هذه المصيبة اسماعنا . حقيقة أني وايا كم تأسفنا جداً على حلول هذه المصائب بنا ولم نكن المعتدين فيها

سار المتظاهرون في مظاهراتهم البريئة ولم تكن موجهة ضد الاجانب فان المظاهرات توالت في البلاد وكانت تهتف للاجانب ويهتفون لها وترحب بهم

ويرحبون بها ولم يشعر واحد في مصر من سكانها أجانب أو غيرهم بأن فيها شيئاً من العداء للاجانب ويوم ان قدم الوفد مصر حشد الناس جميعاً وجاءوا من كل فج في جموع لا حد لها ولم يحدث أدنى حادث حتى الحوادث الاعتيادية قد امتنع الاشقياء عن ارتكابها « تصفيق حاد »

حصلت هذه المظاهرات فأعجب بها وبنظامها كل الناس وطنيين وأجانب ثم توالت عدة ايام ولم يحدث ادنى حادث يكدر خاطر اجنبي وكنا نفتخر بذلك وكنت أولكم في هذا الافتخار وجرى ذلك على لساني في جميع محادثاتي خصوصاً ماكانت منها مع محرري الصحف الاجنبية

ولكن قوماً لم يرق في اعينهم هذا الصفاء وهذا النظام فأرادوا ان يشوهوه فجاءت هذه الحركة ارغاماً لانوفنا وسرعان ما اتخذوها دليلا على حكمة سياستهم وعلى انه يجب اعمال السيف فينا حتى يستتب الامن للاجانب وما كان الامن مكدرا ولكن هم الذين كدروه وسوف يعاقبهم الله عقاباً شديداً (تصفيق حاد)

لسنا انعاماً يقتل ابناؤنا ونحن الذين ندفع ديتهم، قتل منا عدد كثير واصيب منا عدد اكثر ؟ وكان عدد الاصابات منا بين قتلى وجرحى اضعاف اضعاف اصاباتهم ، كنا عزلا من السلاح وغيرنا مسلحاً، كانت اصاباتنا نارية وكانت اصاباتهم غير ذلك . وهم مع ذلك كله يقولون ادفعوا الدية لمن مات منا ومنكم وهذه الدية هي حريتكم الى الابد

اللهم ان هـذا الظلم لانرضاه وكل من ساعد عليه خائن للوطن بل تقول — وتقول « انه بسبب حوادث اسكندرية يجب الجلاء (تصفيق حاد طويل جدا)

نحن لسنا في جب بل نحن على ظهر البسيطة عائشون، فاما ان ننال حقنا واما ان نموت . واما ان نظلم ويظلم اهلونا وتظلم بلادنا ثم يقال لنا انكم قوم يجب ان تخضعوا لحكم القوي فهذا مالا نرضاه — والحق معنا — ولسنا وحدنا الذين لانرضاه بل عقلاء الاجانب ايضاً ، يرفضونه . فلا يرضون عن هذا السبب الذي تبديه السياسة الاستعمارية تبريراً لبقاء جيوشهم في بلادنا لانه اذا تم فان المصريين يعتقدون ان وجود الاجانب في بلادنا علة شقائنا واذا تمكن منا هذا الاعتقاد فلا يمكن ان يصفوا لنا عيش معهم وهم لاشك يعتقدون هذا ايضاً فلا بد وان

يتحدوا معنا على اظهار الحقيقه وهي اننا نحترمهم ونحتاج الى مدنيتهم ومعونتهم وانهم يحتاجون الينا في معيشتهم بيننا فانه ان لم تكن المعيشة مبنيه على تبادل المنفعه بل كانت مبنية على القوة والقهر فلا يصفوا لنا ولا لهم عيش . ولذلك لاشك في ان عقلاءهم يشتركون معنا في انه لا يصح لهم ان يعتمدوا في معاملتنا على احتلال اجنبي

والخلاصه اننا لانسلم بأن حوادث الاسكندرية تبرر بقاء الجيش الانجليزي عندنا وانه يجب على كل مصري ان يحتج على قول المستر تشرشل وعلى كل مفاوضة تحصل قبل ان يصدر تصريح من الحكومة الانجليزية بأن هذا القول لا يؤثر على المفاوضات اصلا . فهل انتم موافقون ؟ (نعم تصفيق حاد . . .)

خطبة الرئيس في تكريم صادق بك حنين

حفلة يوم ١٩ يونيه سنة ١٩٢١

صاحب السمو الامير الجليل ! سادتي الكرام ! ابنائي ! اخواني !

لا أقول لصادق بك الا كلمة واحدة : (كفاك شرفاً ان رفتتك الوزارة العدلية ،) (تصفيق حاد) كنت في جماعة من اخواني يوم ان اشتغلت محكمة الاستئناف في قضية حضرة القاضي الفاضل سلامه بك ميخائيل جاءني الخبر الجميل بان المحكمة بالاجماع أصدرت حكمها ببراءته ، ففرحت بهذا الحكم لانه أيد مبدأ جميلا جداً هو تقرير حرية الموظفين في ابداء آرائهم . ولكن مالبثت ان فكرت ان الوزارة ستتخذ خطة ربما تجردنا من سلاح قوي لمحاربتها ، فكرت انها ستقول : «اني وزارة دستورية جئت لأن أتفاوض وآتي بالاستقلال التام واضع مشروعاً للدستور على المبادىء المصريه ولاني وزارة لم ارد ان استبد بالموظفين الذين خالفوا رأيي فقد كنت أملك انذارهم وقطع مرتباتهم لغايه نصف شهر ولكني لم ارد ان اكون مستبدة ولذلك احلتهم على المجالس التأديبيه ومن ضمنها مجلس التأديب للقضاة ومن حيث ان هذا المجلس مؤلف من قضاة عدول هم الملجأ الوحيد للعدالة في البلاد . ومن حيث انهم اصدروا حكماً ببراءة حضرة سلامه

بك فانى أحترم ذلك الحكم واسحب بقية القضايا من مجالس التأديب الاخرى برهانا على انى احترم القضاء والعدالة »

قلت ان الوزارة سوف تقول هذا واذا تجردنا من سلاح ضدها ، ولكن الله لم يرد أن يغش الامة . لان الوزارة لو كانت قالت ذلك وهي هي كما أعلم منها ومن خفايا صدورها لانخدعت الامة بقولها ولكنها لم تلبث ان اجتمعت اجتماعا غير عادي وقررت رفت صادق بك حنين . ولولا كراهة طبيعية للظلم لفرحت بهذا القرار لانه كشف عما في صدورها من النوايا للبلاد

وزارة تدعي انها تسعي لاستقلالنا وتنزل على ارادتنا ثم هي لاتعمل الا لقهر هذه الارادة وتطعن القضاء بغير حق عقب أن طعنها بحق ولو كنت في مركز الوزارة ولطمتنى العدالة هذه اللطمة لخررت مغشياً على في الحال ولفارقت مركزى لان العدالة قضت على وعلى سياستى ومن هو أكبر من القضاء اذا حكم؟

استخفت الوزارة بالقضاء وقررت رفت ذلك الفاضل صادق بك حنين لانه قضاء فلاحين هذا هو اعتقادها ، ولو كان بين اولئك الفلاحين انجليزى لما امكنها أن تفعل مافعلت . عزيز على أن أقول هذا عن وزارة مصرية في الشكل والظاهر ولكن الحقيقة فوق كل اعتبار

تقول الوزارة في بيانها الاول رداً على فيما يختص بالرياسة « اننا ونحن نريد أن نكون امة مستقلة دستورية لايسوغ لنا أن نبتدع في التقاليد بل نتبع الدول الدستورية في تقاليدها ، ومتى كانت تقضى بأن يكون رئيس الحكومة رئيساً للمفاوضين ؟ فلا نريد ونحن قادمون على هذا العصر الجديد أن نبتدع في باب التقاليد »

اذا كان هذا هو الذى حمل الوزارة على التشبث بالرياسة حقيقة فهلا كان يحملها من باب أولى على احترام حرية الناس وهو مبدأ اعلنته الثورة الفرنسية وقدسته كل الامم المتمدينة ؟! فكيف أيتها الوزارة تحتفظين بالتقاليد فيما يتعلق بالامور العرضية ولا تحتفظين بها فيما يتعلق بالامور الجوهرية ؟! أفلا كان ينبغي لك أن تتركي الناس أحراراً يبدون آراءهم كما يشاءون ؟ .

نحن الآن نكرم رجلا لأنه ضحي وظيفته في سبيل ابداء رأيه بحرية ولو اطلع علينا رجل متمدين لاستغرب حالتنا ولكان يقول « هل ابداء الرأى

بحرية فضيلة ممتازة ؟ . ومتى كان ابداء الرأى يعد تضحية ؟ ! ومتى كان مبديه يستحق التكريم ؟ » نقول له : « نعم ان سياسة وزارتنا قضت بذلك فجعلت الموظف يحتاج لشجاعة ومخاطرة في ابداء رأيه بحرية وهي فضيلة يستحق عليها التكريم . »

كنا نود أن تكون حرية الرأى ملكا شائعاً بين الجميع كالضوء والهواء ولكن الوزارة لم تشأ ذلك بل قالت للموظفين « اني أمنعكم عن ابداء آرائكم بحسب اعتقادكم بل لاتبدوا رأيا الا اذا كان موافقاً لرأيي . » بل قالت « يجب عليكم أن تبدو آراء تخالف ضمائركم وتوافقني » هكذا فعلت مع الموظفين في اسيوط وغيرها ومن خالف منهم أمرها نكلت به تنكيلاشديداً فنهم من رفتته كعمدة قليوب ، ومدير المنوفية ، ومنهم من نقلته الى مكان سحيق كقضاة دمياط والسنطة وملوى الشرعيين وكمأمور مركز ابو تيج ، هؤلاء لم يأتمروا بما هو ضد اعتقادهم فما كان من الوزارة الا أن أنزلت بهم هذا العقاب. ولم تكتف بذلك (وهذا موضوع أسفي وكدري ولا بد أن يكون موضوع أسف الكل) بل دخلت الى المدارس تفسد أخلاق تلاميذها فوعدت من يمضي بالثقة فيها بالنجاح في الامتحان ولو كان خائباً فيه ، وأوعدت من لم يمض لها بالسقوط في في الامتحان وان كان ناجحاً . أمر مفسد للاخلاق ،مفسد للتعليم ، مؤخر للعلوم

ان وزارة تختم الصبيان على الثقة بها هي التي تأتي لنابالاستقلال التام (ضحك) رأت وفوداً تأتي طائفة مختارة لتعبر عن ثقتها بالوفد المصري فأوعزت الى رجالها بأن يأتوا لها أيضاً بوفود . جاءت تلك الوفود وعلى راسهم المدير ، وعلى حواشيها المامير . وفي أوساطها الخفراء . فيستقبلهم رئيس الوزارة ويقول لهم امام هؤلاء الذين يسوقونهم أو يحوطونهم : « انى مسرور من اخلاصكم ومن انكم جئتم طائعين مختارين » (ضحك وتصفيق)

ذكرني هذا بحاكم من أيام السلطة العسكرية اثناء الحرب رأى رجلا مكتوف اليدين والخفراء يجرونه لاجل أن يوردوه للسلطة فقال هذا الحاكم ماهذا ؟ قالوا متطوع ياسيدي

ورئيس الوزارة أيضاً يقول « اني ممنون من اخلاصكم ومن هذه الثقة الخالصة التي دفعتكم للحضور عندي وان حضوركم (على هذه الكيفية) دليل

صادق على كذب خصومنا الذين يزعمون انكم آتون بطريق الارهاب والتهديد وانا بناء على ذلك وعلى هذه الثقة سنذهب بعناية الله الى لوندرا لاتمام المهمة التي اخذناها على أنفسنا »

ألعب هذا أم جد ؟ أيتكلم ليشهد الامة المصرية على ان كلامه مخالف للحقيقة او على الاقل ليشهد الذين امامه على أنه لايقول حقاً ؟ . انه لايتكلم بهذا لامتنا لانها ليست بشيء عنده وانما يتكلم للامة الانجليزية التي يعتمد عليها في حكمنا . أؤكد لكم انه لوكان يعتمد على الامة المصرية وثقتها لما بقي في منصبه - بعد أن سحبت هذه الثقة منه - يوماً واحداً ولكنه يعتمد على الحكومة الانجليزية التى تشد أزره

ترون كل يوم - في الجرائد الانجليزية خصوصاً - تنديداً بنا وتمجيداً لشأن عدلي باشا وشركائه حتى قالت التيمس الصادرة في ٩ يونيه « ان معارضة الوفد شديدة لعدلي وانها اذا استمرت فانها تجعل سفر الوفد الرسمي غير ممكن وانها تجعل المطالب المصرية لاتنال »

ان عدلي رجل يمثل المصالح الانجليزية لا المصرية فاننا لم نتعود من الجرائد الانجليزية أن تدافع عن رجل أو هيئة تسعي باخلاص لمصلحة بلادنا

وتقول أيضاً بعض الجرائد الانجليزية « ان المصريين منقسمون الآن فيجب الاسراع بالاتفاق معهم قبل أن تعود صفوفهم الى الاجتماع والالتئام »

رأينا ان الجرائد الانجليزية والوزارة هنا ينسبون الينا الثورة قاصدين تشويه حركتنا التي هي قذى في أعينهم ويتخذون الثورة شبحاً مخيفاً يهددوننا به. عجباً لهؤلاء الناس ! ان حركتنا أو نهضتنا أو ثورتنا التي قامت سنة ١٩١٩ (سموها كما شئتم) قامت لاستقلالنا ولتعلن ان الحماية باطلة وقامت في وجه أكبر دولة في العالم غداة انتصارها فاعلنت بطلان الحماية جهاراً ويقول هؤلاء الوزراء انهم اشتركوا في هذه الحركة فهي لم تكن ثورة عند مااشتركوا فيها ولكنها الآن وهي موجهة ضد بعض أشخاص منا يريدون أن يغلبونا على أمرنا بغير القانون وبغير ما أراد الله فقد صارت ثورة كما يقولون

ان كان اعلان الغضب على وزارة وعلى أشخاص معدودين مكونين لها خالفت أعمالهم أقوالهم ثورة ، وان كان طلب استقالتهم بطريق شرعي ثورة ، فأنا أول

الثائرين وعلى المسئولية (تصفيق حاد جداً)

أنخضع امة قامت في وجه أكبر دولة لحكم عشرة أشخاص لاثقة لها باخلاصهم للبلاد ؟ من ذا الذى يجبر الامة على ذلك ؟ كيف نسمع ان العداء لهم وان الغضب منهم يؤخر مطالبنا ويقهقرنا الى الوراء ثم نسكت على ذلك ؟

ان الجرائد الانجليزية ـ الا واحدة منها ـ كلها ضدنا : ارسلنا لبعض وكلائنا في انجلترا بمعلومات عن حوادث الاسكندرية وغيرها . وعن آمال الوزارة هنا وطلبنا منهم نشرها بالجرائد فلم تقبل نشرها ، وأما ماهو في مصلحة الوزارة فانه ينشر بالتفصيل . وهذا دليل على ان هناك اتفاقا بين الوزارة المصرية والحكومة الانجليزية على أن تترك الحكومة الانجليزية وزرائنا المصريين يفعلون بنا مايشاءون على أن يجبرونا على قبول المشروع الذى يأتون به مهما كان مخالفاً لمطالبنا ونحن لايمكننا أن نعتمد على هؤلاء ولا أن نوليهم ثقتنا لانه لم يقم برهان على اخلاصهم وانما قام البرهان على ممالأتهم الانجليز

تقول طائفة منا من حيث انهم تعينوا فعلا فالأولى بنا أن ندعو لهم بالسلامة وننظر مايأتون به . ومن الاسف ان هذا القول صدر من بعض العلماء . نحن لانريد أن نمنع سفر هؤلاء بالقوة بل نريد أن نمنع سفرهم منعاً معنوياً فلا نوليهم ثقتنا بل نريد أن نعلنهم ونعلن الملأ أجمع بأنهم ليسوا وكلاءنا وانما يعبرون عن أشخاصهم فقط .

طلبنا أن يكون المفاوضون هم الذين تثق بهم الامة فقالوا ثائرون . في كل بلد دستوري لايسأل الملك عن أمر أصدره متى كان يمضى من وزرائه وقد أمضى الوزراء المرسوم المعين للمفاوضين فهم المسئولون عنه امام الامة وهل نعد ثائرين اذا نحن طلبنا من عظمة السلطان تعديله واذا اجابنا عظمة السلطان فهل هو أيضاً يعد ثائراً في حكمهم ؟ !

كلمة الثورة جرت على ألسنتهم وطبعت بها منشورات ساقطة وزعت وتوزع بواسطة رجال الادارة وترسل مع الخفراء بدفاتر الاحوال الى البلاد والقرى كأنها من أعمال الحكومة الرسمية . وسائل صبيانية معيبة وقد ضبط رجال الحكومة يستعملون سلطتهم في توزيع هذه الاوراق ولهم قضية بالنيابة الآن وتطبع الجرائد الموالية للحكومة كل حين منشورات وبيانات تكتب تحتها

(طبق الاصل) وتدعي فيها ان الوفد اصطلح مع الوزارة . وتارة تطبعها على حدة وتوزعها في الشوارع وتلصقها على الجدران

الوفد أمين الامة ووكيلها والقضية التي عهد اليه بها وأمنته الامة عليها هي قضية الوطن الكبرى . والوزارة تبين من أعمالها انها تلعب بهذه القضية ولا تريد لها نجاحها . فلا يمكن ان الوفد المصري يقبل صلحاً فيها مع هذه الوزارة تلك الدماء التي اريقت . وتلك الارواح التي أزهقت . وتلك الحرية التي خنقت وأولئك الموظفون الذين نكل بهم . وهذا الاستخفاف الشديد بالامة كل ذلك يمنع الوفد من أن يشترك مع هذه الوزارة ولو قبلت جميع شروطه . ولو قبلت الاشتراك معها لعددت نفسي خائناً لامتي

تقول الوزارة وانصارها تغريراً وتلبيساً انها قبلت شروطنا الا الرئاسة فما بال الاحكام العرفية لاتزال قائمة فوق رؤوسنا . قالوا كنا سنلغيها لولا حادثة الاسكندرية ولم لم يلغوها قبل تلك الحادثة ؟ كانوا يقولون انهم سيلغونها بعد الاتفاق مع الوفد . أي انها كانت سيفاً مسلولا على الوفد حتى يتفق مع الوزارة . ان كرامة الامة المصرية تأبى الدخول في المفاوضات وهي خاضعة لاحكام عسكرية تقهرها بها الامة التي تتفاوض معها ولا ندري كيف سوغ الوفد الرسمي لنفسه ان يذهب للمفاوضة تحت هذه الاحكام العرفية وبعد أن صرحت الحكومة الانجليزية بعدم الغائها

ليس الغرض من السفر في الواقع هو الاتيان بالاستقلال بل لشيء آخر يفهموننا انه الاستقلال ويقهروننا على قبوله بواسطة تلك الاحكام العرفيه ولكن فاتهم ان الروح التي ودعها الله في الامة لاتقوى على مغالبتها لاأحكام عرفيه ولا استبداد مستبد ، ولا قوة اية مملكة في العالم (تصفيق حاد) هذا هو الاعتقاد الذي رسخ في نفسي من كل مارأيت وسمعت من يوم عودتي الى البلاد الى الآن.

ان الروح المنبثة في البلاد روح قوية صادقه لايغلبها غالب ، ولا يمكن لأي خادع — ولو كان عدلي — أن يموه على البلاد فيجعلها تقبل شيئاً لايحقق استقلالها التام في الواقع ونفس الأمر (تصفيق حاد)

فليذهب هو وانصاره اننا هاهنا قاعدون (تصفيق حاد وهتاف متكرر)

خطبة الرئيس في حفلة تكريم الامة

للموظفين التسعه (١) يوم الثلاثاء ٢١ يونيه سنة ٩٢٢

﴿ برياسة سمو الأمير الخطير عزيز حسن ﴾

سمو الامير الجليل ! حضرات التسعة الكرام ! أيها السادة !

لم يكن عندى شيء كثير لأقوله بعد الخطباء الذين سبقوني فانهم ألمو بموضوعات شتي ولم يبقوا لي شيئاً مهما لعرضه عليكم . وزيادة على ذلك فانه لا بد أن يكون أصابكم شيء من الملل لان الوقت طال . وكذلك أحس في نفسي بشيء من التعب فاعذروني اذا أنا قصرت في البيان . على ان لسان الجميع أفصح من بياني الآن . كلكم شاعر بما أنا شاعر به وأنا شاعر بما أنتم شاعرون كلكم شاعر بأننا محكومون بالظلم والعدوان وان الذنب في الحقيقة ليس على الوزارة فهي درع اتخذته سياسة الحماية لتلقى الضربات عنها . فلنترك اولئك النفر المساكين جانباً فانهم الآن ليسوا أهلا لخصومتنا . ان خصومنا الحقيقيين ليسوا اولئك الاحدي عشر فانهم لايقدرون مطلقاً مهما بلغت قوتهم أن يحكموا امة بتمامها امة قوية بروحها المعنوية رغم ارادتها وانما الذي يحكمنا هم رجال الحماية هم الانجليز أنفسهم فليبرزوا امامنا وهم خصومنا الحقيقيون أما الوزراء فهم تروس لهم (تصفيق حاد)

---

(١) لما أعلنت الوزارة ايقاف تسعة من الموظفين وهم حضرات صادق بك حنين وسلامه بك ميخائيل واحمد بك خشبه ووليم بك مكرم عبيد والدكتور نجيب اسكندر ومحمود بك النقراشي وزكي بك جبره وفؤاد بك شرين وحسين افندى فتوح الذين كانوا في طليعة المحتفلين بتكريم زعيم مصر الكبير وبطلها العظيم سعد باشا زغلول اجتمع عدد غير قليل من صادقي الوطنية وفكروا في أقامة حفلة كبري تكريما لهم وتمجيداً لصراحتهم في الرأي واعترافا بعدم خشيتهم في الحق لومة لائم ورأى أصحاب فكرة الحفلة التكريمية الكبرى أن يوجهوا الى الامة دعوة للاشتراك معهم في اخراج فكرتهم الى حيز الوجود وسرعان ان أجابت الامة الدعوة فبلغ عدد المشتركين آلافا

اني أيها السادة لا أغالي اذا قلت اني أشعر من تقمي باحتقار لها اذا استرسلت في خصومة اولئك الوزراء . انهم يمثلون سياسة خصومنا فلنخاصم خصومنا ونترك الوزراء جانباً لانهم انما ينفذون سياسة الحماية ، لقد صح للحماية ، صح للانجليز أن يقولوا عند ما توجهت التهمة الفظيعة على سياستهم وادارتهم مدة الحرب ان رجالنا من مفتشين وموظفين كانوا غائبين مشتغلين بالحرب . وكانت الادارة مسلمة للوطنيين

فهؤلاء هم الذين ظلموا ذلك الظلم الذي عمت الشكاية منه وأما نحن فلم تتلوث أيدينا به . اعتذر الانجليز هذا الاعتذار حين ذاك ولكنهم لا يمكنهم أن يتخلصوا اليوم من هذه الوصمة وهم بين ظهرانينا ولهم مفتشون وعيون يحضرون توقيع عرائض الثقة التي تأخذها الوزارة بالاكراه . ولا عيب علينا في أن تلقي عليهم مسئولية تلك المظالم لأن الحماية مادامت قائمة وما دام الانجليز هم الواضعون اليد على البلد فليتحملوا مسئولية كل عمل ضد العدالة فيه

ان هذه العرائض التي تستعمل كل وسيلة غير شريفة لحمل الناس على امضائها من القهر والاحتيال والتزوير ، وان تلك الوفود التي تجمع للحضور امام عدلي وشركائه بالقهر والاحتيال والوعد والوعيد ليست معدة لنا بل معدة للامة الانجليزية لخداعها بها

كل وفد للوزراء وكل عريضة ثقة تقدم في صالحهم يحمل البرق أخبارها الى الجرائد الانجليزية فتقول ان عدلي متوافرة له ثقة الناس . تقول جاءه وفد من أسيوط ومعه عشرون ألف توقيع . وجاء وفد من الشرقية ومعه ستون الف توقيع وجاءه وفد من الغربية ومعه مائة وخمسون الف توقيع وهكذا تنشر كل الجرائد الانجليزية أخبار وفود الوزارة وعرائضها الزائفة لتفخم من شأنها وتوهم الشعب الانجليزي انها موضع ثقة الامة المصرية ثم ان هذه الجرائد بعينها تنتهز فرصة حادثة كحادثة الاسكندرية أو معارضة كمعارضتنا لتقول ان هذه الحوادث وتلك المعارضة من شأنها أن تمنع الانجليز من أن يعطوا الامة المصرية شيئاً أو لا يعطوها الا القليل من مطلبها

هذه الوثائق معدة لتودع في ذهن الامة الانجليزية ان عدلي هو موضع ثقة الامة المصرية وانه معذور اذا لم يأت بجميع مطالب الامة المصرية لان الحوادث

التي وقعت في الإسكندرية منعت من ذلك . وكلما عارض المعارضون كان ذلك مضعفاً لعدلي .

لا أقول هذا جزافاً فقد قالته الجرائد الانجليزية . قالت التيمس نقلا عن مكاتبيها بالقاهرة في عدد ٩ يونيه سنة ١٩٢١ « مر أول أيام العيد بسلام في كل مكان غير ان الحالة تستوجب أدق الملاحظة والتنبه وأحزم المعالجة الى زمن لان البلاد وان تكن هادئة في الظاهر فانهناك دلائل واضحة على القلق الكامن في المدن . وهذا راجع الى النشاط المستمر من جانب أنصار زغلول باشا والى رسائل زغلول وأقواله وكلها مفرغة في قالب من شأنه أن يلقي التهييج ومن الامثلة على ذلك نداءه الذي وجهه الى الامة بمناسبة عيد الافطار ، وقد أبلغت من ثقة بهذه المناسبة ان زغلول كان قد رتب استقبالا مماثلا للذي يجرى عادة في « القصر » ولكن الفكرة أعدل عنها واستبدلت بنداء لما تبين ان الحضور سيكونون قليلين جداً . ومما يستحق الذكر من جهة أخرى . في تشريفات الامس العدد الهائل الذي قصد الى دار عدلي باشا بعد ان أدوا واجبات التشريفات في القصر وقد كان الزوار يشملون اكبر اعيان المدن والاقاليم » هذه أكاذيب يعلم بكذبها كل انسان . ولكن الجرائد الاستعمارية تنشرها لتقلل من شان الامة ووكيلها وتعظم من شأن عدلي وانصاره

يجب علي أن لا أترك مسأله التشريفات تمر دون أن أعلق عليها . سمعت هذه الاشاعة من قبل ولم أحفل بها ولا بتكذيبها لانها خرافة لم تخطر على بالي . وقد اخترعوا بجانبها خرافة أخرى يجب علي أن أردها . قالوا ان زغلول يريد قلب الحكومة الى جمهورية يكون هو رئيسها . نقلت الي هذه الخرافة فكذبتها لرواتها وأقول لكم ولا أخشى أن أقول ما في نفسي لانه لا يخشى الحق الا الضعيف وأنا قوي بكم (تصفيق حاد) لم يخطر ببالي هذا الخاطر أصلا ولم يرد بفكري مطلقاً . والمشروع الذي قدمه الوفد للجنة ملنر ينافيه فقد قلنا فيه أن مصر تكون دولة ملوكية مستقلة . قلنا ملوكية وما قلنا جمهورية . وانا نادينا من أول أمرنا بأننا نحترم البيت السلطاني ونحتفظ به . قلنا ذلك لكل مناسبة وفي كل مكان من أول يوم تشكل فيه الوفد وليس هذا كل شيء أريد قوله بل أريد أن أقول اني لا أبتغي عن هذا المركز الذي شرفتموني به بديلا (تصفيق حاد) .

لا أريد أن أكون موضع خوف بل أريد أن أكون موضع احترام (تصفيق حاد) فليطمئن أعدائي وخصومي ومن يريد الاطمئنان من جهتي فليس لي مطمع في غير ما أنا فيه (تصفيق حاد)

قالت التيمس في مقال لها بذلك العدد . عاد السكون بعد الاضطراب في القاهرة والاسكندرية ولكن الاحوال السياسية المصرية تبعث على القلق الخطير هنا وقد كانت القلاقل في الاسكندرية على الخصوص كثيرة جداً ولولا وجود الجنود البريطانية لكانت النتائج أشنع . ومثل هذه الحوادث — حتى مع حساب تأثير الظروف المثيرة — تجري في الظن لا محالة

ان المشروعات التي ترمي الى ترك الهيمنة على مصر في أيد مصرية بحتة مبتسرة . ولسنا نذهب الى هذا الرأي ولكنا مضطرون أن نبين للوطنيين المصريين انها نتيجة لامفر من أن يذهب اليها بعض المفكرين في هذه البلاد (انجلترا) وقد ادت هذه القلاقل الى جعل مركز عدلي باشا في الخطة الراهنة مضاعف الصعوبة (هل يشعر هو بذلك ؟) وقد يكون زغلول باشا — خصمه المصم — نقي الضميرحين ينفي كل شعور بالمسئولية عن القلاقل الاخيرة ولكن اعتداءه المستمر على وزارة عدلي يوشك أن يكون من آثاره جعل سفر الوفد الرسمي الذي دعته الحكومة البريطانية الى الحضور للمناقشة في مستقبل المركز القومي لمصر خارجاً عن دائرة البحث (وفي ترجمة أخرى «عديمة الامكان» (مادام هذا الاعتداء مستمراً)

« وانه ليكون من الخرق والظلم اصدار حكم بين هذين الرئيسين في هذا النزاع الذي يؤسف له . ولكن الاحوال الموجودة في مصر اليوم تكره الراغبين من ابناء هذه البلاد (انجلترا) في تحقيق المطامع المصرية القومية على ان يقولوا للامة المصرية ان الامل في تحقيق غايات كهذه معقود بدليل الكفاءة فيما يتعلق بالحكم الذاتي (كهذا ؟) بعد أن تتم المفاوضات الخاصة بالاتفاق

وهنا علق الرئيس بقوله : ان الكفاءة عندهم هي المرونة . ولكني أقول لكم ان المرونة اليوم لم تبق موجودة في عدلي فانه اصبح في نظر الجرائد الانكليزية خشناً واخشن من زغلول اذ قالت الوستمنستر غازيت انه صلب صلابة لا مبرر لها . يريدون ان يخلقوا الصفات للرجال وان يحملونا على التصديق بوجودها فيهم

ثم استمر في مقال التيمس : « والمصريون الذين يطلبون قبول كل شرط ممكن تمهيداً لدور المفاوضات الختامي يفسدون الى درجة كبيرة التقدم الذي حدث حتى الآن ومتى كانت النتائج المترتبة على هـذا الموقف هي الهياج العام والسب الشنيع (هو حد قادر يسب ؟ اللي يقول يحيا فلان يضرب بالرصاص) للوزارة الموجودة والتصميم الظاهر من جانب أجمع المناصر في مصر على طرد كل رجل معتدل من ميدان الحياة العامة — فان أماني الوطنية المصرية يلحقها ضرراً لايقدر : وهـذه هي النتائج التي أفضى اليها موقف زغلول حيال وزراء عدلي (ان لم يأت عدلي بجميع المطالب يكون الحق على زغلول وانصاره : فافهموا ذلك !) وانا لنشك في ان القوم في مصر يقدرون تأثيرها هنا والرأي العام البريطاني حسن الاستعداد لعقد اتفاق مع الامة المصرية من شأنه أن يعطى رجالها المسؤولين أعظم مقدار من الهيمنة على الشؤون المصرية (كذا ؟) ولكنه يعد الدليل على كفاءة الزعماء المصريين وقدرتهم على تسيير حكومتهم بنظام حسن واعتدال وحماية الاجانب وكبح عناصر الاضطراب (كلمة مخيفة) مقدمة ضرورية لعقد أي اتفاق من هذا القبيل ، وقد زعزعت الحوادث الاخيرة في مصر ثقة الرأي العام هنـا واذا دفع العداء لعدلي باشا وزملائه الى أقصى حدوده فان الآمال المصرية تستهدف لصدمة خطيرة »

هكذا تعظم الجرائد الانكليزيه من شأن عدلي وتجهل خصومه مهيجين معتمدة في ذلك على وثائق الثقة ومستندة عليها

وتقول الجرائد الانجليزيه هذه الاقوال وترددها هنا الجرائد الموالية للوزارة لتعلق عليها في المستقبل وتقول « أن عدلي كان سيأتي بالخير العميم ولكن زغلول وانصاره هم الذين أفسدوا الامر عليه » أو كذلكم ان هذا هو تدبيرهم : تدبيرهم ان الجرائد الانجليزيه هناك والجرائد الوزارية هنا تقول ان الهياج مضربنا (والهياج في عرفهم معناه معارضة الوزارة) وانه يعد ثورة . وان الانجليز بناء على ذلك لايعطون الا القليل

خاب فألهم فان هذه العرائض التي ابتزوها قليلة ولا تنفعهم شيئاً والمقاومة الحقيقية التي تصادفها هذه العرائض من كل الامة دليل قاطع على اننا لانخشى مطلقاً على مستقبلنا ولا يمكن ان نعد صعاليك أو رعاعا لمعارضتنا الوزارة الا اذا كانت

الامة كما تعيد هكذا ولكن الامة بحمد الله ليست كما تريد سياسة الحماية أن تظهرها.. فهي امة فيها كل الطبقات مجمعة على طلب الاستقلال وانما هذه الوزارة انجليزية تريد ان تأتينا باتفاق لا يرضي مطالبنا القومية بل ترضى سياسة الاستعمار وحدها وهيهات أن تمكنهم الامة من ذلك

هذا ما أردت ان أقوله في الموضوع العام واما في موضوع احتفال اليوم فأقول انى عند ما علمت بان حضرات الموظفين صمموا على تكريمي انا وزملائي وان الوزارة حرمت عليهم ذلك أخذني شيء من الضعف. سموه اشفاقاً أو عطفاً أو جهلا باحساسهم سموه ما تشاؤون من الاسماء فالحقيقة انه اعتراني شيء منه. فكتبت لحضراتهم ارجوهم العدول عن هذا الاحتفال لاني لا اريد ان يلحقهم كدر بسببي فأجابوني الامر ليس مختصا بك لانه راجع لمبدئنا لاننا رجال ولاننا مصريون قبل ان نكون موظفين قلت لهم عظيم جداً وشعرت من نفسي بشيء من الخجل أمام تصميمهم وبيانهم. كيف لم ادرك ان هذا متعلق بكرامتهم ولكني مع ذلك عرضت عليهم ان اغيب عن الحفلة فابوا فخجلت من نفسي ثانية ورأيتهم في مستوى ارقى من المستوى الذي أنا فيه وقلت اتركهم ومايصنعون ولو كنت اطلعت على الغيب وعلمت بالنتائج التي ترتبت على اقامة حفلتهم لشجعتهم عليها من أول الامر لان نتائج تضحيتهم جليلة جداً أو نافعة للقضية العادلة

نتائج نشرت مبدأ كنت أنا وأنا من المتوسطين في الالمام بمثل هذه المبادىء غير ملتفت اليه. فكانت نهضتهم وعزيمتهم منتجة اذ كشف الحجاب عن هذا المبدأ السامي مبدأ حرية الموظفين في ابداء آرائهم فعرفه الجميع وصار مقرراً في كل الاذهان وجاء القضاء متوجا له (تصفيق حاد)

هذه هي النتيجة الاولى وهناك نتيجة أخرى وهي ان هذه الهزيمة قضت على الوزارة قضاء مبرما، يقول انصار الوزارة انها لم تسقط: لانهم لا يعتبرون الا السقوط المادي فقط ولكنهم لو علموا انها سقطت سقوطاً أدبياً لا قيام لها بعده بسبب هذه الحركة وأمثالها لا انجلوا

وهذا الاحتفال في نظري ليس تكريماً لكم لان كل تضحية وخدمة تحمل في نفسها المكافأة عليها. وما السرور الذي تشعر به النفس وصوت الضمير يناديها: لك الفخر قد أصبت شاكلة الصواب وقمت بالواجب عليك الا المكافأة لها واظنكم

شعرتم بهذا السرور يوم سمعتم تصميمكم ويوم لاقيتم جزاءكم فليس لكم بعد هذا السرور مكافأة عندنا (تصفيق حاد) . دامت هذه النفوس الكبيرة وهذه المبادىء العالية .

وإنما انعقد هذا الاحتفال تثبيتاً للمترددين وتشجيعاً لذوي الثبات الصادقة فاعملوا أعمالهم فقد ضربتم أحسن الامثال (تصفيق حاد وهتاف متكرر)

خطابة الرئيس في وفد الدقهلية

مرحباً مرحباً بوفد المنصوريين . مرحباً بوفد المنصورة . انها رفعت قدري ، أعلت ذكري . اقامت على الاخلاص الوطني برهاناً صادقاً على كذب ما يفترون ضد النهضة الحاضرة — نعم لقد اقام المنصوريون دليلاً من الاخلاص على أن الذين يرموننا بالانقسام هم غير صادقين

حقيقة اني لمعجب بالمنصوريين وبتحملهم المشقات : اني لاعلم كما تعلمون صعوبة الانتقال في مثل هذه الاحوال وأعلم أن الحكام الاداريين يأخذون الطريق على من يظهرون الشعور في سبيل الوطن . لقد منعوا العلم المصري من أن يرفرف على المواكب والعربات لكل قادم من القادمين الي . فالاحتشام تتعصبون فيها ولكن لها قلوبكم لان هذه الوطنية أصبحت بحمد الله راسخة في القلوب لا نزول منها ما دامت السماء سماء والارض ارضاً . ان وطنية يتغنى بها الطفل في مهده ، والصبي في ملعبه ، والفتى في غدواته وروحاته ، والشيخ في مصلاه ، لا يمكن أن تؤثر عليها تلك السفاسف وتلك الاباطيل . ان هذه الوطنية التي انبثت في صدور الطفل الصغير والرجل الكبير لا يمكن أن يقال انها من صنع خطبة قيلت او مقالة نشرت ولكنها من صنع الله الحكيم

ان يد الله القادر هي التي اودعت تلك الروح الطاهرة في قلوب المصريين جميعاً حضريهم وبدويهم صعيديهم وبحريهم من اقصاء البلاد الى اقصائها . ان هذه الروح المتمكنة في اعماق القلوب لا يمكن ان تخمد ابداً . قام بعضهم يضللون الناس ويريدون ان يفهموهم اننا خنا العهد ، واننا نريد ادخال الاجنبي في شؤوننا . كذبوا فلا شيء قلبه أمالي خصومكم ولا شيء يبعث اريد ان انزل من هذه المنزلة .

السامية التي ازلتموني أياها ؟ ! فلاي سبب اذا ؟ ! أأبتغي بها مالا ام جاهاً ؟ اني لا ابتغي عن هذه المنزلة منزلة اخرى ولا غاية لي الا تحقيق ثقتكم بي ، اما الاتهام خصومكم ، فهذه فرية لا أخفل بها ولا اكلف نفسي رداً عليها . هم الذين حاولوا ان يحملوكم على قبول مشروع هو الحماية في اخص معانيها ، ولقد كنت بعد قدومي هذه البلاد اول من كشف القناع عن ضرر هذا المشروع ومن ضمن سعينا لمصلحة بلادنا اننا التجأنا الى الاحرار في كل امة وقد عثرنا بطائفة من احرار الانجليز الذين يرون من مصلحة امتهم ان تكتفي بنفسها وان لا تبسط يدا الحكم على غيرها من الامم لان حكمها يبهظ عاتق الافراد بنفقات لا قبل لهم باحتمالها ولانه لاحق في الاصل لامة في حكم امة اخرى لا توافقها في العقائد والعوائد والتقاليد والتشريع . وقد عثرنا على هؤلاء الاحرار واتخذناهم لنصرة الحق فلما ان وقع ما وقع لاغتصاب الثقة كنت اول شخص بلغت هؤلاء الاحرار هذه الحوادث ، وقد بلغتهم لدفع ذلك عن بني وطني ، ما سمعت احداً من أولئك الذين ينتقدون تبليغ هذه الحوادث الى الاحرار رفع صوته ضد الظلم — نعم لم يحرك احد منهم ساكنا ولم يرفع احد منهم صوته بالشكوى مستنكراً . . . .

لقد نكلوا بموظفينا الذين لا ذنب لهم الا انهم جاهروا بانهم يكرمون انساناً عشقوا مبدأه ، ونكلوا باناس لاذنب لهم الا انهم كانوا يحملون عرائض الثقة بنا . لاي غاية اغتصبوا الثقة منا ؟ فعلوا ذلك ليظهروا ان بعثتهم هي موكلة عن الامة فهم يرغموننا على الثقة بقصد ان ينفذوا مشروعاً هو في مصلحة الاجنبي لا في مصلحتنا

خيانة الوطن . كيف نكشف مظالمنا في عرفهم الظلم وطنية ولكن الشكوى من الظلم خيانة ! ! اذا رفعنا شكوانا الى الاحرار الانجليز قالوا خارجون عن الوطن مناهضون لاستقلال البلاد ؟ كيف لا نستقل الا في تحمل الظلم ؟ ! قالوا (كفرت) . اني احب هذا الكفر على ايمانهم . قال الاحرار « ان هذه البعثة لا تمثل الامة ويجب عمل جمعية وطنية يركن اليها في الوقوف على مشيئة المصريين » قالوا « قد اتيتم شيئاً اداً لانكم قدمتم للاحرار حجة يأخذها علينا حزب الاستعمار ويحاربنا بها . » من هو حزب الاستعمار وفي اي مكان ؟ الا فليدلوني على جريدة واحدة استعمارية قد اتخذت تلك الاسئلة التي القيت في البرلمان دليلا

على عدم كفاءة المصريين لحكم انفسهم ! اللهم لاشيء من ذلك مطلقاً ولكنها بدع جادت بها خيالات انصار الوزارة ليضللوا بها الامة . «قالوا سيأتي الى هنا احرار من الانجليز» فليأت هؤلاء الاحرار لانهم لم يأتوا من قبل الحكومة للتحقيق بل من قبل ضمائرهم فملئ الرحب والسعة وليأتوا ويشاهدوا ظلم بني جلدتهم وكيف تخنق الحرية السياسية بواسطة الاحكام العرفية . اني لهم من اول المستقبلين — نحن امة حية نشعر ونتألم ، نأبى الظلم ونعاف الضيم ولا يمكن ان يتغلب علينا اي ظالم — لابد في هذا المقام ان اكشف لكم الستار عن وسائل التغرير التي يلجأون اليها ، وضروب التضليل التي يتذرعون بها . فمن ذلك انهم يزفون اليكم التلغراف تلو التلغراف ويحملون لكم الخبر في اثر اخيه ليمنوكم بالاماني ولكنها تلغرافات خالية من المعاني محاطة بكل مشوف الابهام . خذوا مثلا : يزفون اليكم تلغرافاً بأن عدلي باشا قد وقف موقفاً مشرفاً للقضية المصرية اين ومتى وكيف وما هية الموقف الذي يشرف به عدلي باشا القضية المصرية ؟! ثم لايلبثون ان يعقبوا هذا التلغراف بتلغراف آخر يقولون فيه « اجتمع مستشارو الوفد وقرروا قراراً هاماً بالقضية المصرية .» ماهو هذا القرار ؟ هذا مالا يريدون أن يتفضلوا ببيانه لكم . وما علمنا من امرهم شيئاً سوى مآدب وحفلات وزيارات الى المدمرات والمدرعات فهل هذا هو الاستقلال الذي لاشك فيه ؟ ! انهم مهما حاولوا فلن يستطيعوا يحولوكم عن طلب الاستقلال التام الذي جعلتموه اكبر همكم ولقصى امانيكم : الا انهم لايستطيعوا ان يطفئوا تلك الشعلة المقدسة : شعلة الوطنية الحقة التي تتأجج بين جوانح الوطنيين جميعاً . الا انهم لايستطيعون ان يخمدوا تلك الحركة مهما استعملوا من وسائل القهر والارهاب او يثنوا الامة عن غايتها التي تطلبها وضالتها التي تنشدها من الحرية والاستقلال . وختاماً اقدم لكم أجل عبارات الشكر وارجوا ان تبلغوا اخوانكم تهانيء العيد وارجوكم ان يكون العيد القادم عيد الحرية والاستقلال التام



خطابة الرئيس أثر وصوله من مسجد وصيف

ببيت الامة في حضرات المحتفلين باستقباله

يوم الخميس ٢٥ أغسطس سنة ١٩٢١

أقدم لكم شكري على احتفائكم بى واطفىء بمشاهدتكم شوقي وأدخل السرور عليكم بأنى وجدت في المدة القصيرة التى أقمتها بعيداً عنكم فيمن اتاحت الفرصة الى الاجتماع بهم من اخوانكم شعوراً صادقاً بالوطنية مثل كل شعوركم وان كل مايأتيه لمبطلون من أضاليل وأراجيف لايؤثر فى هذه الروح ضعفاً ولا في التمامهم حوالى المخاصين شيئاً . وأوكد لكم ان التلغرافات التي استمضي عمال الحماية الكثير عليها لم تحدث أدنى اثر فى نفسي لانى أعلم ان الذين امضوها لم يفعلوا بقلوبهم بل قلوبهم في الحقيقة مملوءة ثقة بالمخاصين من خدامكم . ولكن من هؤلاء الذين نسبت اليهم من وضع امضاؤه بغير علمه وفى غيبته ومنهم من أثر فى ضعفه ارهاب عمال الحماية وعلى كل حال فجميع الامة مقدرة لاخلاصنا قدره . اما ماأرادوا المبطلون أن يسيئوا به سمعتنا من جهة سعينا فى توجيه الاسئلة التي توجهت في البرلمان والبلاغ الذي نشره أحرار الانجليز في بعض الجرائد والسرور بعزمهم على الحضور الينا فهو مردود عليهم . لان اولئك الاحرار ليسوا مستعمرين ومبادئهم متفقة مع مصالحنا وهم لايودون أن يمتد سلطان حكومتهم الى غير امتهم لأن هذا يكلف أفرادها تكاليف باهظة لاقبل لهم بتحملها . ولا يصح فى اعتبارهم لامة قوية ان تستولى على امة ضعيفة . ولقد كانت لهم مواقف محمودة فى كثير من الظروف فهم الذين نهضوا في مجلس النواب للدفاع عمن اعتقلوا سنة ١٩١٩ من زعمائكم وصاحوا بحكومتهم قائلين ان هذا ظلم مبين لاتصح نسبته الى الامة الانجليزية . وكان للضجة التى أقاموها حول هذا الاعتقال اثر في الافراج عن المعتقلين . فعلوا ذلك قبل ان نتعرف بهم ثم تعرفناهم وكنا جميعاً مغتبطين بهذه المعرفة لافرق بين من انشقوا بعد ذلك ومن استمروا فى اخلاصهم . وآخر مافعلوه ذلك المنشور الذي أذاعوه وزعم المبطلون المتلونون فى مبادئهم انه لم يشتمل على شيء مما شكرتهم عليه من الدفاع عن حرية

بلادنا واستقلالها وتعاموا عما صرح به ذلك المنشور من طلب الغاء الاحكام العرفية وانتخاب جمعية وطنية للنظر فى المفاوضات وعللوا ذلك بأنه لا يصح اكراه أربعة عشر مليوناً على أن يقبلوا معاهدة أو حكومة لا يرضونها . فهل هذا لا يعد دفاعاً عن الحرية وعن الاستقلال . وهل الغاء الاحكام العرفية وان يكون للامة حق البت فى مصيرها ليس دفاعاً عن الحرية ولا عن الاستقلال

واغرب من مكابرتهم فى هذا الأمر مازعموه من ان توجيه تلك الأسئلة فى البرلمان موجب من جهة لتدخل الحكومة الانجليزية فى شؤوننا الداخلية ومن جهة مشوه لسمعة المصريين ويتخذه حزب الاستعمار حجة على عدم اهلية مصر لحكم نفسها بنفسها

وقال بالقضية الاولى من قولهم وكيل خارجية انجلترا وبعض المحافظين والاستعماريين ولئن صح هذا القول من مستعمر انجليزي دفاعا عن انجليز مصر وعن حريتهم فى التصرف بامورنا فانه هزء وسخف لا يصح من فم مصري مغلوب على امره يعلم حق العلم ان حكومته غير مستقلة فعلا وان الحماية متغلغلة في الادارة المصرية وجميع فروعها وانه لا يبرم أمر ولا ينقض الا باشارتها . فأي استقلال نخشي عليه من التدخل بعد هذا التغلغل . ألم يبلغكم فى الايام الاخيرة ما اكده العارفون من أن مستر نقنهام وكيل وزارة الاشغال تحصل بمساعدة الحماية على الغاء قرارات مجلس الوزراء ووزير الاشغال بخصوص توقيف الاعمال فى خزان مكوار وانصاعت الوزارة لهذا الابطال ولم تجد من العزة ان تعارض فيه مع انها كانت سمحت عقب قرار الايقاف ان تقام لها حفلات تكريم على هذا الموقف الشريف

اما مازعموه من تشويه الاسئلة لسمعة المصريين فان السائلين لم يتعرضوا فى مجلس النواب لجنسية من ارتكبوا تلك الجرائم ولم يقولوا ان كل الموظفين ارتكبوها ولكنهم ذكروا وقائع معينة مستندة الى بعض عمال الادارة فمن أين يأتي تشويه سمعة المصريين عموماً ومن الذي قال بأن حزب الاستعمار اتخذ هذه الاسئلة حجة على عدم استعداد المصريين لحكم انفسهم . واذا فرضنا انهم اقاموا هذه الحجة . فاية قيمة لها وهي لا ترتكز على مقدمة حقيقية . ان فعل بعض الموظفين لا يصح ان يؤخذ الباقون بجريرته خصوصاً فى حالة مصر لان الموظف حتي لو كان مصرياً انما تسأل عن عمله ادارة الحماية لانها هي التي انتخبته

وعينته وهو يؤدي وظيفته تحت مراقبتها ولحسابها

عجباً عاجباً من الوزاريين يستحلون ان يلتمسوا من الانجليز الوظائف التي يتربعون فيها والسلطة التي يتصرفون بها في ارواح اخوانهم ودمائهم وكراماتهم ويعدون كل هذا سائغاً في قانون الوطنية ولكن الشكوي من ارتكاب الظلم الفاحش في ذلك كله لمن له القدرة على رفعه جريمة لاتغتفر وخيانة وطنية

يدعون الى مقاطعة اولئك الاحرار اذا حضروا كما قوطعت لجنة ملنر لانهم انجليز والانجليز خصومنا . نعم انهم انجليز ولكن ليس كل الانجليز خصومنا بل منهم من يجب أن يكونوا اصدقاءنا وهم الذين تتفق مبادئهم مع مصالحنا مثل اولئك الاحرار . ان لجنة ملنر عينتها الحكومة الانجليزية بتصديق البرلمان لتأييد الحماية ووضع نظام مصر لحكومة مصر في دائرة هذه الحماية كما صرح بذلك وزراؤهم في مجلس النواب واللورد ملنر في خطبته قبل حضوره وفي الاعلان الذي أصدرته لجنته في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ بعد حضورها وأعلنه الفيكونت اللنبي في بلاغ أذاعه قبل قدومها فمقاطعتها كانت لازمة أما هؤلاء الاحرار فلم يعينوا من حكومتهم ولا من مجلس نوابهم بل انتدبوا أنفسهم للتحقق من أعمال الحماية والمظالم التي عزيت اليها حتى يؤيدوا بما يرونه المطالب التي طلبوها والتي هي متفقة تمام الاتفاق مع مطالبنا . فكيف نقاطع قوماً اذا حضروا وهذه حالتهم وتلك غايتهم . انه يجب علينا أن نستقبلهم بكل ترحاب واني أتشرف بأن اكون أول المستقبلين لهم . اننا اذا لم نعتمد على مثل اولئك الاحرار من كل الامم عموماً ومن الانجليز خصوصاً فعلى من نعتمد بعد الله واتحادنا

ان الوزاريين اذاعوا بأن لجنة تألفت من اللوردات والنواب واساتذة الجامعات لتأييد المفاوضات فهل هؤلاء ليسوا انجليزا وما هو لونهم . ان كانوا احراراً فهم اصدقاؤنا وان كانوا غير احرار مستعمرين او محافظين فكيف يؤيد هؤلاء المفاوضات في مصلحتنا اللهم ان الوزاريين لم يريدوا باشاعة تأليف هذه اللجنة الا المقابلة والمفاضلة ليوهموا ان لجنتهم انفع لمصر من اللجنة التي يعتمد الوفد عليها ولكنهم وقعوا في تناقض عجيب فان كانوا سعوا حقيقة في تأليف لجنة من هذا القبيل فانهم يكونون سعوا فيما عابوه علينا وزينوا به . وان كان هذا ليس بصحيح كما هو الظاهر فهو تباه بما يعتبرونه جريمة

ان الانجليز ويمايهم الوزاريون يريدون أن يجردونا من كل سند ولصير ليفترسوا استقلالنا وقد رأوا ان العقبة الكؤود في طريقهم هي قيام المخلصين في وجههم وفي وجه البعثة الرسمية ومعارضة كل ماتأتى به مما لايتفق مع هذا الاستقلال فلم يكن منهم الا أن اجمعوا رايهم على محاربتهم حتى يسقطوهم ومتى اسقطوهم تمكنوا من تنفيذ المشروع الذى يريدونه مها كان مضراً بالبلاد وتذرعوا لذلك بوسائل شتى منها استعمال الاحكام العرفية في ارهاب الناس وحملهم على سحب ثقتهم بامنائهم وبث الاضاليل والمفتريات في نفوسهم بواسطة المنشورات التي يلفقونها والتلغرافات التي يرسلونها من لوندره والشروح التى تملقيها الجرائد الوزارية عليها

ومن توغلهم في التضليل والتموية أنهم في الوقت الذي صرح فيه رئيس الوزارة الانجليزية بمجلس النواب بأن الاتفاق تم مع البعثة الرسمية أو سيتم على ان انجلترا تشترك مع مصر في حكمها يسمون في حمل الناس على تأييد هذه البعثة وتقول بعض جرائدهم اليوم أن هذا التصريح مما يوجب حسن التفاؤل : أي استخفات بالمقول اشد من هذا الاستخفاف . ان كان هذا تفاؤلا فما هو التشاؤم . يريدون بمثل هذه الوسائط ازالة تلك العقبي ولكن الله تأبى حكمته البالغة بأن تضيع جهود المخلصين بمثل هذه الوسائط وان ينطفيء ذلك النور الساطع المنيب في جميع النفوس وينهار ذلك البناء الشامخ الذي تأسس فوق رؤوس كثير من الضحايا وسوف نكون كلنا يداً واحدة ضد كل مشروع لايتفق مع مصلحة البلاد وفى السعي بكل مافى وسمنا للحصول على أمنيتنا من الاستقلال التام



خطبة الرئيس في بيت الامة لطلبة الازهر

عند ابتداء دراستهم في أول سبتمبر سنة ١٩٢١

ابنائي البررة

أشكركم والحزن يملأ قلبي على وجود القوة العسكرية التي جاءت لتطاردكم وهي مؤلفة من ابنائنا الذين اعددناهم للدفاع ضد اعدائنا فاستعملتهم الوزارة للحيلولة بيننا وبين اخواننا وللضغط على الاماني التي تدور في صدوركم والشعور الذي يملأ قلوبكم نحو استقلالكم ولكن هذه الاعمال التي تقوم بها الوزارة لاطفاء تلك الروح في نفوسكم لايمكن أن تزيدها الا قوة ونماء . انهم يرتكبون كل هذه الاعمال وينكرونها ولقد طلبت من ضابط تلك القوة التي جاءت لتطاردكم كتابة تدل على حضورها لمنزلي ومنعكم من الوصول الي فلم يستطيع أن يجيب هذا الطلب لانهم يقترفون الآثام ويحبون أن تبقى مستورة على الافهام ولكنها لاتبقى مستورة زماناً طويلا فسوف يأتي يوم يحاسبون على ارتكابها حساباً عظيما

انهم يوجهون كل مساعيهم ليحملوا الناس على سحب الثقة منا ولكنها أعمال أطفال لاتؤثر شيئاً واني واثق كل الثقة بأن الذين يعضون بسحب هذه الثقة قلوبهم مملوءة بالاخلاص لنا وبالثقة فينا وسيأتي يوم يظهر فيه هذا الاخلاص في أكبر مظاهره ويكون أصحاب الامضاءآت شهوداً على اولئك الضالين . اننا لا نتعاقد باسم الامة على هبة أو رهن او بيع ولكننا نصيح باستقلالكم ونسعى اليه جهدنا ونطالب به في كل موطن فلا يمكن سحب الثقة منا الا في احدى حالتين : في حالة ماذا عدلت الامة عن طلب استقلالها ورغبت في تأييد الحماية عليها وهذا ماأعيذ الامة عن أن تفعله أو تميل اليه مهما تقلبت الاحوال وتغيرت الظروف . وحالة ماذا قصرت أنا واخواني في السعي الى هذا الاستقلال ورغبت عنه الى الحماية . هنالك لايحق للامة أن تسحب مني ثقتها بل يحق لها ان تقضي علي بالاعدام ويكون قضاؤها عادلا . أما ماتذرع به الخصوم من مسألة البرلمان الانجليزي وتوجيه الاسئلة عن الفظائع التي يرتكبها عمال الحماية لاختلاس الثقة

واغتصابها فلا أهمية له وهو تدبير معكوس لانه يجب كشف حقيقة المخازي التي ترتكب لتحقيق الثقة في أناس لايستحقون من الثقة شيئاً ويوجب ماضيهم ان لاتعتمد عليهم البلاد في مهمة كالمهمة الحاضرة . واما مايقال ويكرر من أني أحارب البعثة لغرض شخصي وهو حصر المفاوضات في يدى فهو كلام منقوض ومردود لانى لا أبتغي المفاوضة شهوة بل لمصلحة البلاد . والله يعلم انه لا لذة لى فيها وانى اعتبرها حملا ثقيلا وأعتبر مركز المفاوض من احرج المراكز وادقها واذا وصل المفاوض المصري الى تقرير الاستقلال التام لبلادنا فانى اكون اول شاكرله . خلاف مازعموا لأن الاستقلال هو غاية الغايات عندي . ومهما كانت اليد التي تأتى به الينا فانى اكون أول المقبلين لها ولوكانت يد اعدى أعدائى .

ولكني يستحيل على وأنا متمتع بعقلي أن أتصور أن البعثة الحالية تأتي للبلاد باستقلالها لان كيفية تأليفها والاشخاص المؤلفة منهم والظروف التي تألفت وسافرت فيها والاعمال التي ارتكبت ضد الحرية في سبيل تأليفها وسفرها كل ذلك يأبى على العقل ان يتصور أنها تأتى باستقلالنا . ولقد قال لي ولد صغيرفي سن السابعة « كيف يمكن أن عدلي يأتى بالاستقلال وهو يضر بنا » فأمة يقول طفلها هذا القول لايتأتى أن تعتقد أن هذه البعثة تحمل لنا الاستقلال التام

لهذا نحاربها ونبذل كل جهد في اسقاطها حتى لايكون عملها حجة علينا بحال من الاحوال وحتى لاتؤثر العوامل المختلفة التي يستعملونها لتمهيد الطريق امامها وحمل الامة على قبول المشروع الذي تأتي به مهما كان دون مطالبنا . ومن تلك التمهيدات ما ابداه حضرة عبدالعزيز بك فهمى في خطبته من شدة الانزعاج لقطع المفاوضات والتنويه بشدة رغبتنا في الاشتغال بامورنا الاقتصادية والمالية والتعليمية وبقوة انجلترا وضعفنا . فان قطع المفاوضات اذا حصل لايزعج القلوب المملوءة بالوطنية مادامت نتيجة المفاوضات لاتكون تحقيق استقلالنا بل تأييد الحماية علينا

ومن الوسائل التي يستعملونها ضدنا بعد القوة الغاشمة تضليل الافهام بالجرائد التي اشتروها والمنشورات التي يلفقونها والمبشرين وغير ذلك من الوسائل التي يصرفون في سبيلها القناطير المقنطرة من اموال الامة ثم يدعون علينا ظلماً اننا نحن الذين نصرف الاموال في هذه الوجوه وكلكم يعلم مقدار مخالفة هذه الادعاء

للواقع . وليعلم الوزاريون انهم مهما موهوا ومهما استعملوا من الحيل والدهاء والضغط والشدة لايمكنهم أن يجعلوا الامة تقبل مشروعاً دون مطالبها ، ويسرني ان الأمة متيقظة وملتفتة لهـذه التصرفات فلا تعيرها جانباً من الأهمية وهي لاتفيد الا عكس المقصود لانها قد دلت في كثير من المواقف على انها تضرب عرض الحائط بكل اكذوبة ولا تقبل من المـأجورين ودعاة التردد والهزيمـة صرفاً ولا عدلا ولا تحترم غير الحقيقـة يرفع رايتها المخلصون الصادقون من أبنـائها . فالواجب علينا ان نتركهم يعمهون في غيهم ونسير في طريقنا لانلوي يميناً ولا شمالا متحدين متوكلين على الله وعلى اتحادنا في الوصول الى استقلالنا

اذا فرضنا المستحيل لاقدر الله ونجح الوزاريون في سعيهم لاقعاد النهضة الوطنية واطفاء نورها فخمدت الهمم وفترت العزائم فعلى اية قوة تعتمد البعثة الرسمية في المجادلة عن حقوق البلاد والمطالبة بالاستقلال التام. اتظن ان الانجليز يحترمون لها بعد ذلك رأياً او يقبلون منها طلباً . كلا انه لايكون لها أو لغيرها في حالة هذا الضعف الا كل احتقار من الانجليز . فليتنبه الوزاريون وليعلموا انهم انما يسعون لمعاونة الانجليز على رغبتهم والوصول الى غايتهم وان الامة ملتفتة كل الالتفات لحركاتهم وسكناتهم وانها لاتنصر الا المخلصين ولا تلتف الا حول الصادقين

خطبة الرئيس في الازهر الشريف

يوم الجمعة ٢ سبتمبر سنة ١٩٢١

سادتي ! اخواني ! أبنائي !

لم أتشرف اليوم بالحضور اليكم لأخطب فيكم بل لأصلي معكم وأشكركم على ايفاد الوفد الذي شرفني بالامس لتبليغ تحياتكم ولاشنف مسامعي بخطبكم وانتفع بحكم اقوالكم التي طال انقطاعي عن سماعها، لكم مني على ما أبديتم وفدكم وأبديتم نحوي خالص الشكر وعظيم الامتنان . ولقد مازج سروري اشهود وفدكم أمس

شيء من الحزن عند رأيت جنوداً تحوط بداري وتحاول أن تحول بالقوة القاهرة بين وفدكم والدخول فيها وكأنهم يظنون انهم بمثل هذه الوسيلة يتوصلون أن يمنعوا شعوركم من أن يتصل بنفسي وقلوبكم من أن تمتلىء بالاخلاص لمن جعلتهم عنوان أمانيها ورمز استقلالها ولكنهم لم يكونوا الا واهمين في ظنهم وما وقع منهم لا يزيد قلوبكم الا اخلاصا ولا يزيد حبكم لمن وثقتم به الا نماء • واني معتقد كل الاعتقاد انه كلما وقعت هذه الاعمال عليكم واتصل علمكم بوقوع مثلها على غيركم شعرتم بانها موجهة لمساعدة خصومكم فلا يزيدكم وقوعها الا نفوراً منهم وميلا الى زعمائكم

أن اعداءنا كانوا يحتقروننا ويعتبرون اننا كمية مهملة فقمتم في سنة ١٩١٩ تلك القومة التي اهتزت جوانب الارض لها وغضبتم تلك الغضبة الكبرى واعلمتموهم ان في السويداء رجالا يأبون الضيم ويفضلون الموت الشريف على الحياة الذليلة ابتدأوا يحترمونكم وأتوا يبحثون عن استرضائكم فأظهرتم لهم اتحادكم وتمسككم باستقلالكم فلم يسعهم الا احترامكم والدخول في المفاوضة مع زعمائكم الذين أوليتموهم ثقتكم فلم يروا من هؤلاء الا تشدداً في حقكم ومحافظة على عهدكم فالتجأوا الى الحيلة يستعملونها وحاولوا تقسيم وحدتهم وتفريق كلمتهم فنجحوا مع الاسف الشديد وانحاز اليهم بعض من نزل المال بنفوسهم والم الهزال بجسمهم فظاهروهم على قصدهم وعاونوهم في سعيهم ولكن الامة بحمد الله لم تتأثر بصنعهم ولم يمل اليهم الا القليل رغم الوسائل التي يستعملونها وهي كثيرة فمنها القوة الغاشمة. ازهقوا الارواح . أسالوا الدماء . سجنوا الابرياء . اعتقلوا . ابعدوا . اهانوا. هددوا ليرهبوكم وليفضوكم من حول زعمائكم وعناوين استقلالكم. فعلوا كل هذا ولكنهم لم ينجحوا في سعيهم بل احبط الله أعمالهم. استاجروا الكتاب. اشتروا الجرائد . وزعوا المنشورات. اختلقوا الاكاذيب. رمونا بأبشع التهم وأفظعها. هذوا كل ما كتبوا من أنواع الوقاحة والبذاء ولكن كل ذلك لم يفد الا تصغيرهم ولم يكسبهم الا احتقاراً في اعتباركم . أما نحن فبقينا متشرفين باحترامكم لم يلحقنا شيء مما كتبوا

ولما علموا اننا عاملون على فضح اعمالهم وهتك أستارهم تألبوا علينا وأخذوا يحملون الناس على أن يقطعوا صلتهم بنا ويسحبوا منا ثقتهم كأن الثقة كرة في يدهم

يلعبون بها كيف شاءوا ويرمونها حيث ارادوا مع انها كانعلمون حالة تقوم بقاب الانسان نحو من رآه جامعاً للصفات التي يعتبرها كفيلة بالسير نحو الغاية التي يقصدها أليس كذلك ؟ (الجميع نعم ، نعم) ليست الثقة بعمل اختياري بل تلق في الضمير بحيث لو أراد صاحبه ان يضعف منها لماقدر على ذلك مادامت الاسباب التي ولدتها موجودة فيه . بناء على ذلك لايمكن لوسائل الاكراه والتهديد ان تنتزع ثقة من قلب انسان . والثقة التي شرفتني الامة بها لايمكن أن تنعدم كما قلت لوفدكم بالامس الا في واحدة من حالتين . احداهما أن تعدل الامة نفسها عن طلب حريتها واستقلالها وترضى بالحماية واني أعيذها من هذا الخبال ، الثانية أن يكون موضع ثقة الامة خالف مبداها وبدل أن يسعى للاستقلال الذي وضعت أمانة السعي له في عنقه سعى في غيره وعمل لسواه وفي هذه الحالة لايصح أن يكون جزاؤه سحب الثقة منه فقط بل يجب أن تحكم الامة عليه بالاعدام ويكون حكمها من اعدل الاحكام . واني ابيح دمي اذا رأيتم مني انحرافاً عن قصدكم . أو تسامحاً في حقوقكم ، أو خروجاً عن حدود المأمورية التي عاهدتكم على القيام بها وما عدلت ولن اعدل عنها مادام في عرق ينبض أو نفس يتردد . واني احارب كل شخص يسير ضد هذه الخطة ويضع العقبات في طريقها مهما كانت رابطته منا وحاله من الصداقة لنا . ولقد قاطعت كثيراً من اصدقائي لا لاسباب شخصية بل غيرة على القضية العامة وحرصاً على التمسك بحقوق الامة . فكل من رأيت فيه تهاوناً في السعي وتواكلاً في العمل أو تسامحاً في الحق واعيتني الحيلة في اصلاح شأنه قطعت مابيني وبينه كل صلة ولو كانت اقوى الصلات وأمتنها . افعل ذلك غير آسف لان حقوق الامة لا تقبل مجاملة ولا مسايرة الصاحب . والكتب التي قرأتم بعضها في الجرائد وستقرأون بعضاً آخر منها تشهد باني كنت دائماً محافظاً على أمانتكم وان الخلاف الذي استحكم بيني وبين زملائي لم يكن لشخصيات كما زعموا بل لاسباب جوهرية تتعلق بالمبدأ الاسمي . قالوا انني أتشبث بالمقاوضة والرياسة حباً في الغلو والفخار . نعم تشبثت بذلك وكان هذا التشبث من حقي بل من واجبي لان الامة وكلتني عنها وألقت على مسئولية كبرى في المفاوضات فلم يكن لي بعد أن وضعتني في هذا الموضوع ان اتنازل عن الرياسة لغيري وأن ادع الرآسة في المفاوضات لمن اختبرته ودلني اختباري على ضعف شديد فيه وتهاون في حقوق الامة فيكون العمل لغيري والمسئولية علي

ولقد أيدت الأمة عند استشارتها في مشروع ملنر ثقتها بالوفد وأظهرت شدة رغبتها في أن يكون هو المفاوض دون سواه وتنفيذاً لهذه الرغبة قبلنا الدخول في المفاوضة حتى اذا وجدنا من ورائها خيراً جلبناه لأمتنا، والا عدنا من حيث ذهبنا محافظين على حقوق البلاد

وما كان لي بعد أن تشرفت بأسمى منزلة في الأمة أن أطمع لغيرها وأن اجد في رآسة المفاوضات ما أتشرف به . واني أعلم اكثر من كل واحد أن مركز المفاوض حرج وموقف الرئيس في المفاوضات من ادق المواقف وأصعبها فما طلبته تلذذاً بما حوله من النعيم ، بل قياماً بواجب وطني حملتني الأمة اياه . ومن التناقض الكلي أن تعتبرني الامة وكيلا عنها ثم يكون منها من يرى منعي عن مباشرة أهم عمل متعلق بمصيرها . ومن غير المفهوم أن يكون من الامة من يفضل أن تكون الرياسة في المفاوضة للاستقلال لمن عينته الحماية دون من وكلته الامة . لأن البعثة الرسمية انما عينتها الحماية ولا قوة لها الا بالحماية ، ولو لم تكن الحماية صاحبة السلطة في بلادنا لما بقي رئيس البعثة في مسنده دقيقة واحدة بعد أن أعلنت الأمة عدم الثقة به

كيف يتصور أن شخصاً يعتمد على قوة خصمه يمكنه أن ينال من ذلك الخصم حقه ؟ ان الوزارة لو كانت تسعى للاستقلال حقيقة فمن المحال أن تستخف بالامة التي تطلبه لها ، وأن تعمل على خنق حريتها ومس كرامتها . انا قبل أن نصدق أن الوزارة العدلية وأعمالها — ما تأملون — تسعى للاستقلال التام يجب علينا أن نخرج عقولنا من رؤوسنا

لقد ارتفعت الاصوات من كل جانب بالشكوى من عمال الحماية وحملهم الناس على الثقة بالوزارة بالوسائل المختلفة من الاكراه والاحتيال فلم يتحرك ساكن ولم تنفتح اذن لهذه الاصوات عندنا، ولكن لما اخذ الاحرار يسألون حكومتهم عنها في مجلس نوابهم ارتعدت فرائص الوزاريين وأسقط في ايديهم وراحوا يولولون ويدولون قائلين أن الوفد المصري ارتكب اكبر الجرائم لانه سلك طريقاً توجب تدخل الانجليز في أمورنا الداخلية كأننا مستقلون بها وكان الحماية لا سلطة لها علينا وكان كل ما نعمله بارادتنا وكان القوم لا يبصرون

الم يعلموا ان أمورنا كلها بيد السلطة العسكرية ؟ ألم يأتهم نبأ الاحكام

الصادرة بالاعدام على بعض الوطنيين ولا تفهم الامة من أمر المحكوم عليهم ومن تهمتهم شيئاً ؟ ألم يعلموا أن حوادث الاسكندرية جرت فيها تحقيقات ولا تفهم الحكومة المصرية فيها شيئاً ؟ اللهم الا من طريق الحكومة الانجليزية ؟ ماهذا التضليل ؟ ! اننا لانريد أن نمكن الانجليز من أرضنا بل بالعكس نريد أن نخرجهم من ديارنا وهذه مهمتنا التي أخذنا على عهدنا القيام بها ، وانما الاحرار الذين نتساعد بهم على كشف النقاب عن أعمال الحماية هم قوم أنفقت مبادئهم مع مبادئنا فلزمنا أن نتساعد بهم وما يضرنا أن نستعين بمناوأتهم لحكومتهم على رفع ظلمها عنا . فان نجح سعينا ، وارتفع هذا الظلم ، وصلنا الى بغيتنا والا فأي ضرر علينا من أخبارهم بالامر ومن حضورهم بصفة كونهم احراراً عندنا ليتحققوا بأنفسهم مما اتصل بعلمهم من احوالنا ؟ ولكن عمال الحماية لايريدون أن تنكشف أحوالهم حتى ينفردوا بالامر ويستقلوا بظلمنا تمهيداً لحملنا على قبول مانكره من المشروعات التي تجري المفاوضات لتقريرها

ايصح ان يعتبر ارتكاب الجريمة سابقاً في قانون الوطنية ، والشكاية منها محرمة فيه وجريمة لاتغتفر ؟ ! ليقل الوزاريون كيف شاءوا فما لقولهم من قيمة وما هو الا دفاع المذنبين الذين بعد ارتكاب الذنب يسعون جهدهم في اخفاء أثر الجريمة وتضليل العدالة عن الاهتداء الى مرتكبيها

إن عمال الحماية مع شدة خوفهم من تلك الاسئلة البرلمانية وانزعاجهم من عزم بعض الاحرار على زيارتنا لم يكفوا عن حمل الناس على الثقة بالوزارة بل زادوا حملهم على سحب الثقة منا ، ولهم وسائل في هذا الحمل كثيرة منها وضع الاسماء في التلغرافات من غير علم أصحابها اعتماداً على أنهم لايحتجون على وضعها خوفاً أو تورطاً . ومنها التهديد ومنها المفاوضة على مصالح أرباب الامضاءات . ومنها استرحامهم بادعاء الموظفين تعلق بقائهم في وظائفهم على الحصول على الامضاء وغير ذلك من الوسائل المخجلة والمفسدة للاخلاق التي عندنا كثير من الادلة على ثبوتها

سادتي : أخشى أن أكون أطلت القول عليكم وأمللتكم (الجميع أبداً أبداً)

وعلى كل حال فاني تعبت فاسديكم فائق شكري على حسن اصغائكم وارجوا الله أن يديم هذه الروح العالية فيكم حتى تنال بفضلها الحرية الكاملة والاستقلال التام

خطبة معالي الرئيس

في حفلة عيد النيروز الكبرى

تحت رعاية غبطة بطريرك الاقباط الارثوذكس وبرياسة سعادة ابراهيم باشا سعيد

صاحب السمو الامير الجليل ! أيها السيدات ! أيها السادة !

أقدم وافر شكري لحضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الاحتفال وحضرات أعضائه الكرام الذين هيأوا هذه الحفلة وجوزوا لي هذه الفرصة لاحدثكم ببعض الشيء عما يجول بخاطري بالنسبة لهذا العيد السعيد. ولقد أخجل حضرة الاستاذ مرقس بك حنا تواضعي بما نسبه الى من الفضل الذي لا أشعر به من نفسي بالنسبة الى القضية المصرية حقيقة أخجل تواضعي. جمل العبرة تختنقني مما قال ومما أملاه عليه لطفه وضميره لان اعمالى التي شاد بذكرها اليوم لم تكن شيئاً مذكوراً بالنسبة لعمل المصريين جميعاً. صغرها الذين قدموا أنفسهم ضحايا لحريتنا واستقلالنا كلما قارنت بين عملي وبين أولئك الذين كانوا يعرضون صدورهم لنيران خصومنا ويقولون اضربوا هذه الصدور «المطاوعة الوطنية» فلا نترك بلادنا ذليلة لكم. كلما قارنت بين عمل هؤلاء الابطال من رجال ونساء وبين عملي استحييت وأخذني الخجل من قول الاستاذ مرقس بك حنا انى كنت انا العامل في هذه النهضة العالية. لا بل هو عمل جميع المصريين. بل هو كما اعتقد عمل الاله الحكيم الذي اودع هذه الروح في قلوب المصريين جميعاً وهي علامة على ان الله سبحانه وتعالى سينيلنا حقنا ولو كره الظالمون

سادتي: قد تفضل حضرة الاستاذ بأن تكلم في المفاوضات والنزاع الذي وقع فيها بين الوفد المصري وبين غيره. وشفى الغليل بما قال. وانى اؤكد لكم ان منازعي في هذه المفاوضات لو كان استمد قوته وسلطته من الامة لكنت شاكراً له وجعلت نفسي في ركابه. ولكن الذي ينازعني في خصائصي لم يأت من قوة الامة ولا بسلطتها ولا بتوكيل منها ولكنه أتى من طريق الحماية

اختارته الحماية وعينته مفاوضاً. الحماية! الحماية! ماهي تلك الحماية؟ هي خصمنا، هي التي تنازعنا استقلالنا. تعين لنا مفاوضين فيأتى أولئك المفاوضون

ويقولون نحن وكلاء الامة لسلمنا صبغتنا منها . يأتي أولئك من خصومنا ويقولون نريد ان نترأس عليكم في المفاوضات لنصل بكم الى الاستقلال التام . شيء غريب جداً ! خصومنا يعينون المفاوضين عنا فالنتيجة أن خصومنا يفاوضون مع خصومنا كما قلت من قبل وا كرر القول الا ن ان جورج الخامس يتفاوض مع جورج الخامس . لهذه لم يكن مني وانا الامين على حقوقكم ان أنزل عن ارادتكم واسلم الرآسة لمندوب الحماية فتصبحون ولا مفاوض لكم ويتحتم ان تقبلوا ما يفرضه عليكم خصومكم . لذلك لم اقبل لاطمعاً في الرياسة كما تفضل ببيانه حضرة مرقس بك حنا حقيقة لان المنزلة التي تشرفت بها بين الامة أعلى منزلة في العالم ؟ والاستقبال الذي استقبلتم به شخصي الضعيف لم يسبق له مثال. بعد هذا ماذا يكون لي من مطمع ؟ لم يبق لي الا مطمع واحد وهو تحقيق تلك الثقة الذي كان هذا الاستقبال مظهرها. ولكن خصومنا اتخذوا القضية هزؤاً ولعباً. وجعلوها من المسائل التافهة التي يتنازع الناس فيها لشهوات واغراض . كلا ! ليس الامر كذلك انها مسئلة حيوية . حقيقة لايمكنني ولايمكن لواحد من زملائي الذين يعملون معي أن يفرطوا فيها لمجاملة اوالمحاباة أو « لنظاكة » . ان حقوق البلاد لاتقبل مجاملة ولا رعاية خواطر بل يجب أن يكون الانسان فيها متشدداً والا كان خائناً لبلاده كما قال الاستاذ مرقس بك حنا . وما اريد ان أكون خائناً (تصفيق حاد طويل)

بعد ذلك أرجع الى عيدنا . هذا العيد الذي نحتفل به هو عيد قديم كان يحتفل به آباؤنا الاقدمون منذ الاف من السنين وكان يوم عيد للجميع . ويحكي المقريزي بان اتخاذ هذا اليوم عيداً يرجع الى الحفيد الخامس لسيدنا نوح من زمان بعيد جداً ولكن العلماء يتساءلون لماذا يحمل هذا العيد وهو مصري محض اسماً غير مصري وأنما هو فارسي مركب من كلمتين « نيو » ومعناه جديد و « روز » ومعناها يوم فنيروز معناها يوم جديد ، وقد تساءل العلماء فيما بينهم كيف ان كلمة فارسية يتسمي بها عيد مصري محض يرجع الاحتفال به الى اسبق العصور واقدمها فلم يهتدوا الى حل ولكن حضرة الفاضل زميلي واصف بك غالي وجد حلا لهذه المسألة ولكن تواضعه لايجعله ينسب هذا الامر الى نفسه . قال أن هذا كما يظن يرجع الى صفتي التسامح والكرم اللتين امتاز المصريون بهما في قديم من الزمان فكما اعددنا لضيوفنا منزلة من الاكرام في قلوبنا كذلك أعددنا لالفاظهم

في لغتنا مكاناً. هذا هو التفسير الذي أعطاه هذا الفاضل وهو تفسير يروق لي كما يروق لكم لانه حقيقة مطابق لاخلاقنا وعاداتنا. نكرم الضيوف و ننزلهم عندنا منزلة الامان والسلام

ولكن المجاورة والعشرة تقضي في بعض الاحيان أن تحدث بعض الحوادث التي لا يرتاح كل طرف لها ومن هذا القبيل حادثة الاسكندرية التي حدثت أخيراً فان مثلها يحدث بين الاصدقاء والمتآخين بل بين الاقارب ولكنها لاتلبث أن تزول ويزول أثرها وبعد الكدر يعود الصفاء والسلام. سحابة صيف لايمكن أن تكدر الصيف كله بل عما قليل تنقشع. فحادثة الاسكندرية حدثت ويعلم الله أن ما من قلب استنكرها وأسف لها عند وقوعها أكثر من قلوبنا نحن المصريين. نحن الذين كنا نباهي ونفاخر في العالم أجمع بأن حركتنا قامت بلا وصمة تعصب ديني، ولا كراهة لاجنبي، ولا مساس لمصالح أجنبي تصدعت قلوبنا عندما مست اسماعنا اخبار الحادثة المشئومة وعلى أثر حدوثها قامت لجنة برئاسة الامير الجليل المشرف لهذا المكان (محمد علي باشا) فسعت جهدها في تهدئة الخواطر وفي القاء السكينة في القلوب واجتهدت في أن تجمع الكلمة — كلمة الكثير من الوطنيين والاجانب — على اصدار قرار للكل بترك الخصام واحلال الوئام محله فنجحت نجاحاً جيلا وصدر نداء بامضاء الكثيرين من الجاليات الاوربية ومن الوطنيين يدعو الى السكينة والهدوء فاستتب الهدوء وعادت المياه الى مجاريها من الوئام والسلام ونزلت السكينة على قلوب الجميع. وعلى أثر ذلك أصدرت الجاليات الايطالية بياناً أنتصفت لنا فيه من نفسها، ونصفتنا أيضاً أمام غيرها؛ واعترفت وأكدت بأنه لم يكن في قلوبنا كره للاجانب ولا تعصب لدين. ولهذا انتهز هذه الفرصة وابدي شكري لها على احترام الحقيقة؛ وكذلك أؤكد لها ولكل نزيل عندنا أننا لانضمر بغيضة ولا ضغينة للاجانب عنا، بل نبقى كما كنا محافظين على العطف عليهم وعلى حسن معاملتهم والوفاء لهم (تصفيق) وليس أحب لمصر وللمصريين عموماً من أن يكونوا مخاطبين بقلوب مصادقة، بأمم تحبنا ونحبها. بأمم نتبادل معها المودة والصفاء حتى الانكليز أنفسهم نود من صميم فؤادنا أن نضع ايدينا المستقلة في ايديهم الوفية ونعقد معهم اتفاقا يكون اساسه الاستقلال الصريح التام «الذي لاشك فيه» (تصفيق حاد)

عقب هذه الحادثة التي نأسف لها والتي اهتم لها الاوروبيون قناصلهم ووكلاؤهم عندنا واخذوا يجمعون الادلة لتبرئة رعاياهم مما عساه ان يلحق بهم ويدفعون غيرهم ممن يجيؤون اذا تتهم فان حكومتنا — ويؤسفني ان اقول — لم تفعل شيئاً من هذا القبيل مطلقاً كأن الذين قتلوا ، والذين جرحوا ، والذين اهينوا ، لم يكونوا من اهل تلك الحكومة . او كان تلك الحكومة لم تكن من اهل أولئك المساكين فلم تهتم لهذا الحادث مطلقاً ولم يتوجه أحد من اعضائها ليؤاسي جريحاً أو ليواسي أرامل وايتاماً . أو ليسأل ما الذي كان من قتل الوطنيين وهم اضعاف قتلى الاجانب ومن اسالة دماء الكثيرين منهم ، ومن امتلاء السجون بهم ، مع انه لم يكن في السجن اجنبي واحد .

لم تهتم الوزارة بذلك لانها كانت مشغولة بهدم الوفد المصري ، بل اغرب من ذلك انها لم تهتم بأن تستعلم عن التحقيق الذي جرى ولغاية الآن لم تعلن هذه الامة المسكينة بنتيجة تلك التحقيقات التي جرت في الخفاء ولم تعلم شيئاً عنها ، بل اقول لكم ان الحكومة المصرية نفسها لم تعلم شيئاً عنها على ما بلغني من ان كرزن تفضل على عدلي باشا واخبره بشيء من نتائج التحقيق ليستند اليه في بقاء الجيش الانكليزي بمصر .

ايليق هذا بنا . (اصوات كلا ؛ كلا !) حادثة يقولون ان لها تأثيراً كبيراً في مصيرنا ولا يهتم وزراؤنا الذين اخذوا على عاتقهم الدفاع عنا وعن استقلالنا بمعرفة الحقيقة فيها حتى يقولوا لخصومنا انكم تتهمون بهذه الحادثة وليس لكم حجة فيها ، بل هي حجة لنا على وجوب جلائكم .

لم يفعلوا شيئاً من ذلك لانهم ليسوا وكلاء الامة بل وكلاء الحماية وخدامها ولو كانوا وكلاء الامة ومستندين الى قوتها الهائلة لامكنهم ان يسألوا ، وان يعملوا ، وان يتخذوا من هذه الحادثة حجة لنا أو على الاقل أن يجتنبوا ان تكون حجة علينا ولكن اولياءهم وانصارهم يتبجحون ولا يستحون من ان يقولوا ان هذه الحادثة حدثت من المظاهرات . يريد هؤلاء الذين يدافعون عن استقلالنا أن يساعدوا المحتجين بها ضدنا فيقولون ان هذه المظاهرات كانت سبباً فيها . ولكن الله يعلم وانتم تعلمون وكل مصري يعلم انها لم تحدث من المظاهرات بل كانت اجنبية عنها وقد حصلت رغماً منا لغرض خاص وسيكشف الزمان عن اليد التي لعبت فيها .

ويقول التاريخ وتنطق الحقيقة قبل التاريخ بأنها لم تكن من صنعنا ورغم لارادتنا وان قلوبنا تقطر دماً لذكرها .

عقب هذه الحادثة «التي ابتدأت في ٢٢ مايو » بأربعة ايام اصدر اللورد اللنبي بلاغاً في ٢٦ مايو نشرته الجرائد قال فيه بعد ان اكد انه لا يتدخل في امورنا الداخلية وان حفظ النظام في النهاية يرجع اليه . (ان الحكومة الانجليزية تود أن يكون للصعوبات التي بين الامتين الانجليزية والمصرية حل مرض) فما هو ذلك الحل المرضي ولأي جانب يكون مرضياً ؟ وفي مصلحة من من الطرفين

لقد تكرم علينا مستر تشرشل بالجواب عن هذا السؤال حيث قال في خطبته المشهورة التي احتججنا واحتجت الامة عليها - « انه يجب بقاء جيش الاحتلال في مصر للمحافظة على حياة الاوروبيين وأموالهم وكذلك للمحافظة على الاصلاحات التي تمت تحت الأدارة الانجليزية مدة الأربعين سنة الماضية » قال هذا وزير المستعمرات ولكن عدلى باشا رئيس الوزارة المصرية الذي يعلم أسرار السياسة الانجليزية والواقف بالطبيعة على دخائلها قال لنا في بيان عن احتجاج لطيف قيل انه قدمه الى المندوب السامي وان هذا التصريح (تصريح وزير المستعمرات) لا يعبر الا عن رأي شخصي ! ! فهذا الوزير قال هذا في احتجاج ودي قدمه في الخفاء كما زعم لاننا لا نعرف من أمره شيئاً ولكنا عرفناه من جانبه ولنا الحق في أن نشك فيه لان هذا الاحتجاج لم يعلن للامة المصرية التي هي صاحبة الشأن الأول فيه

هذا الاحتجاج لم نر له جوابا . رئيس وزارة يحتج على أمر هام كهذا ولا يستلم جوابا (صوت يقول هذه حجة) حقيقة كما قال هذا الصوت حجة يراد بها التمهيد للدخول في المفاوضات . ولذلك فان رئيس وزارتنا تحادث مع بعض حضرات المحامين في الاسكندرية وكلفهم أن يعلنوا أن هذا السكوت عن الجواب يعتبر أقراراً بأن المستر تشرشل لا يعبر الا عن رأيه الشخصي . فرح الوزاريون بذلك وقالوا حقيقة ان احسن جواب لمثل هذا الاحتجاج السكوت (ضحك) وجدنا ان هذا الكلام بعينه أي التصريح الذي احتججنا واحتجت الامة عليه وجاء في خطاب من اللورد روزبري الى اللورد كرومر في سنة ١٨٩٣ يقول « انه يستحيل الانسحاب من مصر لضرورة المحافظة على حياة الاوربيين وعلى

أمو المهم ولضرورة استبقاء الاصلاحات التي تمت على أيدينا في مصر» هذه بالحرف الواحد ماصرح به اللورد روزبري ثم جاء المستر تشرشل بعد ثمان وعشرون سنة يكرر هذا القول ثم يجيب عنه العالم بخفايا السياسة الانجليزية رئيس وزارتنا ويقول مستر تشرشل اعماه برعن رايه الخاص وان قوله لا يربط الحكومة الانجليزية

ليس هذا كل شيء فقد سمعت وسمع عدلي باشا من اللورد ملنر ما يقرب من هذا المعنى ومع ذلك يقدم رئيس وزارتنا على أن يفسر تفسيراً أقل ما يقال فيه انه صادر عن خفة ورعونة لا تليق برئيس وزارة خصوصاً قبيل سفره للمفاوضة في أمر يتعلق بحياة الامة المصرية ومصيرها . فاي خفة ـ أن لم أقل أكثر من ذلك ـ صدر عنها هذا الاستنتاج

بعد أن سافر من هنا وقبل أن يصل الى لوندرا اجتمع المجلس الامبراطوري وقرر ماقرر وشرح من قراره ما فهمنا منه اننا ضمن الدائرة المرنة

وصل الى لوندرا رئيس وزارتنا . رئيس بعثتنا . رئيس وفدنا الرسمي الذي سيدافع عن حقوقنا فجاء اليه مكاتبو الجرائد يسألون عن موضوع بعثته ، قال لا استطيع الكلام حتي اقابل كرزن ، ولو كان وكيلا عن امة وليس موظفاً انجليزيا لنطق بمهمته وقال جئت لاطالب بالاستقلال التام أو «الذي لاشك فيه »

ولكن رئيس وزارتنا لا يملك حتي الكلام الا باذن ؛ قابل كرزن فماذا قال بعد أن قابله ؟ ماقال شيئا . فظهر ان كرزن لم يأذن أو انه لم يجرؤ على أن يستأذنه وماذا جري في المفاوضات ؟ لم يصلنا شيء ولكننا رأينا تصريحاً من لويد جورج رئيس الوزارة الانجليزية قال فيه : « اني متأكد وواثق من ان الاتفاق تم (وفي رواية اخري سيتم) على أن تعمل انجلترا مع مصر لخير مصر » أي أن تشترك انجلترا مع حكومة مصر في حكمنا . لم يقل عدلي في ذلك شيئاً حتي ولا أن لويد جورج كان يعبر عن رأيه الشخصي لم يقل لنا شيئاً مطلقاً ولكن الامة المصرية احتجت على هذا التصريح احتجاجاً شديداً ولا تزال تهيج ويجب ان تهيج لاننا لا نقبل مطلقاً أي اتفاق لا يشتمل على الاستقلال التام . ولكن في اثناء هذا السكوت العميق من بعثتنا راينا تلغرافات تأتي وحواشي الوفد ومكاتبي الجرائد يقولون فيها ان الوفد وقف موقفاً شريفاً جداً « الله يطيل عمره » « ادعوا له »

ولكن قولوا لنا ماهو هذا الموقف ؟ ! ان مستشاري الوفد اجتمعوا

جميعاً منه وقرروا قراراً مشرفاً لمصر عظيم جداً ولكن ماهو هذا القرار ؟ ! قيل إنهم يرجعون إليه بمصر . فلهم قالوا لنا بعد هذا أن مسألة حلول انجلترا محل الدول تأجلت فلم يعد للمستشارين القضائيين لزوم فتقررت عودتهم . وعلى رواية اخرى أنهم كانوا قد اجتمعوا ليقرروا جوابا على خطاب من كرزن يتعلق ببقاء الاحتلال فتداولوا وكتبوا ثلاثة مشروعات للرد ولكنهم لم يقرروا شيئاً . أهذا مشرف لمصر ؟ ! نعم في عرفهم لأنها وزارة سكوت والسكوت مشرف لنا (صوت يقول تكلمت) اسمع صوتا نعم تكلم عدلي باشا أخيراً مع الحاج خليل عفيفي التاجر بالزقازيق . فقد توجه الحاج خليل عفيفي الى صاحب الدولة وسأله السؤال الآتي (وتلا السؤال من جريدة الاهرام) وهو « ان الامة المصرية في ازمتها الحالية تشك في أن دولتكم قبلتم أن يكون مشروع ملنر قاعدة في مفاوضتكم مع الانجليز وهذا تثبيت للحماية المبغوضة والحكم الاجنبي الذي لا يرضاه كل حر يجري في عروقه دم مصري وان دولتكم سوف تعملون على تأليف جمعية عمومية الغرض منها الموافقة على تلك المعاهدة التي تبني على الاساس الذي قررت الامة بالاجماع أن لا تقبله قاعدة لمفاوضتها .

موضوع السؤال هل مشروع ملنر قاعدة للمفاوضات أولا ؟ اسمعوا الجواب : فتفضل دولته بالاجابة قائلا » (ان مهمته هي خدمة مصر قبل كل شيء وان غرضه الوحيد هو نجاح القضية المصرية وايسوءه مطلب الا استقلال مصر التام « الذي لا شك فيه ») وتفضل دولته أيضاً وذكر شيئاً من السودان فقال « ان مصر سيكون لها اليد العليا على السودان وفي وادي النيل من منبعه الى مصبه واذا لم يتمكن دولته مع زملائه من الاتفاق على ذلك فليس امام الوزارة حينذاك إلا طريق واحد وهو الاستقالة قبل أن تعرض على الامة مشروعا مخالفاً لرغبة الشعب ولا نزع انه الاستقلال التام »

هل هذا جواب على السؤال ؟ ! أين أساس المفاوضة ؟ ! هل يمكننا أن نستنتج من هذا ان المفاوضات جارية على أساس مشروع ملنر ؟ ! نعم وعلى أوهي منه . ولكن رئيس الوزارة يقول « ان عنده املا مبدئياً في النجاح ! ! امل مبدئي » من أين هذا الامل ؟ أمن التاريخ وقد عرفتموه ؟ ! أم من الحاضر وقد رأيتموه ؟ ! أم من تهدد كرزن وقد سمعتموه ؟ ! كنا نود أن نشارك رئيس

وزارتنا في هذا الامل ولكن اذا كان عندك هذا الامل فلماذا يعمل زملاؤك هنا على ارهاق الناس وارغامهم على أن يظهروا خلاف ما يضمرون؟ ! ولماذا تهددون اذا كان عندكم أمل في الاستقلال ؟ ! لتخعون اذا اتيتم بالاستقلال التام أن ترفضه الامة ؟ ! من أيديكم كلا ! ان الامة متشوقة اليه تشوق الظمآن الى الماء بل الغريق الى النجاة ، تقابل بالترحيب ، بكل السرور ومع كل الشكر كل من يأتي لها بهذا الاستقلال التام ، والواقف بين أيديكم يتشرف بأن يكون أول من يقبل يد من يحمل الاستقلال التام ولو كانت يد عدلي ، اذاً لماذا ترهبون اخوانكم ؟ لماذا تستعملون القسوة مع أبناء وطنكم ؟ لماذا تجرئون الغريب الاجنبي على أن يستخف بنا ، ويستبيح حمانا ، ويري استعمال القوة معنا هيناً ليناً ؟ لماذا تجرمون هذه الجرائم ؟ ولاي شيء تمهدون ان كان هذا هو قصدكم ؟ !

اليوم نشر منشور من وزير الداخلية يدعو فيه الى منع الناس من القاء خطب سياسية وتنفيذ هذا المنع بالقوة في المساجد حفظاً للنظام العام

النظام العام ! ! ما الذي أخل بالنظام العام من الخطب في المساجد ؟ ومتى كانت الخطب محرمة ؟ وانتم أيها الوزراء قد ندبتم رجلا من خدامكم ليلقي خطبة سياسية في مسجد بمدينة من مدن الارياف ولم يستطع أن يلقيها خوف غضب الشعب الا بعد أن احطتم المسجد بجنودكم واسلحتكم وصحبتموه بمديركم ورجالكم وان كنتم تحرمون الخطابة فلم استبحتم لانفسكم قهر الناس على سماع خطبة مسلحة تخالف ميولهم وتناقض معتقداتهم ؟ ! انما حظرتم الخطب لانها تؤلمكم وتكشف الستار عن مخبآتكم وتظهر من انتم ، وتحرك في النفوس الحماسة وتوطد العقيدة التي تريدون ان تنزعوها من صدور اخوانكم ولكنها ليست بمنتزعة ، والمنشور الذي أصدرتموه عقب الخطبة التي ألقيتها في الازهر الشريف يساوي عندي الف خطبة وخطبة . لانه يدل على انكم تأخذون الطريق على الحرية ان تظهر وعلى الشعور ان يبدو وعلى الامة ان تقول رأيها فيكم ولكنكم اذا منعتم الامة من ان تسمع الخطب في مسجد فستسمعها في كل مكان ، في بيوتها في خدورها ، في ملاهيها وفي كل مظهر من مظاهرها تبدي السخط عليكم وعلى أعمالكم

ولما شعرتم بأن قوماً من الاحرار سيفدون الينا ليروا مبلغ الحركة القومية

فينا ، والدرجة التي وصلنا اليها من المدنية والرقي ، وذلك الاتحاد الذي نباهي به والذي هو عدتنا وعمادنا ، لخذتم تفرقون الكلمة ، وتقسمون الوحدة ، وتحملون الناس على أن يقولوا ان الوفد ليس وكيلهم وانهم يسحبون منه الثقة لانه التجأ الى المستعمرين، واخذ اعوانهم ومأجوروهم يبثون في الاذهان ان اولئك الذين ينتصرون لنا لا يريدون الا استعمارنا وانهم انما يحضرون الا للاطلاع على شئوننا ، وليقولوا عنا اننا لسنا أهلا للاستقلال . هكذا قالوا . وبئس ما قالوا ولقد مولوا بما قالوا على سوء نيتهم

هؤلاء الاحرار قوم مبادئهم حرية الانسان والاقوام يرون انه لا حق لقوم ان يستعبدوا اقواما آخرين ولا حق لانجلترا على الخصوص ان تمد سلطتها على امم اخرى لان ذلك يجعلها في حرب دائمة مع تلك الامم ولانه يحمل الامة الانجليزية ضرائب لاقبل لها بها ولهذا السبب يكرهون ان يمتد سلطان امتهم علينا فهم يسعون جهدهم ليل نهار في ان يقنعوا حكومتهم بكل الوسائل بان لا تطمع في الاستيلاء على الامم الاخرى ، وان تترك الشعوب احراراً في البت في مصيرها . هذه مبادئهم ولذلك رأينا بل وجب علينا ان نطلب مساعدة هؤلاء ، كما تساعدنا بغيرهم من جميع الاقطار فنصروننا وكنا بانتصارهم لنا مباهين ومفاخرين ، وان سرورنا ليكون اكثر وفخرنا اعظم اذا وجدنا في بلاد خصومنا من ينتصر لنا . هذا هو الذي حملت انا واخواني عليه قبل اتفاقهم فصمينا لان نتعرف بالاحرار من كل أمة وملة فوجدنا في كل البلاد من قام بمساعدتنا كما وجدنا في انكلترا نفسها من الاحرار عدداً كنا نتمنى ان يكون كبيراً يرفع صوته في وجه حكومته لكل مناسبة مطالباً برفع الحيف عنا ورد حريتنا التي هي حق طبيعي للامم . ولقد نشر هؤلاء الاحرار في جرائدهم منشوراً استأذنكم في ان اتلوه عليكم ولو ان الوقت قد طال ولكني لا ارى للوقت قيمة في الحديث معكم في القضية المصرية (تصفيق) وهذا هو المنشور :

« وصل الوفد الرسمي الى لوندره ليعقد معاهدة محالفة باسم مصر مع بريطانيا العظمى وقبل ان يبدأ بالمناقشة في هذه المعاهدة وقبل ان يتحتم مرها نرى من المصلحة اذاعة بعض الحقائق التي تأكدنا صحتها مبينين النتائج التي تنجم عنها

١ ان هذه الجماعة المصرية ليست مطلقا وفد من قبل الشعب المصري وفوق

معينة من قبل الوزارة التي عينها السلطان الذي عينته الحكومة الانكليزية

« ان هـذه الجماعة غير ممثلة للراي العام المصري وفوق ذلك فان الاغلبية العظمى من المصريين تعارضها

« ان الوزارة الحالية تستعين بالاحكام العرفية (التي وضعتها بريطانيا العظمى على مصر سنة ١٩١٤ واستمرت للآن) لتضليق الخناق على الراي العام فى مصر ولانتزاع ثقة الناس بها وتأييدهم لها على كره منهم

« ان المفاوضة مع هذا الذي يسمونه وفداً لايمكن أن تؤدي الى حل مرض للمسألة المصرية ذلك لان الوزارة امتنعت عن اجراء انتخاب لجمعية وطنية فضلا عن استعمالها وسائل الاكراه التى ولدت العداء في قلوب اغلب المصريين وجعلتهم يعتقدون أن الوزارة ووفدها خاضعان لمراقبة الحكومة الانكليزية التي يتفاوضون معها

« ان وضع معاهدة على هذه الطريقة يجر الى اضطرابات لاحد لها وربما الى ثورة زد على ذلك احياء العداء في صدور المصريين نحو الانجليز مما يؤدي حتما الى زيادة الاعباء المالية على عاتق الشعب الانجليزي. ومن العبث اجبار أربعة عشر مليوناً من الناس على التسليم بمعاهدة أو حكومة لايرضون عنها

ليس هناك من وسيلة لعمل معاهدة يمكن للمصريين قبولها الا اجراء انتخابات عمومية بعد أن ترفع الاحكام العرفية : والجمعية التي تنتخب تعين وفداً ينوب عنها »

الامضاءات وعددها تسعة عشر (هتاف يحيي أحرار الانجليز)

هذا هو المنشور الذي أذاعه أولئك الاحرار ولكن صح للوزاريين وأشياعهم أن يدعوا بأن هؤلاء مستعمرون افن يطلبون هذه الطلبات المتحدة مع امانينا ومطلبنا مستعمرون ؟ ! ومن هم الاحرار اذ كان اصحاب هذه العبارات من المستعمرين ؟ ! انما انتم أيها الوزاريون المظاهرون للمستعمرين لا اولئك الاحرار

لما طلبنا كما طلب هؤلاء الاحرار عقد جمعية وطنية قال قائلهم ان هذا احلال للثورة محل النظام وتبعه في هذا القول رئيس وزارتنا في احد بياناته

هل يصح فى العقل ان جمعية وطنية ينتخبها الشعب باسم عظمة السلطان لتبحث مسألة خاصة وتنظر في أمر المفاوضة يكون طلبها احلالا للثورة محل النظام ؟ ! !

أليس هذا ادخل في باب الدستور وأبلغ في الدلالة على ميل الامة وارادتها من تلك التلغرافات التي تنشر في الجرائد ويطوف عمال الادارة والمديرون بها على الناس لامضائها منهم تارة بالتهديد وأخرى بالوعيد ومرة بالتذلل والانكسار؟

يقولون للناس ان حياتنا في امضائكم ، فان امضيتم بقينا في وظائفنا ، وان رفضتم قطعت ارزاقنا وجاعت أطفالنا ، هذا بعض ما يستعملونه في الحصول على الامضاء

ولا اطيل القول عليكم فقد اطلع حضرة زميلي الفاضل واصف بك غالي على مؤلف أقام صاحبه في مصر من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٥ وقال فيه بمناسبة عيد النيروز انه في هذا العيد كانت العادة القديمة ان كل قرية وكل بلد تنتخب ملكا لها لمدة ثلاثة أيام ثم يلبسون لباس الملك ويصير ملكا لمدة ثلاثة ايام وبعد ذلك يأخذون ثيابه ويحرقونها فتنتهي دولته ، فالوزراء هم ملوك عيد النيروز وسيسقطون عما قريب ويحرق ثيابهم وتنتهي دولتهم ...

أتلو هذه العبارة وأشكر حضرة زميلي على انه وجدها ، كما أشكركم كل الشكر وفوق الشكر على حسن اصغائكم لي واكرر الشكر لحضرة الاستاذ مرقس بك حنا نقيب المحامين وأرجو رجاء يحققه الله سبحانه وتعالى لانه صادر من قلب خالص — ان يوحد بيننا ، وان يزيل عوامل الشقاق منا ، وان يوفقنا الى ان نعمل ما به استقلال هذا البلد ، آمين



خطبة معالي الرئيس

في احتفال المنيرة يوم ١٣ نوفمبر سنة ٩٢١

سيداتي ، سادتي

أبدأ خطابتي باسم الله الرحمن الرحيم وأشكره على عودة صحتي الى اعتدالها كما أشكر حضرات جميع الذين تفضلوا بالسؤال عني اثناء انحرافها وأرجو لحضراتهم دوام العافية

سيداتي ، سادتي

ان للانسانية في مظاهرها المختلفة بين أفراد وجماعات ومذاهب وديانات أياما معيدة يؤرخ بها كل مظهر حياته ويعتبرها عيداً له ويحتفل بها في كل دورة من الزمان تذكراً لما وقع بها من الحوادث الخطيرة الشأن التي لم يسبق لها عنده من مثال ، كأن هذه الانسانية محتاجة في حمل أعباء الحياة بنشاط وقوة الى تذكر ما احرزت من نصر وما أدركته من نجاح في أيامها السالفة

ان العيد الذي نحتفل اليوم به يمتاز عن أمثاله بكونه ليس علامة انتصار حزب على حزب أو فوز طبقة على طبقة من امة واحدة ولا علامة قهر بلاد لبلاد أخرى بعد مقاساة آلام حرب دموية هائلة لا تلد الا العداوة والبغضاء ولكنه عيد سلمي هادي ، عيد حرية تعتمد في انتصارها لا على القوة الغاشمة بل على قوة العقل والعدل والحق وعلى الارادة المتحدة القائمة بشعب متجانس عزيز وشاعر بقوته

أيها المصريون : علينا أن نشهر يوم ١٤ نوفمبر ونحتفل به بكل اعجاب وفخار اذ لم يمض على الهدنة يوم اذ حتى نهضت مصركم العزيزة امام من نادوا بأنهم حاربوا للعدل ، نهضت تطالبهم بقسطها من هذا العدل ، لم تتقدم لهذا الطلب في ثياب ذلة ولا مسكنة ولم تطلبه حسنة — من محسن ولا جوداً من كريم ولكنها تقدمت به وعليها حلة من مجدها السابق ، حلة موشاة بالمساعدات والضحايا التي بذلتها في سبيل القضية المشتركة اذ قدمت مليوناً ومائة الف شخص لمساعدة المحاربين وقدمت حكومتها ثلاثة ملايين وخمسمائة الف جنيه على سبيل الاعانة

للحرب وقدم أهلها مبالغ عظيمة اعانة للجرحى وغيرهم ووضعوا تحت تصرف الحلفاء جميع محصولاتها ودوابها وطرق مواصلاتها ونقلها ومواهب ابنائها. تقدمت لمن فازوا بالنصر في الحرب الكبرى كشريكة لهم في الحرب وصديقة في تحمل آلامها وتقدمت الى الانكليز غداة انتصارهم بصفة كونها من اكبر عوامل هذا الانتصار في الشرق وكدائنة لهم بوعود الشرف التي تعهد بها ساستهم وابطالهم

نحتفل اليوم بهذا العيد في بلادنا وسيحتفل به ان شاء الله في غير بلادنا حيث ترفع اعلام الدول المتحاربة احتراماً لمعناه . واكراماً لمغزاه (تصفيق)

ومهما تكن حالنا من سعادة أو شقاء . من سراء أو ضراء فان علينا احياء ذكرى هذا اليوم . وليكن بيننا يوم صدق وأخاء . يوم صدق ووفاء . يوما يرجع فيه كل مصري الى نفسه فيحاسبها على ماقدمت من خير فيستزيد منه . ومن شر فيستغفر له . ويأتي ربه فيطلب منه المعونة على تحقيق آماله واعزاز بلاده . والى وطنه العزيز فيجدد له قسم الصداقة والمحبة والفداء (تصفيق حاد)

سادتي — ما الذي حدث بعد يوم ١٣ نوفبر الماضي الذي احتفلتم به عند ما كنا بباريس ، وتبادلنا مع الامة بواسطة اللجنة المركزية عبارات التهاني والتمنيات القلبية

يجب أن نستعرض حوادث العام الذي أزمع الرحيل عنا ولو على طريق الاجمال وكنت أود أن يخلوا كلامي مما يمس بمن اشتركوا معنا في النهضة التي نحتفل اليوم بعيدها ولا يكون فيه الا مايختص بالاعتراف بفضلهم والثناء على عظيم جهادهم ولكن للتاريخ حكما يجب احترامه وللحقيقة سلطاناً تلزم طاعته، ولاعمال هؤلاء بعد قيام هذه النهضة مالا يمكن غض النظر عنه لما له من الدخل الكبير في صعوباتنا الحاضرة ، وواجبي فيكم بصفة كوني وكيلا عنكم يحتم علي أن أقدم لكم حساباً صادقاً عن وكالتي وان أصارحكم القول من غير مداجاة ولا مجاملة اذ لا مجاملة في الحقوق العامة ولا هوادة في حساب وكلائها(تصفيق وهتاف : فليحيى الوكيل الأمين)

خصوصاً وقد كثر القول في هذه الايام عن شيء يسمونه صلحاً واتحاداً فوجب التذكير بهذه الاعمال ليتبين للذين يبدون هذه الاقوال عن حسن نية ان الخلاف الذي يدعون بتلافيه ليس مضراً بالبلاد ضرر الاشتراك بين العاملين

الذين اختلفت مبادئهم وتباينت مناحيهم

تعلمون اننا عدنا الى باريس بعد انقطاع المفاوضات بين الوفد ولجنة ملنر في ١١ نوفمبر وان الذين عرضوا المشروع عليكم لم يعرضوه بالنزاهة التي توجبها عليهم الامانة والصدق وبذلوا كل جهودهم في استمالتكم الى قبوله وفي اظهاره لكم بمظهر مشروع استقلالا لاحماية واننا حرصنا على هذه التحفظات وعرضنا على لجنة ملنر بحثها فأبت النظر فيها وصممت على أن يكون بحثها اثناء المفاوضات الرسمية التي صرحت بضرورة الدخول فيها على أساس مشروعها واننا قررنا أن لاندخل فيها على هذا الاساس الا بعد تعديله بهذه التحفظات ، واننا صرحنا للجنة ملنر شفها وكتابة بانه لايوجد مصري للامة أقل ثقة فيه يخالف هذا القرار ، ولقد تلقينا بعد ذلك من كل ناحية من انحاء البلاد تلغرافات كلها استحسان لهذه الخطة وتشجيع على التمسك بها ولكن الذين حاولوا من أعضاء الوفد سراً وعلناً ترويج ذلك المشروع لم يوافقوا على ذلك القرار الا اضطراراً لأن الاغلبية كانت ضدهم . وخشية غضب الامة عليهم اذا جاهروا بخلافه ولهذا كانت تلغرافات استحسان هذه الخطة تقع عليهم وقوع الصواعق وتطير لـ[illegible] الوانهم ، وكانوا يجتهدون هم وعدلي باشا بكل مافي وسعهم لاقناعنا بقبول الدخول في المفاوضات على أساس ذلك المشروع . ولكنهم كانوا يرونني ومن اخواني المخلصين تشددا في التمسك بتلك الخطة ، واصراراً على التزامها ، ولم يكن مسعاهم هذا ولا خلافهم بخاف أمره خصوصاً على الانجليز وعلى الاخص اللورد ملنر فان جرائدهم كانت تتكلم به من وقت لآخر بلهجة تعطف على المخالفين وتقسو على غيرهم ، وكتب لورد ملنر الى أحد أصدقائه يشكو اليه من تشددنا ويرجوه أن يستعمل ماله من الصداقة معي في اقناعي بقبول مشروعه قائلا انه لم ينجح في اقناعي بصحته كما ان كثيراً من اخواني الذين يطلبون مطالبي لم يفلحوا في سعيهم لهذا الاقناع ، ثم توالت التلغرافات باخبار هذا الانقسام وبما كسب عدلي للوفد في خطته وبانه كان كارثة عليه مما أثار الشكوك حول هذا الباشا وحول خلاصه فرأيت من حسن السياسة منع عدلي من المجاهرة بالميل للانجليز ومنع الانجليز من توهم أن في المصريين من يجرأ على قبول مشروعهم ، رأيت أن افعل ذلك بالدفاع عنه ضد تلك الاشاعات مقابل أن يتعهد هو بكونه لن يعمل عملا الا

بالاتفاق مع الوفد وبناء عليه أرسل هو تلغرافا بهذا التعهد، وأرسلت أنا تلغرافا بنفي تلك الاشاعات عنه ، وهو ما تؤاخذني الامة عليه ، ولكن عذري فيه هو ما تقدم ، وهو عذر ان لم يمح الخطأ كله فهو من الظروف المخففة للوم عليه . ولكن عدلي عاد الى مصر وما لبث حتى أخذ اصحابه واذنابه يبثون في الناس فكرة استحسان الدخول في المفاوضة على أساس مشروع ملنر ، واستعانوا في ذلك بالكتابة في الجرائد والاقوال في المحافل والوشوشة في الآذان ، كان هؤلاء يفعلون ذلك في مصر بينما كان نصراء المشروع من اعضاء الوفد بباريس يسعون لدينا ليل نهار في تحسين هذه الفكرة بطرق مختلفة ويتخذون من سياسة الوزارة النسيمية وسوء تأثيرها حجة على هبوط الروح المعنوية في البلاد والى وجوب الاتفاق قبل ان يبلغ ذلك الهبوط مبلغه ، ويستكتبون اصدقاءهم واقرباءهم خطابات لنا ولهم يشكون فيها حال الضعف في الهمم والهبوط في العزائم وتدعو الى قبول مشروع ملنر ، ومن هذه الخطابات ما نشرناه ومنها ما لم ننشره ، ومن هذا خطاب ورد علي من عدلي باشا في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٠ يقول بأن هناك حركة ترمي الى تحويل الرأي العام الى وجهة اخرى يخشاها العقلاء ويرون ان الانكليز ربما لا يعطوننا منها حتى اقل من مشروع ملنر ، فلم أحفل انا واخواني بهذه الكتب وعلمنا بأنها دسائس مدبرة لاستمالتنا الى أن نتفق معهم على أن نؤيد الحماية التي أمتنت مصر على السعي في ابطالها (تصفيق) واخيراً أراد اصحابنا أن نعضي نداء يعلن الثقة بعدلي ويصرح بأن الوفد لا يدخل بنفسه في المفاوضات الا بعد تعديل مشروع ملنر بالتحفظات التي ابدتها الامة ولكن اذا قامت وزارة بيدها تصريح يتضمن الوعد بأن الغاء الحماية يكون اساساً من الاسس التي تبنى المفاوضة عليها فان الوفد يؤيدها في المفاوضة ، ولما كان لا معنى لهذا النداء الا ان الوفد لا يثق بنفسه وانما يثق بتلك الوزارة التي هي وزارة عدلي وان يكون مسئولا عن المفاوضات من غير أن يكون له دخل فيها ، رفضت امضاء هذا النداء لكونه غير مفهوم ولا قابل للفهم ، فلم يسع المنشقين الا أن عادوا بالطريقة التي تعرفونها ، ولم يسعني الا أن نبهت الافكار الى سوء الفكرة التي نبتت في رءوسهم بالتلغراف الذي نشرته بعض الصحف هنا ولكنهم لما عادوا ورأوا من سوء مقابلة الامة لهم ما رأوا لم يروا ان يؤيدوا فكرتهم بل اصدروا بياناً

اكدوا فيه تمسكهم بقرار الوفد وصرحوا فوق ذلك بأنهم لايؤيدون أية هيئة تدخل المفاوضة الرسمية الا اذا كانت متفقة مع الوفد في مبدءه وخطته ، اصدروا هذا البيان ولكنهم لم يعملوا به وسعوا بطرق مختلفة ضد تنفيذه وترويجاً لفكرتهم التي عادوا بها وهي العمل ضد الوفد ورئيسه وترويج فكرة وزارة الثقة ووجدوا من ضعاف العزائم والهازلين . والمجردين من الضمائر ، والطامعين وممن ملوا العمل وقطعوا الامل من ظاهروهم في سعيهم وتضامنوا معهم على بيع البلاد بالراحة والهدوء وقضاء الشهوات الدنيئة في ظل الحماية والاستعباد وساعد ذلك على ان خلقوا جوا من الملل والاستسلام الدنيء . هنالك رأى الانكليز ان الفرصة سانحة لتنفيذ مشروع ملنر الذي علقت جرائدهم على قبوله اهمية كبرى ، واعتبرت اهمها سقوطه نكبة عظيمة على الامبراطورية البريطانية فاصدرت الحكومة الانكلبزية بلاغاً اعتبرت فيه الحماية علاقة غير مرضية وأشارت بتعيين مفاوضين رسميين لاخذ رأيهم في مقترحات اللورد ملنر استبدال الحماية ان أمكن بعلاقة اخرى تضمن مصالح الانكليز وتمكنهم من ان يضمنوا المصالح الاجنبية في مصر ،وقدم جناب اللورد اللنبي هذه الدعوة بتاريخ ٢٦ نوفمبر الى عظمة السلطان ، وفي ٥ مارس قدم عدلى باشا الي الوكالة البريطانية التقرير المشهور الذي اشار فيه الى شروط المفاوضين وضرورة تقسيم الوزارة الى قسمين قسم يباشر المفاوضة في لندن والآخر يبقى هنا لتوجيه الراي العام الوجهة التي يريدها القسم الاول ، وفي ١٦ منه سقطت وزارة نسيم وكان من ضمن المساعي التي بذلت لاسقاطها عرائض أخذ المنتفعون يستكتبونا الناس عليها بأنها لا تصلح للبقاء لأنها وزارة ادارية وان اللازم أن توجد وزارة سياسية تثق بها البلاد ، وفي ١٧ منه تشكلت الوزارة العدلية

لم يعلني عدلي باشا بالاجراآت التي سبقت تشكيل وزارته ولا بالظروف التى قبلها فيها ولا بأسماء أعضائها الا بعد أن قبل تشكيلها خلافا للتعهد الذي تعهد به وسبقت الاشارة اليه ، ولما بعث الينا بتشكيلها وبيانها أرسلت اليه في الحال تلغرافا بالشروط التي يقبل الوفد الاشتراك معه في المفاوضة عليها وبعزمي على العودة لمبادلة الآراء فيها وأردت نشر هذا التلغراف على الامة فأبت المراقبة نشره بأمر الوزارة فاحتججت على هذا المنع واعتبرته أول عمل عدائي من

الوزارة ثم غدت الى مصر ولما علم عدلي والمنشقون عزمي على العودة سعوا غاية جهدهم بطرق مختلفة في منعي منها ولكني لم احفل بنصح من استعانوا بهم على اقناعي بالعدول عنها ، وعدت في ٤ ابريل وكان من استقبال الامة لي ما عجزت وأعجز عن القيام بواجب شكرها (تصفيق حاد)

ولشدة امتعاض الامة من الوزارة السابقة ولما في اخلاقها من الميل الفطري الي التسامح ولما وجدته في بيانها من الوعود الخلابة ومن التعهد بالتمشي علي ارادة الامة واشتراك الوفد معها في المفاوضات لذلك كله قابلتها بالارتياح والترحاب . عدنا وشعرت من نفسي ان ليس هناك محل لان يكون في صدرى غل أو حقد أو غضب على أحد وانه يجب علي أن لا أكون لشخصي بل أكون لامتي وحدها (تصفيق حاد) ولم أشعر بأن لى كرامة غير كرامة امتي ولا شخصية غير شخصيتها وأحسست باني متفان فيها وهي متفانية في (تصفيق حاد) ورأينا من الواجب علينا ان نحسم كل خلاف وان نعمل على تأييد الاتحاد في الامة وان نوجه كل مجهوداتنا للسير الى الغاية التي ننشدها ولهذا فأنه مع علمنا بما كان من المخالفين لنا من زملائنا بعد عودتهم من باريس ومن دس الدسائس ضدنا والطعن سراً وعلناً في حقنا وفي اسناد أشنع القبائح لنا واختلاق افظع الاكاذيب علينا . ومع حصولنا من الوفد على قرار بفصل من أخلوا منه بمبدأ التضامن بيننا وحنثوا في ايمانهم التي بذلوها امامنا . رأينا أن نعتذر لهم عن خطاياهم (تصفيق حاد) وان نسعى لاسترضائهم عنا ففعلنا ذلك بكل سرور وصرحنا في خطبنا بكل مايرضيهم مما لم يعد خافياً على أحد ولكن ماذا حصل بعد ذلك ؟ اجتمعنا بهم وتداولنا معهم في الشروط التي وضعناها للمفاوضه وعدلنا بعضها طبق مارأيناه من ميلهم وميل اصدقائنا وذوي الرأى فينا . وبعد أن اتفقنا معهم على هذه الشروط اعلناها الى الوزارة ولكن الوزارة لم تقبل في الحقيقة أي واحد من هذه الشروط كما تبين من محادثة رئيسها المنشورة في جريدة الاهرام ولكنها تظاهرت بقبول بعضها دون البعض الاخر . ولما اعلنني رشدى باشا رسمياً بأنها لم تقبل الشرط المتعلق بالمرسوم السلطاني ولا المتعلق بالرئاسة . رأيت من واجبي رفض الدخول في المفاوضة وكان من الطبيعي ان الذين اشتركوا من زملائي في وضع تلك الشروط التي رفضتها الوزارة أن يتضامنوا في نتائج رفضها

ولكنهم عوض أن يتحدوا معي ضد الوزارة التي رفضتها انشقوا عني وعن بقية اخوانهم وانحازوا اليها وأيدوها بكل مافي امكانهم وكأنهم لم يتفقوا على تلك الشروط الا ليختلفوا عند رفضها

نعم لم يكونوا مخلصين في تقريرها لانهم كانوا يشتغلون مع الوزارة ضدها فان الجرائد الوزارية واذنابها كانوا يجتهدون كل الاجتهاد فى منعنا من مباشرة المفاوضة وتبين لنا من هذه المساعي التى شعر كثير من الناس بها ان دعوة الوزارة لنا للاشتراك فى المفاوضة لم تكن الا فخاً لتصيد به ميل الامة اليها والترحاب بقدومها ، والا فما الذي تم فى تلك الوعود التي وعدت الامة بها

إنها وعدت بالغاء المراقبة على الصحف فبرت حقيقة بوعدها والغتها ولكن بعد ان اشترت أغلب الجرائد العربية والافرنجية . وبعد ان بعثت قانون المطبوعات من قبره وعلقت المادة ١٣ منه فوق رقاب بقيتها فكان خطرها أشد من الرقابة نفسها فتمكنت بها من انذار صحف والغاء اخرى ومن تهديد البقية اما الاحكام العرفية فبقى سيفها معلقاً فوق الرؤوس وطبقوها بأقصى مايكون من الشدة . ولكونها هي القوة الوحيدة التي تعتمد الوزارة عليها في بقائها في مراكزها ابي رئيسها على اللورد اللنبي الغاءها عند ماعرض عليه ذلك . ثم بعثت قانون التجمهر وطبقته بكيفية لم تخطر ببال واضعيه . وقمعت المظاهرات لما هتفت لغيرها وعبرت عن الشعور ضدها واطلقت يدها في الموظفين تعاقبهم على مايبدون من الآراء المخالفة لآرائها من الانذار وقطع المرتب والايقاف والنقل الى مكان سحيق والرفت من الوظيفة وفي الاخلاق فعممت التجسس ونشرت الفساد وحكمت الاستبداد . اما التمشي على ارادة الامة فقد وفت به بان الفت البعثة الرسمية بمساعدة الحماية رغم ارادة الامة من اعضاء لم يكن لهم ماض معروف في الاستقلال ولا فيهم صفات تلائمه وسفرتها تحت حماية القوة الاجنبية،وبالدماء التي اراقتها في طنطا واسكندرية واسيوط وجرجا كتماً للشعور وخنقاً للعاطفة الوطنية

ان الوزاريين لما اشتد الخناق بهم . وتحرج مركز الوزارة بسخط الامة عليها ذلك السخط الذي كانت تعبر عنه المظاهرات المتوالية في عواصم القطر ومدنه التجأوا الى الاراجيف يبثونها فيأذهان الاجانب ، والى المخاوف يلقونها

في قلوبهم حتى كانت جرائدهم تبديها وتكررها في الوقت الذى لم يكن حدث ما يكدر خاطر أى أجنبي بل كانت المظاهرات التي كانت تمشي في عرض البلاد وطولها تهتف لهم ويهتفون لها في هذه الظروف حدثت حوادث الاسكندرية فسرعان مارحبت بها الجرائد الوزارية وأخذت تؤكد من قرب ومن بعد ان الوطنيين هم السبب في تلك المظاهرات وتشير الى مسئوليتنا عنها والله يشهد انهم لكاذبون . فلقد كنا اول من استاء لها وفزع لاخبارها واستشأم منها واذا صح ان يكون المستفيد من الجريمة هو المدان بها يكونون هم وحدهم المسئولين عنها

فقد اتخذ منها الوزاريون سنداً للوزارة يؤيد الوزراء في مراكزهم وكان المذ قون في مقدمة الذين يبعثون تلك المخاوف ويومئون الى هذه المعانى في بياناتهم وخطاباتهم. وفي الحقيقة ان ساعد الوزارة اشتد من وقت هذه الحوادث واشتدت وطأتها على الوطنيين فأخذت على الحرية كل منافذها ، وعلى الاستقلال كل مظاهره وعاقبت كل هاتف بدرب الرصاص ومنعت من دور التمثيل ومن الاحتفالات ومن كل الاجتماعات العامة كل ماينجلى فيه هذا الشعور أو ما يحركه فى الصدور

ماأخبث نيات الوزاريين وما أجرم اعمالهم ! ان تاريخهم لم يكن الا مجموعاً مؤلفاً من اشنع الجرائم وافظعها وهو يزداد كل يوم ضخامة وفظاعة بما يضاف اليه في كل حين من الجرائم ضد الحرية والشرف والحياة . انهم فى تقسيم انفسهم الى قسمين ، قسم يساوم على حقوقنا ، وقسم يوجهنا بتلك الاعمال القاضية على الحرية والاستقلال الى مايريده القسم الاول من الوجهات أشبه بعناصر الاشقياء فى تقسيم انفسهم الى فريقين فريق يباشر الجناية واعمالها التنفيذية ، وفريق يراقب الطريق ويمنع الناس من الصياح خلف السارق والقاتل

آه مسكينة مصر ، انك كنت لامحالة ضائعة لولا بصيرة نيرة في أبنائك وانتباه شديد في أفكارهم ، وقلوب قوية في صدورهم ، ما انبل هؤلاء الابناء وما أعلى شهامتهم وما أبرهم ، انهم ضموا الى احتقار الخطورة ازدراء الظالمين وأكرموا الاجنبي وأحسنوا مجاملته ، ان فيهم شجاعة ، وفي عقولهم مدارك تزن العواطف ، وفي قلوبهم عواطف تشرب معقولاتهم لينا ورحمة ، لقد سنحت

لى في هذا العام فرصتان لمطالعة هذه الصفات الجليلة الوراثية والاعجاب بمبلغها من نفوسهم ، الاولى عند حضور النواب الاحرار والثانية عند رحلتنا الى الوجه القبلى

حضور الاحرار

ان الوزارة ألفت البعثة الرسمية ضد أرادة الامة ولكنها أرادت أن تتظاهر بأنها حائزة على ثقتها فاستكتبت بواسطة عمال الحماية عرائض ثقة بها واستعمل هؤلاء العمال كل وسيلة من الاكراه والحيلة لاستكتابها كما استعملوا كل وسيلة لمنع الناس من ابداء الثقة فينا شفها أو كتابة وتوالت وقائع الاختلاس والاكراه وفاضت انهار الجرائد الصادقة بأخبارها واتصل علمها بالنواب الانكليز من أحرار وعمال فاستاؤا لها وأخذوا يوجهون الاسئلة لحكومتهم في مجلس النواب عنها . وانبرت طائفة منهم للدفاع عنها

ونشروا في الجرائد بلاغا بالتنديد بالبعثة الرسمية وبكونها لاتمثل الامة وبوجوب انتخاب جمعية وطنية لاختيار المفاوضين وبضرورة الغاء الاحكام العرفية والقوانين الاستثنائية . فلم تكد هذه الاسئلة توجه . ولا ذلك البلاغ ينشر حتى قامت قيامة المنشقين والوزاريين فنادوا بالويل والثبور . وعظائم الامور . وضياع استقلال البلاد بفعلنا وأخذ عمال الحماية يحملون الناس على التحرش بنا وسحب ثقتهم منا فلم أحفل بهذه الصغائر . ولا بتلك الصبيانيات لعلمي ان الامة ليست هي التى أمضت على تلك العرائض ولا ترضى عن كتابتها بل لعلمي ان الامة معي في الشعور وانى ان لم أكن رئيسها فانى خادمها معبر عن شعورها (تصفيق حاد وهتاف شديد) لم نحفل بنعيقهم ولم أعر سمعا لعوائهم ومضينا في سبيلنا فشكرنا الاحرار على صنعهم ودعوناهم لزيارتنا ليشاهدوا بأنفسهم ما اتصل باسماعهم فحضروا اجابة لدعوتنا ولنداء ضمائرهم الحرة ولكن وزارتنا — وزارة الثقة — عند ماشعرت بعزمهم على زيارتنا اضطربت أعصابها وارتعدت فرائصها لانها علمت انهم سيكونون شهود عدل على جورها وعسفها فسعت لدى الحكومة البريطانية في منعهم بحجة ان حضورهم يكدر صفو الامن في البلاد ، ولم تخجل مما يترتب على هذه الحجة من اظهار شعبنا بمظهر

شعب متوحش ، أحمق ؟ قاسي القلب ، أهل لان يهيج ويثور ويسفك الدماء ويزهق الارواح لالشيء سوى ان أربعة او خمسة من الانجليز — أربعة او خمسة من الاحرار ذوى القلوب الطيبة والنفوس الكريمة أجابوا نداء ضمائرهم الحية وكلفوا أنفسهم مشقة الحضور الينا للوقوف على الحقيقة فينا

أية وزارة في العالم جديرة بهذا الاسم تجترىء أن تستعين بحكومة أخرى للمحافظة على الامن في بلادها لانها هي عاجزة عن حفظه عندها . اية وزارة امينة تظهر امتها بهذا المظهر الشنيع خصوصاً في الوقت الذى تزعم فيه انها تسعي لامتها في الاستقلال التام . ولكنا لانستغرب كل هذا من وزارة اجترات في حوادث الاسكندرية أن تستعين بالجيش البريطاني وأجترأ رئيسها في حديثه مع مكاتب الديلي ان يقول تبريراً لهذه الاستعانة النادرة انه اذا كانت النار مشتعلة فالأفضل أن يكثر عدد المطافىء فسرعان ماشاطر المستر تشرشل عدلي باشا في هذا الرأى وصرح في خطبته عقب ذلك بضرورة ابقاء الاحتلال ليتمكن من اطفاء الحرائق التي تهدد بالتهابها الاجانب ومصالحها

لم تتمكن الوزارة من منع هذه الزيارة فانتظرت أن يحدث عند وصول الزائرين الى الاسكندرية أو مصر حادث يصلح ان تتخذ منه حجة على صحة سعيها الاول والتخلص من شهود يكشفون الستار عن حقيقة أعمالها فلم يحقق الله ظنها ولم يحدث ذلك الحادث رغم ماتحرش به البوليس من الاعتداء على الناس بفضل رزانة الشعب وحكمته

فبادرت بمنع زيارتنا وزيارة أولئك الاحرار الى طنطا ولكن الله عكس القصد من هذا المنع عليها اذ به علم الناس عظيم ما أعد من الاستقبال وضخامة شأنه وجلالة قدره وشدة ولائمة على سخط الناس عليها . وكان لهذا المنع عندهم أسوأ أثر

والخيبة ظنها فيما توقعت . وسوء اثر ما منعت تيهت وأرادت ان تستفيد من الدروس التي ألقتها الظروف عليها . ومن حكمة الشعب

فمنذ ماعلمت بعزمنا على السياحة في الوجه القبلي لم تترك نفسها في هذه المرة للصدفة تخلق لها الحوادث التي تساعد على بلوغ غايتها وتولت بنفسها خلقها فابتدأت ان تحول بيننا وبين سكان شاطىء النيل عند مرورنا بهم وحرمت عليهم

الخروج لاستقبالنا . وحملت مدير كل مديرية يدعو ننا اهلها لزيارتهم أن ينشر في دائرته منشورات بمنع التجمهر والمظاهرات وذهب بعضهم الى التهديد بقمعها بضرب الرصاص كما استكتبت بعض اهالي هذه المديريات تلغرافاً بوجوب منعنا من الزيارة :

تلغرافات لم يعهد لها مثيل في جميع البلاد عموماً وفي بلادنا خصوصاً .فعلت ذلك لتتخذ لها سنداً لمنعنا من الزيارة ولم تكتف بكل هذا بل جمع أنصارها في اسيوط تحت نظر رجال الادارة فيها عصبة من ذوي الشرور والفجور لكي تكدر صفاء الراحة عند قدومنا

وعند ما اقتربنا من المرسى هب هؤلاء من مكامنهم واثخنوا في المحتفلين ضرباً بالعصي . ورمياً بالرصاص وتغريقاً في الماء . وهدموا مانصب من الزينات وخطموا ماكان منتظراً لركوبنا من العربات ومدوا أيديهم الاثيمة لجيوب بعض المستقبلين فاستلبوا منهم اموالهم . ولما اتموا جريمتهم ذهبوا من حيث اتوا آمنين مطمئنين . وعقب ذلك أمرت الادارة البوليس بمنعنا من النزول حفظاً للنظام العام . فامتنعنا لا خضوعاً لهذا الامر لكن خشية اتقاد نار الفتنة التي شعرنا انهم يريدون الهاب سعيرها على أن رفقائي نزلوا الى مكان الاحتفال وقرا حضرة زميلي مصطفى بك النحاس على الحاضرين كتاباً مني اليهم . ولما رأوا في نزول رفقائي تفويتاً لقصدهم . وتخييباً لاملهم مدوا منعهم فيما بعد ذلك على جميع من كان في الباخرة الا مكاتب المورننج بوست الذي كان مصرحاً له في كل عاصمة ليلتقي بالمفتش الانكليزي ويتفق معه فيما يظهر على ماراسل به جريدته . ولما اقتربنا من الشاطيء في سوهاج وجرجا ومنعنا من النزول فيها توافدت علينا الجماهير من كل ناحية في المراكب والزوارق مشاة وركباناً والتفوا بنا فرأينا ان نطل من السفينة و نلقي عليهم بعض الكلمات التي أحسنوا استماعها وهتفوا للحرية والاستقلال عقب القائها هتافاً كان وقراً في اسماع الوزاريين فلم يلبثوا حتى حملوا على المستقبلين في جرجا وفرقوهم واطلقوا عليهم الرصاص ثم صدر الامر بعد ذلك بتعميم منع زيارتنا من كل عواصم الوجه القبلي ومدنه . ومن الرسو في اية جهة يخشون على الامن فيها ، وجمعوا جميع ما تحت تصرفهم من خفراء وعساكر وبوليس ووضعوهم في كل جهة ظنوا اننا ندنوا منها وألزموا الاهالي بواسطة

هذه القوى المختلفة بالبقاء في منازلهم وعدم الخروج منها الى الشاطيء ومن لم يفعل اهانوه بالضرب وغيره ولكن هذه الاجراءات على شدتها والقيام بها في كل الجهات لم تؤثر الا عكس المقصود منها ، فاننا كنا نرى الجماهير من بعيد تتسابق الى الدنو منا ، وتتنافس في تحياتنا ، ونسمع الاصوات مرتفعة بالهتاف لنا ولاستقلالنا ، كما كنا نسمع الشكوى المرة من استبداد الادارة واعتسافاتها

وهكذا قامت من أعمالهم حجة عليهم وأى حجة اقطع من ذلك الاعتداء المتكرر على الحرية من تلك الضربات التي توالت على اجسام المستقبلين من تلك الجروح التي فتحت في ابدانهم ومن التغريق في الماء ومن ضرب الرصاص واسالة الدماء وازهاق الارواح ؟ أي برهان اسطع على اجرامهم من تلك التقارير الرسمية التي قدمها مدير اسيوط ومدير جرجا والمفتش الاول الانجليزي بوزارة الداخلية وتقرير النائب العمومي حضرة صاحب السعادة مصطفى فتحي باشا ؟ ما اشقى عمال الحماية وما أشد اجرامهم ؟ انهم لم يكتفوا باهانة الحرية في اعز مظاهرها ولا بتلويث ادارة البلاد بما يسيء سمعتها . ولا بتشويه السلطة التي يديرونها ولا بجرح كرامتنا . ولا بادماء اكبادها . لم يكتفوا بكل ذلك حتى مدوا أيديهم الاثيمة الى العدالة فهتكوا عرضها واصبحت وهي ملجأ بالمظلومين لا نصير لها (تأسف شديد)

حادثة تقع في وسط النهار . في جماهير حاشدة . في مدينة من أهم عواصم القطر ومدنه بعد استلفات عمال الادارة اليها عدة مرات ويترتب عليها قتل وغرق لجروح وضربات . يتولى تحقيقها النائب العمومي وينتهي من تحقيقاته بأن الفاعل مجهول ، وبأن الادارة فعلت كل الواجب عليها

يعني أيها الاشقياء ، اهينوا ، اضربوا ، اسيلوا الدماء غزرا ، ازهقوا الارواح ، فلا عتاب عليكم اذ كنتم عدليين أو مأجورين للعدليين ولو كانت الضحايا من هذه الامة الاثيمة فان التحقيقات لا تثبت جريمة على عدلي والوزارة تصفق طربا لنتيجة التحقيقات اذ كانت مبرئة لاتباعها ، ويا أيتها الامة اعلمي ان حقوقك مهضومة واموالك مسلوبة ودماءك مهدورة ولا من يثأر لها مادامت واثقة بالجهة الرسمية هذا ماتنطق به احوالهم وما تتكلم به اعمالهم ، انهم منعونا من زيارة عواصم المديريات ومدنها في الوجه القبلي لغرضين غرض داخلي وغرض

خارجي — فاما الاول فهو خنق العاطفة الوطنية واطفاء نورها ، واما الثاني فهو اضلال الرأي العام حيث يقولون لاسيادهم : يمكنكم ان تتعاقدوا مع عدلي كما تريدون

ومهما يكن من امر الاتفاق الذي تجودون به علينا فانا ضامنون ان تقبله الامة بدليل ان الوجه القبلي ضد سعد باشا ولم يقبل زيارته في اي جهة من جهاته (أصوات : كذب كذب) ولكن الله عكس قصدهم وخيب آمالهم فانهم رغم ما أعدوه من قوة لمنع الناس من استقبالنا ورغم مادبروه من حوادث سيئة مؤلمة فان سياحتنا قد أنمشت الشعور الوطني وحددت انتعاشه ورسخت في قلوب الامة كراهة الاستبداد وازدراء الصور التي تحكمنا بواسطتها السلطة الغاصبة واشعرت الشعب قوته وعزته وحقه وافسدت على الوزارة مادبرت من خديعة الرأي العام والسير به الى الاستسلام وقبول المشروع الذي يوقع في لندره وقوت بالشعب عزيمة سعد كما قوته وسددت عزيمة الشعب بوكيله (تصفيق وهتاف)

انها لم تصب الغرض الداخلي فينا . ولكن هل نجحت فى اصابة الغرض الخارجي . من خديعة الانجليز وغشهم بالنسبة لشعور الامة الحقيقي . انى لا اظن ذلك وان كان الانجليز لايطلبون احسن من ان تستسلموا للخديعة والغش اذ يظهر انهم طلبوا منهم ضمانات ،ضمانات ادخل فى باب الجد من القصص الخيالية والتقارير الرسمية عن سياحتنا، وان الوزارة لم تجد جوابا على هذا الطلب اصوب من تلغراف اشتمل على امضاء ستة وثلاثين عضوا من أعضاء الجمعية التشريعية رحمها الله، وكيف اخذت هذه الامضاءات وفى اي الظروف توقعت وتحت أي تأثير كتبت . وبمساعدة أي مداخلة بذلت ؟ كل ذلك تعرفونه ويعرفه الكثير منا ولا ينبغي لنا أن نصرح علنا بما يتناجي الناس به سرآ مما لا تشرفنا الحقيقة فيه ولكن مما ينبغي التصريح به ان الذين وضعت اسماؤهم على هذا التلغراف لم يجتمعوا فى مكان واحد ولم يتداولوا في موضوعه بينهم ولم يعلنوا قبل ارساله قصدهم ومنهم من لم يكن له علم بوضع اسمه بين هذه الاسماء كحضرة قطب بك قرشي .

هذا تزوير معاقب عليه قانونآ ولكن من لنا بمن يكشف لنا الحقيقة عن فاعله ونحن متأكدون من قبل ان التحقيق ينتهي اذا سمح به بأن الفاعل مجهول

من هم أولئك الاعضاء ؟ هل امضوا هذا التلغراف عن انفسهم ان كان الامر كذلك فلا كلام لنا معهم ، لانه ماقيمة ٣٥ شخصاً بجانب اربعة عشر مليونا ؟ اما ان كانوا كتبوه بالنيابة عن ناخبيهم ففيهم من ليسوا بمنتخبين ومن سحب ناخبوهم الثقة منهم ، وفى جميع الاحوال لانري قيمة لهذا التلغراف ومصالح أعلى وأغلى من ان تكون معلقة بورقة يمضيها نفر من هذا القبيل فى الخفاء وبالطرق التي تعلمونها ، ليس هؤلاء الامة ولا هؤلاء هم الذين قاموا بتلك النهضة ان الامة غيرهم وهم غيرها ، ان الامة هى التي عرضت صدورها لرصاص البنادق وابناءها لاراقة الدماء وقامت للمطالبة بحقها وهؤلاء نيام او يقظون لرتبة ينالونها او نيشان يحلون به صدورهم او مصلحة يقضونها او جاه يصيبونه او مال يكسبونه

ان الوزارة لكي تختم هذا العام على طريقة جديرة بها جعلت خاتم اعمالها فيه تعطيل جريدة الاهالى لمدة ستة شهور ، لماذا عطلتها ؟ لانها فيما تزعم دابت من منذ مدة على نشر اخبار كاذبة ومطاعن باطلة من شأنها تخديش الاذهان وتهويش الافكار ولكنها احجمت عن بيان هذه الاخبار وتلك المطاعن لانها لاتقدر على بيانها ولان بيانها لايتفق مع صالحها ولكن الناس فهموها وخالفوا رأيها فى كذبها وكان هذا التعطيل فى اعتبارهم من اقوى الادلة على صحتها ، والا لفضلت محاكمة هذه الجريدة قضائياً ليثبت كذبها ولكنها لم تفعل واخذت حقها بيدها فهل تقبل ان يطبق الناس عليها هذا المبدأ . ان قانون المطبوعات وان كان قانوناً استثنائياً لم يوضع لحماية الجرائم التي يرتكبها الموظفون اثناء وظيفتهم ولكن لحماية النظام العام . والنظام العام يقضي بأن كل من علم بوقوع جريمة يجب عليه ان يبلغ عنها فالجريدة التي تكشف الستار عن جريمة خصوصاً لموظف عمومي لاتكون مخلة بالنظام الا اذا كان هذا النظام عبارة عن مزاج الوزراء

ان جريدة الاهالى وجهت اسئلة في موضوعات مختلفة (وتلا حضرة مصطفى بك النحاس بعضاً منها) فما كان جواب الوزارة على هذه الاسئلة ان المجرم هو من يرشد عن الجانى استجلاباً لغضب الكافة والانتقام من جريمته ، يجب تعطيل الاهالي حفظاً للنظام اذ يهم النظام ان يعتقد الشعب بأن الذين يتولون اموره شرفاء وقد دابت الاهالى على ان تظهر بغير هذا المظهر فاستحقت

العقاب بالتعطيل

سادتي . لايسعني ان اختم هذا الموضوع بدون ان اثني الثناء الجميل على مدير ومحرري هذه الجريدة لما فيهم من كفاءة واسعة ومن قدرة بالغة ومن نظر سديد ومهارة فائقة (تصفيق حاد وهتاف الاهالي)

سادتي : من حسن الحظ ان وزارة عدلي لم يمض عليها لغاية الآن سوى ثمانية اشهر اذ لوكانت اكثر من ذلك لاعجزني الان مجرد تعداد مافعلت ومع كل ماارتكبته فانهم لايخجلون من ان يقولوا انها تسعى للاستقلال التام

أي استقلال تسعي اليه بعد افراغها الوسع في قتل الحرية واماتة العاطفة الوطنية في صدور أبناء البلاد . انها لكونها وليدة الحماية ورضيعة ثديها وربيبة عنايتها . ترى انها اذا خرجت من الحماية الى الاستقلال لايمكنها أن تعيش كما لايمكن للسمك ان يعيش خارج الماء ولكونها صنيعة الانجليز وخليقة أيديهم تشتغل ضد البلاد وضد مصلحة البلاد . بعد هذا هل تجدون من حاجة لأن أحدثكم عن قسمها بلوخدره وعن المفاوضات التي يساومون فيها على حقوقنا خفية من غير أن يعلم احد بمقدمة من مقدماتها ولا نتيجة من نتائجها ان الاخبار التي تردنا عنها متضاربة تضارباً غاية في الغرابة فتارة تدل على نجاحنا وفوزنا وتارة على اصطدامنا بصلابة كرزون ومطالب العسكريين، وامس تشير الى امضاء الاتفاق واليوم الى قطع المفاوضات أو تأجيلها والحقيقة الواضحة هي انهم يبهمون الامر علينا ليخدعونا بابهامهم ولكن لهم ان يقيموا في لوندرا ماشاؤا فلا اهمية لاقامتهم عندنا ماداموا لا يمثلوننا ولا يمثلون الا اشخاصهم انما عليهم ان يعلموا ان الامة منتبهة تمام الانتباه لاعمالهم حذرة كل الحذر من مناوراتهم وانها لايمكن أن تقع في فخاخهم مهما أحكموا امرها ومهما سندهم الانجليز ومهما ايدتهم بالقوة الناشمة

ان البلاد لاترضي ان يكون على أرضها عسكري انجليزي واحد سواء كان في مصر او في الاسكندرية او في القنال (تصفيق حاد) فلا يقولون اذن ان الانجليز أرادوا ان يحتلوا داخلية البلاد ولكنا عارضناهم . وتوصلنا بمعارضتنا ونباهتنا الى انهم لايحتلون الا منطقة القنال وهذا انتصار يجب الاحتفال به وامضاء الاتفاق ولا يقولون لنا ان الانجليز تشبثوا باستبقاء الحماية بسبب حوادث

الاسكندرية ولكننا توصلنا بفضل مهارتنا ومعارفنا التقليدية الى تحويل الحماية الى محالفة دائمة فلنحتفل بهذا الانتصار ولنمض الاتفاق . ولا يقولون لنا ان الانجليز اصروا على رفض التمثيل السياسي ولكنا وصلنا بمرونتنا أن لايكون لهم الا المراقبة على سياستنا الخارجية وهذا فوز مبين فلنحتفل به ونوقع على الاتفاق . لاينبغي لهم ان يقولوا لنا هذه الاقوال واشباهها مما تلوكه افواه الوزاريين وتتلمظ به شفاههم وليسمعونا في دورهم كما سمعناهم في دورناليعلموا اننا لانقبل عن الاستقلال التام بديلا وللحصول على هذاالاستقلال فاننا جميعاً مستعدون لاقصى الفداء (تصفيق حاد وهتاف)

سادتي — ربما توهم قوم انه يسرنا قطع المفاوضات ليعود المفاوضون بخزي الخيبة ولكننا نصرح بأن قطعها لايسرنا الاذفيه ضياعاًلجهوداتنا والزاماًباستئنافها ولاننا نعتبر السرور بهذا القطع سبة كبرى . نريد من كل قلوبنا ان تنتهي بالاستقلال التام ولكنه يستحيل علينا ان نصدق بأن البعثة الرسمية وهي التي تعينت وسافرت في الظروف التي مر بيانها تجادل بجد عن حقوقنا وتستطيع ان تنال من خصومنا الذين هم سادتها واولياء نعمتها هذا الاستقلال .ولقد صرحنا بهذا الاعتقاد عقب سفر هذه البعثة ولاعتقادنا واعتقاد الامة معنا من قبل بهذه الحقيقة فان انقطاع المفاوضات لايدهشنا ولا يترتب على هذا القطع اضطرابات بل الاضطرابات تكون عند ماتتحقق الامة بعد استفراغ جميع الوسائل من اصرار الانكليز على معارضتهم ومعاكسة امانيهم الاستقلالية

سادتي — اذا القينا نظرة على السنة التي ازمعت الرحيل عنا فما الذي نراه ؟ نرى وزارة خلفت في كراهة الناس وزارة اخرى بل ان كراهتهم لها اشد واقوى جمعت من حولها نفراً فيهم الاغرار سريعوا التأثر سهلو الانخداع كثيرو المطامع وفيهم ذوو خبث ودهاء مهوشون اكثر من كونهم عديدين ومتبجحون اكثر من كونهم مصدقين يدعون ان الحقيقة لاتنكشف لغيرهم وانها طوع يمينهم يقبلونها كيفما شاؤا فان زعموا الحماية استقلالا وجب على الناس تصديقهم لانهم من المفكرين الذين تخضع الحقائق لسلطانهم ولا تخضع افكارهم لسلطانها ومن جهة اخرى نرى امة بتمامها متحدة فى طلب استقلالها وفى احتقار الاكاذيب والمنشقين ودعاة التردد والهزيمة اتحاداً باهراً . اتحاداً قاوم بنجاح جميع القوي التي جمعها الخوف

والجبن وسلطانها عليه . اتحاداً ظهر فى ابهي مظاهره يوم عودتنا الى البلاد وايام زيارة البعثة البرلمانية لنا واثناء رحلتنا فى الوجهين البحري والقبلى وتجلى عند كل مناسبة دعا الحال فيها للاحتجاج ضد الظلم أو الغضب ضد الاهانة كما حدث بمناسبة حوادث الاسكندرية وعند العلم بخطبة تشرشل ولدي سفر البعثة الرسمية وبخصوص تصريح لويد جورج

نرى من ناحية النزلاء الاجانب المقيمين بيننا واضعين فوق كل اعتبار الامتيازات التي يتمتعون بها والمصالح المالية التي لا يتهددها شيء نراهم بسبب ذلك يرفعون عنا اعتباطاً ميلهم الينا لكي يؤجلوا يوم خلاصنا ذلك الخلاص الذي يجعلنا متساوين معهم فى الحقوق والواجبات ويؤكد بهذه المساواة اتحادنا بهم ولكننا نرجوهم ان يعلموا اننا نحفظ لهم استقلالنا ما حفظناه دائماً نحوهم من الشعور الجميل ولطف المجاملة ومن المودة والاحترام وان يتأكدوا بأن ليس بين المصريين من يتصور مصر مستقلة من غير ان يكون لاشتراكهم دخل فى رقيها وتقدمها . اننا نعرف مانحن مدينون لهم به ونعترف بعظم مقداره ونصرح بأننا مصممون على اننا نضاعف لهم فى المستقبل دين عرفاننا بالجميل الذي حملتنا اياه الخدم الجليلة التي ادتها لنا بلادهم (تصفيق حاد)

ومن ناحية أخرى نرى بعض اعضاء مجلس النواب الانجليزي الذين يمثلون أمتهم التمثيل الحقيقي تحملوا مشقات السفر ومخاطره وحضروا الينا ليدرسوا حالتنا ويقفوا على حقيقتها اجابة لرغبتهم الشديدة فى تأسيس علاقات صريحة ودادية بين شعبهم والامة المصرية . حضروا رغم معارضة وزارتنا فى حضورهم ودرسوا حالتنا بجد ودقة ونزاهة . ثم كتبوا بعد عودتهم تقريراً خطير الشأن يسرني ان اقرأ لكم نتائجه الختامية (تصفيق حاد) « قرأها عليهم حضرة مصطفى بك النحاس وهتفوا لهم هتافاً شديداً » ولا شك انكم توافقونني على انه لم يجر الى الآن قلم انجليزي فى مسألتنا المصرية بالحقيقة كما جرى بها قلم اولئك الذين سماهم الوزاريون بلا خجل ولا حياء وبلا ذمة ولا وفاء مستعمرين . وعلى ان ما تضمنه تقريرهم له اثر كبير جداً فى قضيتنا الحاضرة وعلى ان واضعيه يستحقون من الامة المصرية جميعها الشكر الجميل

سادتي — من كل ما تقدم ينتج اولا : انه ليس فى الامة انقسام وانما كلها

كتلة واحدة وراء الاستقلال التام واذا المنشقون يذيعون هـذا الانقسام ويؤكدونه تفخيما لشأن انشقاقهم وتعظيما لقدر انفصالهم عن الوفد ومبالغة فيما لهم من النفوذ بين مواطنيهم ولا يشايعهم من الامة احد الا الوزراء والطامعون في مساعداتهم ومنحهم وهؤلاء لا تقيم الامة وزناً لقربهم منها او لبعدهم عنها لان ماجمعته القوة فمفرق وما ربطته المطامع فمحاول وما كان اساسه الكذب والضلال فمهدوم (تصفيق حاد)

ثانياً — ان انشقاق المنشقين لم يكن لاسباب شخصية تزول بالمصافاة والمصالحة ولا بعرضية تنمحي بالتفاهم ولكنه انشقاق لاسباب اصلية ترجع الى الاختلاف فى المبدأ والغاية ان المنشقين يؤيدون الحماية بسعيهم ولو تركوا وشأنهم لتأيد مشروع ملنر وتأيدت به الحماية على البلاد . ولقد تضامنوا مع الوزارة فى عمل كل ما من شأنه اضعاف الشعور الوطني واقعاد النهضة الحاضرة وتمكين خصوم البلاد من الاستيلاء عليها فمن المحال ومن المحال جداً ان يشترك معهم فى العمل امناء هذه النهضة والا كانوا مقصرين فى واجباتهم نحو الامانة الكبرى التي حملتهم البلاد اياها . اذ ما من شيء افسد لعمل واضمن لخيبته من عدم وجود الثقة بين المشتركين فيه واختلاف المبادىء بينهم . فعلى الذين يدعون الى الاتحاد من سليمي النية مع هؤلاء ان يتدبروا فى انهم بهذه الدعوة انما يدعون الى فشل القضية العادلة

ان المخالفين لا يمكن ان تقبلهم الامة كزعماء وعاملين في هذه القضية اذ لا يلدغ المرء من جحر مرتين ولكنهم اذا رجعوا اليها فانها تقبلهم بصفة كونهم افرادا منها . ويكفيهم ان يتمتعوا فى ظل الاستقلال بالعدالة التي يتأسس عليها حكم البلاد (تصفيق حاد)

ثالثاً — ان عامنا الماضي كان في الجملة عاما مباركا بالنسبة لنهضتنا الحاضرة فقد تقوت فيه وطنيتنا وثبتت قوتنا واعتزت بعد ابتلاء روح المقاومة فينا . نعم اننا تألمنا واشتدت الآلام بنا ولكن الآلام من شأنها شحذ العزائم وبعث الهمم وهي المقياس الحقيقي لصفات الامم فعلى قدر قوة الامة على تحملها تكون عظمتها وفخامة قدرها

ايها المصريون — استمروا بكل همة واقدام في طريقكم ، طريق استقلالكم

واحترام حقوقكم وستلاقون فيه عقبات فذللوها بعزماتكم وآلاما فقاسوها بحسن احتمالكم وستطلب منكم ضحايا فابذلوها بكرمكم وسيقع عليكم ضغط شديد فقابلوه بهممكم العالية وعزمكم الصادق اذ كلما علت الهمم وصدقت العزائم هانت الخطوب ودنت المنى ونجح المسعى وكان النجاح عظيما وكلما كان ثمن الاستقلال غالياً وا كلافه باهظة كلما حرصنا عليه بعد نيله وكان علينا بركة وعلى البلاد نعمة وسرورا (تصفيق حاد وهتاف متواصل)



أحاديث و بيانات
لصاحب المعالي سعد باشا زغلول

رأينا أن نختم هذه المجموعة بأهم الاحاديث والبيانات التي فاه بها معالي الرئيس ونشرها في ظروف مختلفة

(١) حديث معاليه مع مكاتب التيمس
أرسله لجريدته في ١٣ ابريل سنة ١٩٢١
« الرقابة على الصحف والاحكام العرفية »

انه لا سبب اليوم يستوجب بقاء احداها وقد صرحت الحكومة البريطانية انها لا علاقة لها بالرقابة الصحفية التي هي من عمل الحكومة المصرية في حين ان الحكومة المصرية جعلت الغاء الاحكام العرفية والرقابة من برنامجها السياسي . ان قانون الصحافة العادي سلاح قوي جداً في ايدي السلطات العامة وعلى ذلك فان الرقابة على الصحف ليست الا وسيلة مضايقة والحال كذلك أيضاً بالنسبة للاحكام العرفية

اذا لم يكن ابقائكم لها بقصد أن تكون سيوفاً مسلولة على رقابنا فاني اقول لك بصراحة اني لا أدري كيف تبررون بقاءها الى اليوم وقد انقطع وقوع حوادث العنف انقطاعاً عاماً وهدأت البلاد وسكن الرأي العام

لقد قيل ان بقاء الاحكام العرفيـة ضروري لتطبيق بعض القوانين على الاجانب ولمساعدة الحكومة على جمع ضرائب معينـة ولكني اقول لك اني أرفض بيع الحرية مقابل بضعة ألوف اضافية من الجنيهات لا استطيع جمعها من الاجانب الا بالاحكام العرفية . ان وجودها ماس بكرامتنا فاذا اردتم ان تبرهنوا على اخلاصكم ورغبتكم في العمل مع المصريين بصراحة ومودة فيجب عليكم أن تبادروا حالا الى الغاء الاحكام العرفية والرقابة على الصحف وبغير ذلك لا مجال للاتفاق بيننا

(٢) الى أحبابنا النزلاء (١)

ان بلادنا تحفظ لكم أجمل ذكر. وتذكركم بأجزل شكر . لما تحملتموه انتم وشعوبكم الكريمة من الضحايا والمتاعب في الحرب الهائلة الماضية دفاعاً عن الحق والعدل . وما اظهرتموه من العطف على نهضتنا الحاضرة ، وما لاقيتمونا به من انواع الترحيب عند عودتنا الى بلادنا ، واؤكد بكل اخلاص ان مصر المستقلة تود ان تكون محاطة من كل جانب بالاصدقاء ، وتبذل غاية وسعها فى ان تنال الشرف العظيم بموالاة جميع الشعوب وفى مقدمتها الشعب الانجليزي الكريم ، وانى انادي قومي بكل ما املك من قوة أن يعقدوا معه اتفاقاً على قواعد العدل واحترام الحقوق ، وأصرح ان مصر المستقلة بعد هـذا الاتفاق تضع يدها العزيزة بكل اخلاص فى يد الامة الانجليزية الكريمة الموفية بعهودها

« سعد زغلول »

(٣) حديث معاليه مع الاستاذ أمين عز العرب المحامي

يوم ١١ مايو سنة ١٩٢١

الاستاذ ـ لابد أن تكونوا معاليكم قد أطلعتم على الجورنال دى كير بتاريخ اليوم وقرأتم فيه انكم عرضتم على المندوب السامي بواسطة محمد سعيد باشا واسماعيل سري باشا تأليف وزارة تحت رئاسة مظلوم باشا وتنازلتم عن رئاسة الوفد الرسمي مكتفين بأن تكونوا عضواً ثانياً فيه وتنازلتم ايضاً عن طلب الغاء الاحكام العرفية والرقابة على الصحافة وان المندوب السامي لم يرتح الى هذا وان ثقة عظمة السلطان بالوزارة عظيمة والحكومة البريطانية لا تجد سبباً لان تطلب تغييراً وزارياً وان المصريين اذا لم ينتهزوا الفرصة السانحة فانهم يحرمون من استقلالهم

معالي الرئيس — ان هذا الخبر غير صحيح وسخيف للغاية فلم اكلف محمد سعيد باشا ولا اسماعيل سري باشا لعرض أي شيء على المندوب السامي ولم افكر فى هذا الموضوع اصلا ولم اعرض عن طلبي الغاء المراقبة والاحكام العرفية ولا اعرض عنه حتى يتحقق ، لان الحرية عندي أعز من كل شيء ، ولقد صرحت

---

(١) ارسلها معاليه الى جريدة الاجبسيان ميل بناء على طلب مندوب الجريدة ونشرتها بالزنكوغراف

بوجوب اسقاط الوزارة علناً لان الامة غير راضية عنها فاذا هي الآن بقيت اعتماداً على السلطة الانجليزية التي يظهر ان صناع الخير يتمدحون بسندها فلا يكون ذلك الا مصداقاً لما فاته فى حفلة شبرا من ان رئيس الوزارة المصرية موظف انجليزي يدين بمركزه للحكومة الانجليزية فلا يكون حراً فى الدفاع عن القضية المصرية

ولقد صرحت لرشدي باشا وعدلي باشا غير مرة انى رجل جهار لا رجل دس ، فكل ما يكون حيلة مستورة لا اعرفه ولا استعمله حتى ضد خصومي ولست ممن يساومون فى حقوق بلادهم فاذا بقيت هذه الوزارة او سقطت فلا انحول من مطلبي الذي هو مطلب الامة ولا اكون مندهشاً لبقائها ولا مستغرباً منه لانى اعلم انها ترتكز على القوة الانجليزية لاعلى ثقة الامة فتبقى مادام لهذه القوة مصلحة فى بقائها

أما فوات الفرصة على الاستقلال فان كان المراد به فوات الفرصة على قبول مشروع ملنر فان الامة المصرية تجد أمامها فرصة في كل وقت لضياع حقوقها بالتصديق على ذلك المشروع

الاستاذ ــ وماذا تقولون معاليكم فيما تكتبه بعض الجرائد الاوروبية هنا من ان الاحوال الحاضرة يخشي منها على الامن العام وعلى مصالح الاجانب في مصر

معالى الرئيس ــ ان هذه نغمة تعود خصوم مصر الضرب عليها تشويها لجمال الحركات القومية وليس في الاحوال الحاضرة ما يمس بالأمن العام ولا بمصالح الاجانب الا ما تقمله الحكومة من التدخل فيما لا محل للتدخل فيه من مقابلة المتظاهرين بالأذي طوراً بضرب العصي وطوراً باطلاق الرصاص وما سمعنا قبل هذا ان المظاهرات او جبت ضرراً بالمصالح وبالتجارة . ومايزعمونه من ان هبوط اسعار القطن ناشيء عن مثل هذه الاحوال فهو زعم باطل لان هذا الهبوط موجود من اول السنة الحاضرة وناشيء عن اسباب اخرى عنيت الوزارة السابقة ببيانها واثبات انها عالمية اكثر منها محلية ولكن اتباع الوزارة الحالية الذين يشعرون بزعزعة ثقة الامة فيها وسخطها عليها يريدون ان يجعلوا لها سنداً عند الاوروبيين بما يذيعونه من اخبار السوء عن الحركة الوطنية والعاملين عليها ولهذا اكثروا في تلك الجرائد من القول باضطراب الاحوال وسوء المآل ولكن يؤكد لهم كل التأكيد ان الامة

المصرية لاتحفظ للاجانب الا كل احترام ، والوفد المصري اعلن من اول تأليفه انه يحترم امتيازاتهم ويرعي مصالحهم وهو باق على عهده وليس عدلي باشا وشركاؤهم الحافظون لمصالحهم فسواء بقي او ذهب فان مصالحهم مصونة بما في الامة من الارتياح اليهم ، والعطف عليهم. وبما تحرص عليه من استبقاء ودهم ، والمحافظة على عهدهم

(٤) تلغراف معاليه الى عظمة السلطان

يوم ١٨ مايو سنة ١٩٢١

ياصاحب العظمة

تجري الوزارة على سياسة الشدة والاحراج لكم افواه الأمة، وكتم شعورها، وحملها على مالاتريد ، في وقت يتقرر فيه مصيرها وتشعر فيه بوجوب اطلاق الحرية لها في ابداء آرائها وميولها. وبصفة كوني وكيلا عنها رأيت من الواجب على ان ألفت نظر عظمتكم الى النتائج السيئة التي تترتب على استمرار الوزارة في هذه السياسة المضادة لارادة الامة ومصلحتها ، والمخالفة لمقاصدكم السامية والى المسئولية الكبرى التي تتحملها الوزارة امام عظمتكم وامام العالم والتاريخ (سعد زغلول)

(٥) حديث معاليه مع مندوب جريدة الغازيت

يوم ١٨ مايو سنة ١٩٢١

أعلن معاليه للمندوب انه يبرأ من البلشفية ومذهب الكومونيه وانه لا يعرف شخصياً المستر لا نسبري محرر جريدة الديلي هرالد التي عبرت عن رأي المصريين وقد كان من السهل ايجاد مثل هذه الصلة مع جريدة التيمس أو غيرها من الصحف لو انها اخذت تعبر عن الرأي الوطني المصري

المحرر — ما الحل الذي يفض المشكل الحاضر ؟

معالي الرئيس — ليس من شأني ابداء أي اقتراح ومن واجب الحكومة ايجاد طريقة لحل المسألة

المحرر — ان الحكومة الانجليزية لاتريد الا ان توفد مصر الى لوندره وفداً مؤيداً من الامة بأسرها

معالي الرئيس — ان الوزارة ضعيفة جداً وانها ليست مؤيدة من الامة ولهذا

لايكون وفدها موثوقاً به عند سفره الى لوندره كما ان مفاوضاته هناك ستكون غير مجدية نفعاً

المحرر ـ اذاً ما العمل ؟

معالي الرئيس ـ ليبدأ في تأليف الجمعية الوطنية وليس تأليفها بالأمر الصعب فانه من الممكن اجراء الانتخاب في شهر أو شهرين وبعد ذلك مباشرة يمكن عقدها

المحرر ـ انكم تفضلون جمعية جديدة عن الجمعية الحالية

معالي الرئيس ـ لقد انتهى امر الجمعية الحالية

المحرر ـ كيف يكون الانتخاب ؟

معالي الرئيس ـ ان لكل شخص يبلغ الواحد والعشرين من عمره حق التصويت ماعدا الذين سبق لهم ارتكاب الجرائم

مندوب الغازيت ـ هل يسمح للسيدة المصرية بحق التصويت ؟

معالي الرئيس ـ لم يحن الوقت بعد

مندوب الغازيت ـ هل تبقى الحكومة الحالية فى مركزها بينما تكون الانتخابات جارية ؟

معالي الرئيس ـ لافاني افضل ان تقدم استقالتها حتي لا يكون هناك أدنى تأثير على الشعب في الانتخاب ويمكن احلال حكومة جديدة محلها

مندوب الغازيت ـ هل ترى ان يكون محمد سعيد باشا رئيساً للوزارة ؟

معالي الرئيس ـ انى لا ارشح احدا لرياسة الوزارة

مندوب الغازيت ـ هل تظن أن نتيجة الانتخابات تكون في جانبك

معالي الرئيس ـ ليس هناك أدنى شك في ان غالبية الامة المطلقة تؤيدني (قال المندوب ان معاليه قال هذا بنغمة تدل على التوكيد)

مندوب الغازيت ـ هل لك أن تحيطنا علما بالمسائل التي تتكلم عنها اذا سافرت الى لوندره واخذت في مفاوضة الحكومة البريطانية

معالي الرئيس ـ رداً على هذا السؤال أقول أني أريد زيادة ايضاح بعض المسائل . لقد كتبت الصحف كثيراً من مطالبنا فى السودان فاذا ذهبت الى لندره فاني أبين حقوق مصر في السودان وسيكون هذ الموضوع الذى لم ابحث فيه

وانا في لوندره موضوع اتفاق خاص

اريد ان تكون المحالفة بين مصر وانجلترا محالفة حقيقية لا تكون مشوبة بأدنى شائبة من الحماية

تريد بريطانيا محالفة تمنع الدول الاخرى حق التداخل معنا وهناك محاولة منها تقضي بوضع حقوق الامتيازات في يدها ونحن نوافق على ذلك اذا عمل بما أثبتناه بهذا الخصوص فى مشروعنا الذي قدمناه للجنة ملنر في العام الماضي ويمكنني القول اننا نفضل كثيراً ابقاء هذا الموضوع الذي نتكلم فيه على حاله

(٦) تعريب كتاب معالي الرئيس لجريدة الغازيت

« بخصوص علاقة معاليه بجريدة الديلي هرالد يوم ١٩ مايو سنة ١٩٢١ »

ادهشني ماقرأته فى صحيفتكم عن ارتياحي لخطة الديلى هرالد الاجتماعية ولكني اقول لكم ولقرائكم انى لست ممن يهتمون بالمباحثات فى هذه الشؤون الاجتماعية وانا لااجهد نفسى فى امر الكومونية او البلشفية ولا ابحث عن ايهما المناسب لحياتنا الاجتماعية اذ ليست عندي أى فكرة من هذه الوجهة

وان العلاقة الموجودة بين الوفد المصري والديلى هرالد علاقة سياسية غير قائمة على قاعدة الارتياح لآرائها الاجتماعية .

لم نجعل علاقة لنا بها لآرائها الكومونية ولكنا اتصلنا بها لانها قبلت ان تكون وسيلة لنشر آرائنا السياسية وقد طلبت الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال التام . ولو ابدت أى جريدة انجليزية مثل هذا القول لتقبلناه منها بمزيد الفرح ولو تفضلتم انتم وساعدتمونا على نشر آرائنا السياسية أو على نشرها في الصحف الانجليزية فاننا نكون ممنونين منكم وشاكرين لكم خدمتكم

وأما بخصوص الوزارة فاني اؤكد لكم كما أعلنت كثيراً – انى لا أرغب مطلقاً في احراز مركز حكومي مهما سما قدره . واذا اعتزل عدلى باشا الوزارة فانا لا احل محله وكل ما أريده هو أن أرى في مكانه رجلا يحترم أمته الاحترام الكلي ويعمل بما تمليه عليه ارادة الامة ويعتمد على معونة أمته لاعلى معونة الاجنبي ؟

سعد زغلول

رئيس الوفد المصري

(٧) من معاليه الى عظمة السلطان في ٢٠ مايو سنة ١٩٢١

ياصاحب العظمة السلطانية

تزداد الحالة التى عرضت عنها لعظمتكم شدة وسوءاً فان رجال الحكومة ينكلون بالناس تنكيلا تأباه كل مدنية وتجفل منه الانسانية ، لانهم يهجمون على الناس في مآمنهم ويسوقونهم الى السجون في ملابس نومهم بعد ان يوسعوهم ونساءهم اهانة وضرباً ، ويوثقونهم كتافا ويربطونهم بالخيول تجرهم أيضاً مبالغة بالتنكيل بهم ، ويصوبون حرابهم في مقاتلهم لازهاق أرواحهم لايفرقون بين أحد منهم حتى من لم يكن له دخل في المظاهرات البريئة التي تعتبرها الوزارة جرائم تستحق أن تقابل بمثل هذه الوسائل البربرية وترتب على ذلك ان مات شخص في دكانه بطعنة حربة ومنع الضابط الذي كان يدير حركة هذه القسوة رجال الاسعاف من اسعافه واني واثق بأن هذه الفظائع لاترضي عظمتكم فارجو بلسان شعبكم الهادىء تدارك هذه الحالة السيئة بما يقى البلاد اخطارها .

« سعد زغلول »

(٨) من معالي الرئيس الى عظمة السلطان

يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٢١

ياصاحب العظمة

أنكرت الوزارة الوقائع التي عرضتها على عظمتكم وزعمت ان لاصحة لها وان تدخلها في المظاهرات لم يكن الا للمحافظة والسكينة . وبلغ الأمر بها أن نسبت في البلاغات الرسمية الى اتباعي تسليح الرعاع وتنظيم صفوفهم لغرض التعدي على البوليس

وهي تعلم ان المظاهرات لم تقم الا لاعلان سخط الامة على تصرفها في موضوع المفاوضات ومخالفتها للوعود التى وعدت الامة بها . فسياستها هى التي أوجبتها فيلزم أن تكون هى المسئولة وحدها عن التعديات التي وقعت فيها على الارواح والاجسام لانها هى الآمرة باستعمال القسوة فيها . وليس بصحيح مازعمته من دعوى المحافظة على الامن باستعمال هذه القوة لان كل المظاهرات التي لم يتدخل

رجالها فيها تمت بسلام وبأحسن نظام . على انه من السهل جداً المحافظة على النظام بدون الالتجاء الى وسائل القسوة التي يستعملها رجالها. والغرض الحقيقي للوزارة من استعمال الشدة هو اخفاء غضب الامة عليها ، ومنع شعورها من الظهور بطريقة واضحة . ولم تكن هذه المظاهرات قاصرة على مدينة مصر حتى يسهل للوزارة أن تتهم اتباعي بها ، بل هي حاصلة في اكثر مدن القطر وأشهرها بطريقة لاتدع للشك مجالا في كونها صادرة عن شعور حقيق يتأصل في البلاد واندفاع طبعي لاصناعي كما تحاول الوزارة التمويه به

ولا تزال تطارد هـذه المظاهرات بكل أنواع القسوة كما حصل في مصر والاسكندرية أمس الاول مما ملأ النفوس جزعاً واضطراباً والنفوس فزعاً واكتئاباً . اما انكار الوزارة للوقائع التي أوردتها فلا ينفي صحتها ، لتوافر أدلة اثباتها لدينا . ونظراً للمسئولية الخطيرة المترتبة عليها ، واتباعاً لسنة البلدان الدستورية التي تستند الوزارة على تقاليدها أرفع لعظمتكم بلسان شعبكم المغلوب على امره الرجاء في أن تأمروا بتأليف لجنة تنتخبها الجمعية التشريعية لتقوم بتحقيق حر اظهاراً للحقيقة التي حاولت الوزارة اخفاءها عن عظمتكم تخلصاً من المسئولية الملقاة على عاتقها   سعد زغلول

(٦) من سعد باشا الى أمته يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٢١

بني وطني !

ملأت حوادث الاسكندرية قلوبنا غماً وحزناً ، فنستمطر الرحمة على كل من قضي فيها ، ونستنزل الصبر وجميل العزاء لاهله وذويه ، ونطلب لجرحاها عاجل الشفاء وطول البقاء ، كما نرجو أن يعود الأمن لهذه المدينة الزاهرة وان يسود السلام جميع البلاد

ومهما يكون من اسباب هذه الفاجعة التي سيكشف التحقيق بالطبع عنها فانه لاينبغي أن يستولي الجزع على النفوس حتى يخرجها عن قصدها ويثنيها عن اعتدالها . فعلينا للاوروباويين حرمة يجب رعايتها، ولنا منهم مودة ينبغي استدامتها

أيها المصريون ! اناشدكم الوطنية الصادقة ، والاخلاص الصحيح لبلادكم أن تقابلوا هذه الحادثة بما عهد فيكم من الرزانة والسكينة ، وأن تستمروا في

أكرام ضيوفكم من الاوروباويين ، وحسن الرعاية لهم ، وأن لاتعتدوا عليهم ولو اعتدوا عليكم ، فذلك أبقى لمودتهم ، وأليق بكرم أخلاقكم ، واحفظ لقضيتكم العادلة من أن تعوق سيرها عوامل الاضطراب . سعد زغلول

(١٠) حديث معالى الرئيس مع رئيس تحرير الاهرام .

بشأن المفاوضات الرسمية في ٢٣ مايو سنة ١٩٢١

شروط الوفد مع الوزارة

المحرر — هل اتفق الوفد مع الوزارة ؟ ؟

الرئيس — لم يتم حتى الآن أى اتفاق بين الوفد والوزارة

المحرر — وهل يمكنني أن أعرف شيئاً عن الشروط التي اشترطموها ؟

الرئيس — أنا لاأري الآن بأساً من التكلم عن تلك الشروط لقد اشترطنا أن تعين مهمة المفاوضين الرسميين وتحدد بمرسوم سلطاني تحديداً يتفق مع مطلب الامة ومبادىء الوفد . اما هذه المهمة مهمة المفوضين فيجب أن تكون هكذا :

(أولا) — الوصول الى الغاء الحماية الغاء تاماً صريحاً أي الغاء الحماية التي وضعت على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والتي وردت في معاهدة فرساى ومعاهدات الصلح الاخري التالية لها ـ (ثانياً) ـ الاعتراف باستقلال مصر استقلالا دولياً عاماً سواء كان في الداخل أو الخارج مع مراعاة أرادة الامة التي أبدتها بالتحفظات المدخلة على مشروع اللورد ملنر عند ماعرض عليها قبل الدخول في المفاوضات ـ (ثالثاً) ـ الغاء الاحكام العرفية والمراقبة الصحفية قبل الدخول في المفاوضات ـ (رابعاً) ـ أن تكون غالبية المفوضين الرسميين للوفد وان تكون رئاسة الهيئة المفاوضة من الوفد ـ هذه هي الشروط التي قرر الوفد اشتراطها للاشتراك في المفاوضات وقد بلغت للوزارة

المحرر — هل قرر شيء بشأنها حتي الا ن ؟

الرئيس — للآن لم يتقرر شيء فيها جميعاً . والقول ان الوزارة قبلتها ماعدا الشرط الاخير فهو قول في غير محله لأ ننا لم نتفق مع الوزارة على شيء منها

المحرر — وهل يرى الوفد أهمية كبري لرئاسة المفاوضين

الرئيس — نعم لان الوفد هو المسئول امام الامة عن المفاوضات ونتيجتها

فيجب حتما أن تكون بيده ادارتها حتي يتصرف فيها بابداء كل مايراه صالحا ويوصلها ويقطعها على حسب الاحوال ولا يمكنه ان يتمكن من ذلك اذا كانت الرياسة بيد غيره

المحرر — ولكن هذا ليس منطبقا على التقاليد المرعية ؟

الرئيس — أي التقاليد تريدون ؟

ان لكل بلد تقاليده الخاصة به ولم يقع لمصر حادث كالحادث الذي نحن في صدده حتى تكون لنا فيه تقاليد سابقة يرجع اليها ويقال بالتمسك بها :

ان حادثتنا نادرة فى بابها ولصاحب العظمة السلطان أن يجري فيها طبقا لما تقتضيه المصلحة وما دامت سلطة المفوضين تمنح من السلطان والامة . فما هو المانع الذي يمنع عظمة السلطان من أن يعهد بهذه الرئاسة لمن كملت ثقة الامة به؟

فاذا منحها عظمة السلطان للوفد . فمن ذا الذي يتضرر من ذلك وينتقده ؟ أهم الانجليز ؟ ؟ وليس لهم في ذلك من شأن كما صرحوا أهي الامة المصرية وهي تود بل تحتم أن تكون الرئاسة في الوفد نائبها ومحل ثقتها ؟ فمن يكون له بعد ذلك الحق في الشكوي ؟

المحرر — هل الدخول في المفاوضة والقضية على ماهي الآن لايكون مضراً بمصر ؟ .

الرئيس — انى لاأري منه ضرراً ولا أخشي الضرر الا من جهة واحدة وهي حدوث الانشقاق فى الوفد الذي يعين للمفاوضة، ونحن نأمن هذا الانشقاق بأن يكون المفوضون من مبدا واحد ومن الذين يرمون الى غاية واحدة ، هي غاية الامة .

اذا توافر ذلك لايكون من وراء المفاوضة أدنى ضرر . لان المفاوضة بعد تحديد غايتها بالامر السلطانى ان لم تفد فلا تضر .

أنى لم أسع ولن أسعي في أن أكون مفاوضاً ولكن الحكومة رأت ضرورة اشتراك الوفد في المفاوضات فرأي انه لايمكنه قبول الاشتراك بدون تلك الشروط .

كما انى لاأستطيع أن أؤيد أي مصرى يدخل فى المفاوضة اذا لم يحدد مهمته بالمرسوم السلطانى على الوجه الذى تقدم حتي أكون واثقاً بأن الغاية التي يسعي

اليها هي غاية الامة . وأنا أقول فوق ماتقدم ان الوقت قد حان لتعلن الوزارة رايها أما بقبول هذه الشروط وأما بردها لان الامة قلقة والوفد أيضاً قلق

المحرر — اذا لم تقبل هذه الشروط ماذا يكون موقف الوفد ؟

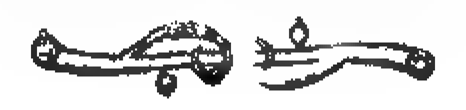
الرئيس— يكون موقف الوفد ان لم تقبل شروطه المحافظة على حقوق الامة وارشادها الى مافيه مصلحتها

المحرر — واذا انفردت الوزارة بتولي المفاوضات ماذا يكون مسلك الوفد معها

الرئيس— اذا فاوضت الوزارة على غير شريطة الوفد أي بغير مرسوم سلطاني تتعين فيه مهمتها تعييناً دقيقاً كما بينت لك ذلك في ماتقدم . فان الوفد لايؤيدها . بل لايمكنه تأييدها أيضاً اذا عين للمفاوضة من لايكون حائزاً لثقة الامة حيازة تامة

المحرر — هل يأذن معاليكم بنشر هذا الحديث

الرئيس — انا نعمل أعمالنا على ضوء النهار الساطع . لانا نعمل للامة وباسمها فلا نضن عليها بشيء من اعمالنا أو آرائنا واذا كان همنا منذ الساعة الاولى أن يزداد اتحاد الامة وتآزر هيآتها لان هـذا الاتحاد مصدر القوة أفلا ترون أن اجابتنا دعوة الوزارة الى العمل على الشروط التي تضمن الوحدة والنجاح هي ايضاً من دواعي الاتحاد حتى نتضامن جميعاً ونتآزر على تحديدها تحديدا يتفق مع ارادة الامة ومصلحتها فتشعر الهيئة الحاكمة انها مترابطة مع وفد الامة والامة كلها بتلك الروابط فنذهب اذا ذهبنا لغاية واحدة ونرجع اذا رجعنا لسبب واحد سواء كان باتفاق ابرمناه على ماتهوى الامة وتريد أو بغير لانا لم نجد جميعاً مطلب الامة متوافراً ولا أعرف ضرراً يضر بنا كضرر التفريق والانشطار مادام لنا جميعاً مقصد واحد وغرض واحد نرمي اليه ولا نحيد عنه . وقد ادت الصحافة خدمة جليلة في هـذا السبيل وآمل أن تواصل عملها ذلك لانها اللسان الناطق والله يوفقنا جميعاً الى مافيه الخير



(١١) حديث معالى الرئيس مع الاستاذ امين بك عز العرب

الاستاذ — أصحيح مايقال من أن رياسة المفاوضين في أمر سياسي يجب أن تكون لرئيس الوزارة وما هي المسئولية التى تترتب على الخيبة في المفاوضات ؟

الرئيس — إن هذه الدعوى لايمكن اثباتها الا بالاستقراء وهذا الاستقراء لم يقم به أحد في مصر على انه ان اصح في امة من الامم فلا يصح مطلقاً في مصر

أولا — لانها ليست دستورية ووزارتها لاتمثل الامة لاحقيقة ولا حكماً

ثانياً — لانها تحت حماية الدولة الانجليزية فعلا وليس لها وزارة خارجية وسياستها الخارجية بيد انجلترا وحدها ولا يمكن لرئيس وزارتها أن يدعى ادارة هذه السياسة ومهمة المفاوضة تختص بموضوع يرجع الشان الاول فيه لعلاقة الامة المصريه مع الامة الانجليزية ، فلا يصح أن تكون ادارة هذه المهمة وما يتعلق بها في يد غير وكيلها الذي يمثلها تمثيلا حقيقياً فعلياً . اما رئيس الوزارة المحمية فلا يمثل الا السلطة الحامية فلا يمكنه أن يرأس مهمة المفاوضات والا رجع الامر لان يكون المفاوضة بين السلطة الانجليزية وفروعها وقد صرحت بشيء من هذا المعنى الى اللورد ملنر في جلسة ٢٥ اكتوبر الماضي بوزارة المستعمرات

اما بالنسبة للمسئولية التى تترتب على المرسوم السلطانى عند عدم نجاح المفاوضات فما دام هذا الامر يصدر من عظمة السلطان ممضياً من رئيس الوزارة وزملائه فلا تقع تبعة عدم النجاح فيه الا على الوزارة كما هو الشأن فى جميع الاوامر التي تصدر بهذه الكيفية اذ عظمة السلطان فوق المسئولية لما يصدره من الاوامر بتوقيع الوزراء



(١٢) رجاء الى الامة المصرية لوقف المظاهرات

باسم الوطن المفدي وباسم الضحايا البريئة التي أسلمت الروح بعزة مرددة اسم الوطن العزيز يتقدم الوفد المصري الى الشعب الكريم أن يكظم غيظه الذى استولى عليه بحق وان يقف اظهار سخطه على الوزارة بالمظاهرات اتقاء لما يرتكبه القساة فيها من الفظائع المفزعة واكتفاء بما اظهرته لغاية الآن من شدة سخط الامة على الوزارة وبما تدل عليه الرسائل والتلغرافات التي تنهال على كثير من المقامات وبالوفود التي تتوارد من كل الجهات معبرة عن آرائها وغير ذلك من مظاهر غضب الامة عليها

القاهرة في ١٧ رمضان سنة ١٣٣٩ — ١٨ بشنس

٢٥ مايو سنة ١٩٢١ — سعد زغلول

(١٣) جواب مصر

اطلع الوفد المصرى على بلاغ فخامة اللورد الذبي ويرحب كل الترحيب بما جاء فيه من حرص فخامته على سياسة الصداقة للامة المصرية والتصريح بعدم حصر مواضيع البحث في المفاوضات وعدم تقييد المفاوضين المصريين فيها بوجه من الوجوه ويشكره جيل الشكر على الرغبة التي ابداها في الاتفاق والوئام

ويسره ان يؤكد لفخامته ان الامة المصرية تتقبل يد المصالحة والمصادقة التي مدتها اليها حكومة جلالة الملك بالشكر والامتنان ، وترغب شديد الرغبة في عقد اتفاق معها يتأسس على العدالة واحترام الحقوق . وان اهتمامها بالوصول الى هذا الاتفاق هو الذي جعلها تهتم غاية الاهتمام باختيار المفاوضين الذين ينوبون عنها في المفاوضات الرسمية من أهل ثقتها ، وهي متحدة الكلمة في هذا الخصوص ولا انقسام يعتد به بين افرادها وانما الخلاف بينها وبين الوزارة . وهو مع شديد الاسف خلاف لايمكن الاتفاق فيه لبنائه على عدم ثقة الامة بها ولا يحسمه الا استقالة الوزارة أو انتخاب جمعية وطنية على القواعد الدستورية لتبت رأيها فيما يختص بالمفاوضات ونتائجها

اما المظاهرات فالوفد اول الآسفين على ماحدث فيها من التعديات ويلاحظ

انها مع تجرد الاهالى من الاسلحة النارية وغيرها لم تأخذ الشكل الذي أشار اليه فخامته الا بسبب تدخل البوليس واستعماله الشدة البالغة لقمعها والافانها كانت قبل هذا التدخل بريئة وغاية في السلام

كما انه يمقت كل المقت المعتدين في حوادث الاسكندرية أيا كانوا ويستنكر مجموع ماوقع فيها ويستغرب كل الاستغراب لحدوثها في هذه المدينة في الاوقات التي كان المتظاهرون فيها وفى جميع البلاد يهتفون للاجانب والاجانب يحيونهم ويشتركون معهم في الهتاف ولهذا فانه قوي الرجاء ان هذه الحوادث التي لم تكن لها صفة سياسية لاتؤثر شيئاً فى علائق الود والاحترام السائد بين المصريين والنزلاء من قديم الزمان والتى يعمل على توكيدها العقلاء من الطرفين في جميع الاوقات »

١٨ رمضان سنة ١٣٣٩ — ١٨ بشنس سنة ١٦٣٧	رئيس الوفد المصري
٢٦ مايو سنة ١٩٢١	سعد زغلول

(١٤) حديث معالى الرئيس

مع الكونتة كولالتو صاحبة جريدة روما التى تصدر في القاهرة ونشر بالعربية فى ٧ يونيو سنة ١٩٢١

الكونتة — لم يخطر ببالنا في اي ظرف من الظروف أن نعتقد بمسئولية الشعب المصري الامين عن هؤلاء القتلة واللصوص الذين جعلوا العالم المتمدين يهتز فزعاً ورعبا

معالي الرئيس — ان لكلماتك هذه اعظم وقع في نفسي خصوصاً ونحن الآن أحوج ما نكون الى عطف أوروبا

الكونتة — ان الوقت الذي وقعت فيه هذه الحوادث لم يكن مناسباً أليس كذلك ؟

معالى الرئيس — لم يكن مناسباً ابداً ولقد تألمت من العمل المرذول الذي قام به افراد قليلون وكم كانت دهشتي عظيمة عند ما بلغني أنباء الحادثة الاولى وقد بذلت جهدى لتهدئة خواطر ابناء وطني وارى أن كلماتى سمعت ونصائحي عمل بها ولكن يسوءني جداً ان اعلن ان الصحافة الاوروبية لم تقف في

طريق التهدئة

الكونتة — ان الصحافة الاوروبية قد استنكرت عمل الافراد القلائل بكلمات نارية على انه كان من الواجب عدم التعميم

معالى الرئيس — مهما يكن الامر فانه يجب عليكم تهدئة الخواطر لكي تتجنب حوادث اخرى ولقد عشنا معكم كاخوة وسنعيش كذلك طول حياتنا متحدين وعلى وئام تام ولا نريد ان نسد طريق الحرية على وطننا بمصاعب جديدة

الكونتة — وهل عرف معاليكم حقيقة الحادثة

معالى الرئيس — لا واعلموا ان هذا الكابوس يمرر حياتي ولكني الآن لاسباب أخرى اصبحت ممنوناً قليلا ولقد اكدوا لي ان المتظاهرين كانوا يهتفون في طريقهم للأوروبيين فاذا بطلقات نارية تطلق عليهم من نافذة يوناني ومن هنا نشأت الاضطرابات التي تعرفون نتائجها الوخيمة ولكن لننتظر التحقيق بكل هدوء فان الحقيقة لاتلبث ان تظهر وارجوكم انتم ان لا تنقطعوا عن تهدئة خواطر مواطنيكم وتطمينهم

(١٥) حديث معالى الرئيس مع (البروفسير) دكتور كولوسانتي

مراسل جريدة المساجيرو التي تصدر في رومة

نشر بالعربية في مصر يوم ١٤ يونيو سنة ١٩٢١

لقد عشنا ولا نزال نعيش مصريين واجانب مرتبطين بروابط المحبة والالفة وقد فقدت الحكومة المصرية الحالية ثقة مواطنيها بها واخذت الصحف الاستعمارية تبث دعوة سيئة ضدنا ونحن نقف في سبيل هذه الدعوة لمعارضتها بكل قوانا وضد هذه المحاولة التي يراد بها الادعاء بأن المصريين يكرهون الاجانب ونحن في المساجد وفي المجتمعات وفي كل الجرائد نطلب التزام الهدوء والخلود الى السكينة ومصر لايجب ان تقع في الشرك الانجليزي الجديد

ويمكنك الاطلاع على البلاغ الذي نشرته بين مواطني طالباً منهم احترام الاجانب الذين لايجب ان نعاملهم بالمثل حتى اذا اعتدوا علينا

(١٦) الى الامة

بني وطني :

سافر وفد الحكومة وسيوف الاحكام العرفية تقطر من دم الاحرار ، وسجون الحكومة تزدحم بالابرياء ، وجنود الاعداء تحميه من صيحات السخط وتخفيه عن نظرات الاحتقار

سافر الوفد بعد أن جرحت الوزارة الامة في عزتها ، وضيقت الواسع من حريتها وبعد أن آذت الحقيقة في وضوحها ، وأفرغت الجهد في اخفاء نورها

سافر ورئيسه يخادع الامة بأنه سيعمل على تحقيق آمالها وفاء بالوعد الذي قطعه لها . وانصاره يشيعون في عرض البلاد وطولها انهم لايريدون الا استقلالا كاملا . واتحادا شاملا وانهم مستعدون للتحول عن نصرته اذا اتى بما هو دون ذلك الاستقلال ويطلبون أن تضم الامة صفوفها وتنتظر نتيجة تلك المفاوضات حتى اذا كانت في صالحها قبلتها والا رفضتها

حق يراد به باطل ، يراد به تخدير الاعصاب وضم الامة الى الخارجين عليها لاضمهم اليها : واسكاتها عن اظهار غضبها على الوزارة التي ظاهروها في بغيها ، وعلى وفدها الذي سافر رغم ارادتها بمساعدة القوة الانجليزية وتحت حمايتها فهل ينتظر للبلاد خير من سفره ؟

ان الانجليز لم يعودوكم أن يؤيدوا المخلصين فيكم ، ولا ان يرغموكم على ما فيه خيركم وهم دون سواهم خصومكم في قضية استقلالكم . فلو شاءوا لاعترفوا على يد من وثقتم بامانتهم وتمسكتم بوكالتهم ولما أقروا الظالمين على ظلمهم . وأيدوهم على حكمهم فلا تنتظروا من هذه البعثة الجبرية استقلالكم والا كنتم كمن يلتمس في الماء جذوة نار . والغيتم عقولكم وسهلتم دخول الغفلة عليكم ووقعتم في شرك الاقوياء والخادعين

ان خير ما نعمل للنجاة من خطر هذه المفاوضات هو أن ينضم اليكم أولئك الخارجون حتى يكمل اتحادكم . وتنتظم صفوفكم وتستمروا في التمسك بحقوقكم . والاحتجاج للرأى العام الانجليزي على الوزارة واعمالها . والوفد وتأليفه ليتحقق ضرر بقائها في الاحكام . ويتأكد ان هذا الوفد ليس نائباً

عنكم وأن المفاوضه معه لا تعود بفائدة على الاتفاق المراد عقده بين الامتين وان تستعدوا استعداداً تاماً لما عساه يحصل من الانتخابات للجمعية الوطنية حتى لا يوضع لها قانون بدون ان يكون لنوابكم اشتراك في وضعه وحتى لا يقع انتخابكم الا على من توافرت فيه صفات الاخلاص لوطنه . والكفاءة للنيابة عكم والبعد عن التقرب من الاقوياء والتقلب في المبادىء .

وفقكم الله للصواب وهداكم الله سبيل الرشاد — رئيس الوفد المصري

٢٧ شوال سنة ١٣٣٩هـ — ٢٦ بؤنه سنة ١٦٢٧ق — سعد زغلول

٣ يوليو سنة ١٩٢١ م

«١٧» شكر الرئيس الامة في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢١

أن العناية التي شملني بها بنو وطني الكرام على تفاوت اقدارهم وتباعد بلدانهم ملأت قلبي سروراً لجميل ولائهم ولساني شكراً لحسن صنيعهم ولقد استجليت من هذه العناية التي فاضت بالدلالة عليها رسائلهم وشرحت وجوهها وفودهم آيات الوطنية الصادقة والثقة الكاملة بالمخلصين من خدامهم ، وتأكدت من قدوم وفودهم رغم بعد الشقة وعظم المشقة التي تحملوها بسبب العوائق التي اتتها ادارة الحماية في طريقهم ، أن الروح الوطنية التي أودعتها يد الحكمة الالهية قلوبهم والثقة الكاملة التي أولوها لمن اخلصوا السعي في قضيتهم العادلة لا تنال منها تلك الاعمال ضعفاً ولا تؤثر فيها أضاليل الحاقدين شيئاً ولا تدل تلك الاعمال وهذه الاضاليل الا على الحقد الكامل فى نفوس المشيرين بها والحمق الظاهر في سلوك المنفذين لها والعاملين على ترويجها وسيعلم كل هؤلاء أنهم انما يلعبون بشعور حي في أمة يقظة وما يكسب اللاعبون بشعور الامم الحية الا خسارا

ولا يزيد تعبهم هذا الشعور الا قوة ونماء أما ما اخذه علينا خصومنا من مد الاحرار بالمعلومات التى فضحت اعمال الظالمين ومن شكرهم على دفاعهم عن حرية بلادنا واستقلالنا وعلى تصديهم لنقد الظالمين من عمال الحماية . فاننا لا نقابله بغير الاحتقار . ونفتخر بما اخذه علينا أولئك الخصوم اذ كان يصح لنا ان نفتخر بواجب نؤديه للوطن العزيز ونصرح باننا سنستمر على هذه الطريقة

لما استمر الظالمون في ظلمهم وما انتصر الاحرار لقضيتنا العادلة . ولا أحب لدينا من حضورهم الينا ليتأكدوا بانفسهم ما علموه عن طريقنا من ان الامة كلها تصبوا الى الحرية والاستقلال . وأن عمال الحماية يستعملون الاحكام العرفية للضغط على هذا الشعور وحمل الناس بوسائل الغش والاكراه على الثقة بالبعثة الرسمية وابعادهم عمن كانت فيهم ثقتهم . وليتحققوا صحة ما قالوه من أن هذه البعثة غير ممثلة للرأي العام المصري وأنه من العبث أجبار أربعة عشر مليونا من الناس علي التسليم بمعاهدة أو حكومة لا يرضون عنها

ليقل خصومنا بعد ذلك ماشاءوا . فما يقولون الا باطلا مادام الحق معنا وليستعينوا بعمال الحماية في اكراه الناس على الانفضاض من حولنا . فهم لاينفضون وان نطقت بالانفضاض السنتهم . لانهم انما يلتفون بقلوبهم وهي لاتتحول عمن لم يروا فيهم الا اخلاصاً لقضيتها . وتمسكا بمطالبها العادلة . ولا تركن الى من يظاهرون أعداءها عليها ويتقربون من الاقوياء على حسابها ويتخذون اسم مصلحتها وسيلة لشفاء غليلهم وسد مطامعهم ولو لم يكن غير اتفاقهم في القول مع زعماء حزب الاستعمار كاللورد ونترتون ورجال الحكومة الانجليزية كالمستر هارمسورث من ان موضوع تلك الاسئلة من خصائص مصر لكفي دليلا على سوء ما اخذوا وبطلان ما أعطوا ولو لم يكن سوء دفاع الجرائد الانجليزية وفي مقدمتها جريدة التيمس عن خطتهم وتمدحها لكل من يعارضنا لكفي برهانا على ان بين هؤلاء الخصوم والانجليز اتفاقا مدبراً بقصد تفريق وحدتنا وتقسيم كلمتنا ليتم حكم الاجنبي علينا

ولكن الله لا يفلح عمل المبطلين « سعد زغلول »

«١٨» تهنئة رئيس الوفد المصري للامة

بالعام الهجري الجديد ٤ سبتمبر سنة ١٩٢١

بني وطني :

استفتح العام الجديد بأن أقدم لكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن زملائي اوفي عبارات التهنئة والتبريك باقبال هذا العام الذي نرجو ان يكون سعيدا

وان يجعله الله خير الاعوام بتحقيق طلب الامة في الاستقلال التام وان يقي البلاد شر الحماية وعمالها ويمحو منها آثار ظلمها . ويطلق حرية المظلومين من سجونها وحرية الموظفين من استبدادها وحرية المطبوعات من قيودها . وحرية الناس من احكامها العرفية وقوانينها الاستثنائية

ويجمل بنا في هذا المقام ان ننصح للوزراء ان ينتهزوا فرصة اقبال العام الجديد ، وحلول هذا الشهر الحرام ليكفوا عن قتال الامة في حريتها ومحاربتها في شعورها ، وعن جروح عزتها بتلك الاجراءات الشائنة . وان يحلوا ذلك الجيش الذي عقدوا لواءه للسفهاء . فهجم على الاذهان يضللها . والحقائق يعكسها . والاداب يثلمها

وليعلموا ان الناس يقولون اليوم فيهم اشد مما كانوا هم يقولونه بالامس في سلفائهم فلا تغرهم قوة هي لا محالة زائلة

وليتأكدوا ان مركز الوفد الذي يحاولون اسقاطه هو أثبت مركز في الامة لانه تنزيل منها . ووكيل عنها . وهو لسانها الناطق . وترجمانها الصادق . فلا يناله ضعف الا اذا ضعفت . ولا سقوط الا اذا سقطت . وهي لا تضعف . بل تزيد كل يوم قوة وقد صممت أن تستقل . أو يكون الموت خيراً لها

« سعد زغلول »

